ثورة
الإمام الحسين عليه السلام
وأثرها على حركات المعارضة
حتى عام ١٣٢هـ

بطاقة فهرسة

مصدر الفهرسة: *IQ – KaPLI ara IQ –KaPLI rda*

رقم الاستدعاء: BP41.5.Z39 2018

المؤلف: الزيدي، د.مروان عطية مايع. مؤلف.

العنوان: ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأثرها على حركات المعارضة حتى عام ١٣٢ هـ.

بيان المسؤولية: د.مروان عطية مايع الزيدي

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: النجف، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ٢٠١٨ / ١٤٣٩ للهجرة.

الوصف المادي: ٢٦٢ صفحة ؛ ٢٤ سم.

سلسلة النشر: (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٤٠١).

سلسة النشر: (مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية).

تبصرة عامة: أصل الكتاب رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي

تبصرة ببليوغرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر الصفحات (٢٤٣-٢٥٧).

موضوع شخصي: الحسين بن علي الشهيد عليه السلام، الإمام الثالث، ٤-٦١ للهجرة—سيرة.

موضوع شخصي: الحسين بن علي الشهيد عليه السلام، الإمام الثالث، ٤-٦١ للهجرة—واقعة كربلاء، ٦١ للهجرة.

موضوع شخصي: الحسين بن علي الشهيد عليه السلام، الإمام الثالث، ٤ـ٦١ للهجرة ـ استشهاد.

موضوع شخصي: معاوية بن أبي سفيان، معاوية بن صخر، ٢٠ قبل الهجرة—٦٠ للهجرة—نقد وتفسير.

موضوع شخصي: يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الخليفة الأموي ٢٥-٦٤ للهجرة—نقد وتفسير.

مصطلح موضوعي: واقعة كربلاء، ٦١ للهجرة-نتائج وتأثيرات.

مصطلح موضوعي: التاريخ الإسلامي-العصر الأموي، ٤١ـ١٣٢ للهجرة.

مصطلح موضوعي: الثورات-العصر الأموي، ٤١-١٣٢ للهجرة.

مصطلح موضوعي: واقعة الحرة، ٦٣ للهجرة.

مصطلح موضوعي: الشيعة-ثورات.

مصطلح موضوعي: ثورة التوابين، ٦٥ للهجرة.

مصطلح موضوعي: ثورة المختار بن أبي عبيدة، ٦٧ للهجرة.

مصطلح موضوعي: ثورة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، ١٢٢ للهجرة.

مصطلح موضوعي: العباسيون-ثورات.

اسم هيئة اضافي: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٩٣) لسنة (٢٠١٨م)

ثورة الإمام الحسين عليه السلام

وأثرها على حركات المعارضة

حتى عام ١٣٢هـ

تأليف

د. مروان عطية مايع الزيدي

الإشراف العلمي

مؤسسة وارث الأنبياء

للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

إصدار

مؤسسة وارث الأنبياء
للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

تنويه: هذا الكتاب هو جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي
وهي بعنوان: ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأثرها على حركات المعارضة حتى عام ١٣٢هـ
تقدم بها الطالب: مروان عطية مايع الزيدي
تحت إشراف: أ. م. د. نضال حميد الربيعي
قدمت إلى مجلس كلية التربية / الجامعة المستنصرية
لسنة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

مراجعة وتدقيق

اللجنة العلمية في قسم الرسائل الجامعية في مؤسسة وارث الأنبياء

د. الشيخ عبد الرحمن الربيعي، د. الشيخ علي حمود العبادي،

د. السيد خالد السيساوي، د. الشيخ عدي السهلاني، الأستاذ معروف عبد المجيد

هوية الكتاب

عنوان الكتاب	ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأثرها على حركات المعارضة حتى عام ١٣٢هـ
المؤلف	د.مروان عطية مايع الزيدي
الإشراف العلمي	اللجنة العلمية في مؤسسة وارث الأنبياء
الإخراج الفني	حسين المالكي
الطبعة	الأولى
سنة الطبع	١٤٤٠هـ_٢٠١٩م
عدد النسخ	١٠٠٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

صدق الله العلي العظيم

(البقرة: آية٢٨٦).

الإهداء..

إلى كل من نطق بكلمة حق عند سلطان جائر...

إلى مَن أوصى الله بهم فقال وبالوالدين إحسانا...

إلى عوني وأملي في الحياة أخويّ... عدنان و بشير...

أَهـدي جهدي....

مروان

شكر وامتنان

إلهي كم من همّ يضعف فيه الفؤاد ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدوّ نزل بي شكوته إليك... فأول شكري لك خالصاً.

وبعد...

فإنّي أقدّم جزيل شكري وامتناني إلى أستاذي المشرف الدكتورة نضال حميد الربيعي، التي لم تبخل عليّ بنصائحها، فكانت خير عون لي، وكان لتوجيهاتها القيّمة الأثر البالغ في إخراج هذا البحث على ما هو عليه، داعياً الله سبحانه وتعالى أن يمنّ عليها بوافر العافية إنه سميع مجيب. كما يسرّني أن أقدّم شكري وتقديري إلى أساتذتي في المرحلة التحضيرية؛ وهم الأستاذ الدكتور رشيد عبد الله الجميلي، والأستاذ الدكتور محمد مفيد آل ياسين، والأستاذ الدكتورة أمل السعدي. وإن نسيت فلن أنسى ذكرى أستاذي المرحوم الدكتور محمد سعيد رضا تغمّد الله روحه برحمته ومنّ عليه بالمغفرة والرضوان. كما وأقدّم بعد ذلك شكري وامتناني للأخت نوال لما قدّمته لي من نصائح كانت عوناً لي. فضلاً عن امتناني الوافر أسوقه بين يدي الأخوة والأخوات العاملين في مكتبتي جامعة بغداد والجامعة المستنصرية. وأقدّم جزيل شكري للمركز الثقافي للدراسات الإسلامية لما قدّموه لي من تسهيلات. أما كلماتي الخجلى وامتناني العظيم فأخصّ به عائلتي التي أحاطتني بالرعاية الكريمة والحنوّ الدافئ فإليهم جهد المقلّ المقصّر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.. عليه توكّلت وإليه أنيب...

الباحث

المصطلحات

الرمز	الكلمة المقابلة للرمز
ت	توفي
تح	تحقيق
تع	تعليق
ج	جزء
ح	حديث
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري

مقدّمة المؤسّسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إنّ العلم والمعرفة مصدر الإشعاع الذي يهدي الإنسان إلى الطريق القويم، ومن خلالهما يمكنه أن يصل إلى غايته الحقيقية وسعادته الأبدية المنشودة، فبهما يتميّز الحقّ من الباطل، وبهما تُحدد اختيارات الإنسان الصحيحة، وعلى ضوئهما يسير في سبل الهداية وطريق الرشاد الذي خُلق من أجله، بل على أساس العلم والمعرفة فضّله الله عز وجل على سائر المخلوقات، واحتج عليهم بقوله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[1]، فبالعلم يرتقي المرء وبالجهل يتسافل، وقد جاء في الأثر «العلمُ نورٌ»[2]، كما بالعلم والمعرفة تتفاوت مقامات البشر ويتفوّق بعضهم على بعض عند الله عز وجل، إذ ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾[3]، وبهما تسعد المجتمعات، وبهما الإعمار والازدهار، وبهما الخير كلّ الخير.

ومن أجل العلم والمعرفة كانت التضحيات الكبيرة التي قدّمها الأنبياء والأئمة

---

(١) البقرة: آية٣١.

(٢) الريشهري، محمّد، العلم والحكمة في الكتاب والسنّة: ص٣٦، نقلاً عن قرّة العيون للفيض الكاشاني: ص ٤٣٨.

(٣) المجادلة: آية١١.

والأولياء عليهم السلام، تضحيات جسام كان هدفها منع الجهل والظلام والانحراف، تضحيات كانت غايتها إيصال المجتمع الإنساني إلى مبتغاه وهدفه، إلى كماله، إلى حيث يجب أن يصل ويكون، فكان العلم والمعرفة هدف الأنبياء المنشود لمجتمعاتهم، وتوسّلوا إلى الله عز وجل بغية إرسال الرسل التي تعلّم المجتمعات فقالوا: ﴿وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1]، و﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[2]، ما يعني أنّ دون العلم والمعرفة هو الضلال المبين والخسران العظيم.

بل هو دعاؤهم عليهم السلام ومبتغاهم من الله عز وجل لأنفسهم أيضاً، إذ طلبوا منه تعالى بقولهم: «**وَاملأ قُلُوبَنا بِالْعِلْمِ وَالمَعْرفَةِ**»[3].

وبالعلم والمعرفة لا بدّ أن تُثمّن تلك التضحيات، وتُقدّس تلك الشخصيات التي ضحّت بكلّ شيء من أجل الحقّ والحقيقة، من أجل أن نكون على علم وبصيرة، من أجل أن يصل إلينا النور الإلهي، من أجل أن لا يسود الجهل والظلام.

فهذه هي سيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام سيرة الجهاد والنضال والتضحية والإيثار لأجل نشر العلم والمعرفة في مجتمعاتهم، تلك السيرة الحافلة بالعلم والمعرفة في كلّ جانب من جوانبها، والتي ينهل منها علماؤنا في التصدّي لحلّ مشاكل مجتمعاتهم على مرّ العصور والأزمنة والأمكنة، وفي كافّة المجالات وشؤون البشر.

وهذه القاعدة التي أسسنا لها لا يُستثنى منها أيّ نبي أو وصي، فلكلّ منهم عليهم السلام

---

(١) البقرة: آية١٢٩.

(٢) آل عمران: آية١٦٤.

(٣) الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص٢٨٠.

سيرته العطرة التي ينهل منها البشر للهداية والصلاح، إلّا أنّه يتفاوت الأمر بين أفرادهم من حيث الشدّة والضعف، وهو أمر عائد إلى المهام التي أنيطت بهم عليهم السلام، كما أخبر عز وجل بذلك في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[1]، فسيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ليست كبقية سير الأنبياء، كما أنّ سيرة الأئمة عليهم السلام ليست كبقية سير الأوصياء السابقين، كما أنّ التفاوت في سير الأئمة عليهم السلام فيما بينهم مما لا شك فيه، كما في تفضيل أصحاب الكساء على بقية الأئمة عليهم السلام.

والإمام الحسين عليه السلام تلك الشخصية القمّة في العلم والمعرفة والجهاد والتضحية والإيثار، أحد أصحاب الكساء الخمسة التي دلّت النصوص على فضلهم ومنزلتهم على سائر المخلوقات، الإمام الحسين عليه السلام الذي قدّم كلّ شيء من أجل بقاء النور الرباني، الذي يأبى الله أن ينطفئ، الإمام الحسين عليه السلام الذي بتضحيته تعلّمنا وعرفنا، فبقينا.

فمن سيرة هذه الشخصية العظيمة التي ملأت أركان الوجود تعلَّم الإنسان القيم المثلى التي بها حياته الكريمة، كالإباء والتحمّل والصبر في سبيل الوقوف بوجه الظلم، وغيرها من القيم المعرفية والعملية، التي كرَّس علماؤنا الأعلام جهودهم وأفنوا أعمارهم من أجل إيصالها إلى مجتمعات كانت ولا زالت بأمس الحاجة إلى هذه القيم، وتلك الجهود التي بُذلت من قبل الأعلام جديرة بالثناء والتقدير؛ إذ بذلوا ما بوسعهم وأفنوا أغلى أوقاتهم وزهرة أعمارهم لأجل هذا الهدف النبيل.

إلّا أنّ هذا لا يعني سدّ أبواب البحث والتنقيب في الكنوز المعرفية التي

---

(١) البقرة: آية٢٥٣.

تركها عليه السلام للأجيال اللاحقة ـ فضلاً عن الجوانب المعرفية في حياة سائر المعصومين عليهم السلام ـ إذ بقي منها من الجوانب ما لم يُسلّط الضوء عليه بالمقدار المطلوب، وهي ليست بالقليل، بل لا نجانب الحقيقة فيما لو قلنا: بل هي أكثر مما تناولته أقلام علمائنا بكثير، فلا بدّ لها أن تُعرَف لتُعرَّف، بل لا بدّ من العمل على البحث فيها ودراستها من زوايا متعددة، لتكون منهجاً للحياة، وهذا ما يزيد من مسؤولية المهتمين بالشأن الديني، ويحتّم عليهم تحمّل أعباء التصدّي لهذه المهمّة الجسيمة؛ استكمالاً للجهود المباركة التي قدّمها علماء الدين ومراجع الطائفة الحقّة.

ومن هذا المنطلق؛ بادرت الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدّسة لتخصيص سهم وافر من جهودها ومشاريعها الفكرية والعلمية حول شخصية الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة؛ إذ إنّها المعنيّة بالدرجة الأولى والأساس بمسك هذا الملف التخصصي، فعمدت إلى زرع بذرة ضمن أروقتها القدسية، فكانت نتيجة هذه البذرة المباركة إنشاء مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية، التابعة للعتبة الحسينية المقدّسة، حيث أخذت على عاتقها مهمّة تسليط الضوء ـ بالبحث والتحقيق العلميين ـ على شخصية الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة وسيرته العطرة، وكلماته الهادية، وفق خطة مبرمجة وآلية متقنة، تمّت دراستها وعرضها على المختصين في هذا الشأن؛ ليتمّ اعتمادها والعمل عليها ضمن مجموعة من المشاريع العلمية التخصصية، فكان كلّ مشروع من تلك المشاريع متكفّلاً بجانب من الجوانب المهمّة في النهضة الحسينية المقدّسة.

كما ليس لنا أن ندّعي ـ ولم يدّعِ غيرنا من قبل ـ الإلمام والإحاطة بتمام جوانب شخصية الإمام العظيم ونهضته المباركة، إلّا أنّنا قد أخذنا على أنفسنا بذل قصارى جهدنا، وتقديم ما بوسعنا من إمكانات في سبيل خدمة سيّد الشهداء عليه السلام، وإيصال أهدافه السامية إلى الأجيال اللاحقة.

المشاريع العلمية في المؤسسة

بعد الدراسة المتواصلة التي قامت بها مؤسَّسة وارث الأنبياء حول المشاريع العلمية في المجال الحسيني، تمّ الوقوف على مجموعة كبيرة من المشاريع التي لم يُسلَّط الضوء عليها كما يُراد لها، وهي مشاريع كثيرة وكبيرة في نفس الوقت، ولكلٍّ منها أهميته القصوى، ووفقاً لجدول الأولويات المعتمد في المؤسَّسة تمّ اختيار المشاريع العلميّة الأكثر أهميّة، والتي يُعتبر العمل عليها إسهاماً في تحقيق نقلة نوعية للتراث والفكر الحسيني، وهذه المشاريع هي:

الأوّل: قسم التأليف والتحقيق

إنّ العمل في هذا القسم على مستويين:

أ ـ التأليف

ويُعنَى هذا القسم بالكتابة في العناوين الحسينية التي لم يتمّ تناولها بالبحث والتنقيب، أو التي لم تُعطَ حقّها من ذلك. كما يتمُّ استقبال النتاجات القيِّمة التي أُلِّفت من قبل العلماء والباحثين في هذا القسم؛ ليتمَّ إخضاعها للتحكيم العلمي، وبعد إبداء الملاحظات العلمية وإجراء التعديلات اللازمة بالتوافق مع مؤلِّفيها يتمّ طباعتها ونشرها.

ب ـ التحقيق

والعمل فيه قائم على جمع وتحقيق وتنظيم التراث المكتوب عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ويشمل جميع الكتب في هذا المجال، سواء التي كانت بكتابٍ مستقلٍّ أو ضمن كتاب، تحت عنوان: (موسوعة المقاتل الحسينيّة). وكذا العمل جارٍ في هذا القسم على رصد المخطوطات الحسينية التي لم تُطبع إلى الآن؛ ليتمَّ جمعها وتحقيقها، ثمّ طباعتها ونشرها. كما ويتمُّ استقبال الكتب التي تمّ تحقيقها خارج المؤسَّسة، لغرض طباعتها ونشرها، وذلك بعد إخضاعها للتقييم العلمي من قبل اللجنة

العلمية في المؤسَّسة، وبعد إدخال التعديلات اللازمة عليها وتأييد صلاحيتها للنشر تقوم المؤسَّسة بطباعتها.

الثاني: مجلّة الإصلاح الحسيني

وهي مجلّة فصلية متخصّصة في النهضة الحسينية، تهتمّ بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني، وتسلِّط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذلك إبراز الجوانب الإنسانية، والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة، وقد قطعت شوطاً كبيراً في مجالها، واحتلّت الصدارة بين المجلات العلمية الرصينة في مجالها، وأسهمت في إثراء واقعنا الفكري بالبحوث العلمية الرصينة.

الثالث: قسم ردّ الشُّبُهات عن النهضة الحسينية

إنّ العمل في هذا القسم قائم على جمع الشُّبُهات المثارة حول الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، وذلك من خلال تتبع مظانّ تلك الشُّبُهات من كتب قديمة أو حديثة، ومقالات وبحوث وندوات وبرامج تلفزيونية وما إلى ذلك، ثُمَّ يتمُّ فرزها وتبويبها وعنونتها ضمن جدول موضوعي، ثمّ يتمُّ الردُّ عليها بأُسلوب علميّ تحقيقي في عدَّة مستويات.

الرابع: الموسوعة العلمية من كلمات الإمام الحسين عليه السلام

وهي موسوعة علمية تخصصية مستخرَجة من كلمات الإمام الحسين عليه السلام في مختلف العلوم وفروع المعرفة، ويكون ذلك من خلال جمع كلمات الإمام الحسين عليه السلام من المصادر المعتبرة، ثمّ تبويبها حسب التخصّصات العلمية مع بيان لتلك الكلمات، ثمّ وضعها بين يدي ذوي الاختصاص؛ ليستخرجوا نظريات علميّة ممازجة بين كلمات الإمام عليه السلام والواقع العلمي.

الخامس: قسم دائرة معارف الإمام الحسين عليه السلام أو (الموسوعة الألفبائية الحسينية)

وهي موسوعة تشتمل على كلّ ما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة من

أحداث، ووقائع، ومفاهيم، ورؤى، وأعلام وبلدان وأماكن، وكتب، وغير ذلك، مرتّبة حسب حروف الألف باء، كما هو معمول به في دوائر المعارف والموسوعات، وعلى شكل مقالات علميّة رصينة، تُراعَى فيها كلّ شروط المقالة العلميّة، مكتوبة بلغةٍ عصـرية وأُسلوبٍ حديث.

السادس: قسم الرسائل والأطاريح الجامعية

إنّ العمل في هذا القسم يتمحور حول أمرين: **الأوّل**: إحصاء الرسائل والأطاريح الجامعية التي كُتبتْ حول النهضة الحسينية، ومتابعتها من قبل لجنة علمية متخصّصة؛ لرفع النواقص العلمية، وتهيئتها للطباعة والنشر، **الثاني**: إعداد موضوعات حسينيّة من قبل اللجنة العلمية في هذا القسم، تصلح لكتابة رسائل وأطاريح جامعية، تكون بمتناول طلّاب الدراسات العليا.

السابع: قسم الترجمة

يقوم هذا القسم بمتابعة التراث المكتوب حول الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة باللغات غير العربية لنقله إلى العربية، ويكون ذلك من خلال تأييد صلاحيته للترجمة، ثمَّ ترجمته أو الإشراف على ترجمته إذا كانت الترجمة خارج القسم.

الثامن: قسم الرَّصَد والإحصاء

يتمُّ في هذا القسم رصد جميع القضايا الحسينيّة المطروحة في جميع الوسائل المتّبعة في نشر العلم والثقافة، كالفضائيات، والمواقع الإلكترونية، والكتب، والمجلات والنشريات، وغيرها؛ ممّا يعطي رؤية واضحة حول أهمّ الأُمور المرتبطة بالقضية الحسينية بمختلف أبعادها، وهذا بدوره يكون مؤثّراً جدّاً في رسم السياسات العامّة للمؤسّسة، ورفد بقيّة الأقسام فيها، وكذا بقية المؤسّسات والمراكز العلمية في شتّى المجالات.

التاسع: قسم المؤتمرات والندوات العلمية

ويتمّ العمل في هذا القسم على إقامة مؤتمرات وملتقيات وندوات علميّة فكرية متخصّصة في النهضة الحسينية، لغرض الإفادة من الأقلام الرائدة والإمكانات الواعدة، ليتمّ طرحها في جوٍّ علميّ بمحضر الأساتذة والباحثين والمحقّقين من ذوي الاختصاص، كما تتمّ دعوة العلماء والمفكّرين؛ لطرح أفكارهم ورؤاهم القيِّمة على الكوادر العلمية في المؤسَّسة، وكذا سائر الباحثين والمحققين وكلّ من لديه اهتمام بالشأن الحسيني، للاستفادة من طرق قراءتهم للنصوص الحسينية وفق الأدوات الاستنباطية المعتمَدة لديهم.

العاشر: قسم المكتبة الحسينية التخصصية

وهي مكتبة حسينية تخصّصية تجمع التراث الحسيني المخطوط والمطبوع، أنشأتها مؤسَّسة وارث الأنبياء، وهي تجمع آلاف الكتب المهمّة في مجال تخصُّصها.

الحادي عشر: قسم الموقع الإلكتروني

وهو موقع إلكتروني متخصِّص بنشر نتاجات وفعاليات مؤسَّسة وارث الأنبياء، يقوم بنشر وعرض كتبها ومجلاتها التي تصدرها، وكذا الندوات والمؤتمرات التي تقيمها، وكذا يسلِّط الضوء على أخبار المؤسَّسة، ومجمل فعالياتها العلمية والإعلامية.

الثاني عشر: القسم النسوي

يعمل هذا القسم من خلال كادر علمي متخصص وبأقلام علمية نسوية في الجانب الديني والأكاديمي على تفعيل دور المرأة المسلمة في الفكر الحسيني، كما يقوم بتأهيل الباحثات والكاتبات ضمن ورشات عمل تدريبية، وفق الأساليب المعاصرة في التأليف والكتابة.

الثالث عشر: القسم الفني

إنّ العمل في هذا القسم قائم على طباعة وإخراج النتاجات الحسينية التي تصدر عن المؤسَّسة، من خلال برامج إلكترونية متطوِّرة يُشرف عليها كادر فنيّ متخصِّص، يعمل على تصميم الأغلفة وواجهات الصفحات الإلكترونية، وبرمجة الإعلانات المرئية والمسموعة وغيرهما، وسائر الأمور الفنيّة الأخرى التي تحتاجها كافّة الأقسام.

وهناك مشاريع أُخرى سيتمّ العمل عليها إن شاء الله تعالى.

قسم الرسائل والأطاريح الجامعية في مؤسسة وارث الأنبياء

يتكفّل قسم الرسائل والأطاريح الجامعية بمهمّة نشر الفكر الحسيني المبارك، من خلال تفعيل الدراسات والأبحاث العلمية الحسينية في الأوساط الجامعية والأكاديمية بمستوياتها الثلاثة: البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه، مضافاً إلى الرُقي بالمستوى العلمي والتحقيقي للكفاءات الواعدة المهتمّة بالنهضة الحسينية في جميع مجالاتها. وقد تصدّى لهذه المسؤولية نخبة من الأساتذة المحقِّقين في المجال الحوزوي والأكاديمي.

أهداف القسم

الغاية من وراء إنشاء هذا القسم جملة من الأهداف المهمّة، منها:

١ـ إخضاع الدراسات والأبحاث الحسينية لمناهج البحث المعتمَدَة لدى المعاهد والجامعات.

٢ـ إبراز الجوانب المهمّة وفتح آفاق جديدة أمام الدراسات والأبحاث المتعلّقة بالنهضة الحسينية، من خلال اختيار عناوين ومواضيع حيوية مواكبة للواقع المعاصر.

٣ـ الارتقاء بالمستوى العلمي للكوادر الجامعية، والعمل على تربية جيل يُعنَى

بالبحث والتحقيق في مجال النهضة الحسينية الخالدة.

٤ـ إضفاء صبغة علمية منهجية متميزة على صعيد الدراسات الأكاديمية، المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

٥ـ تشجيع الطاقات الواعدة في المعاهد والجامعات؛ للولوج في الأبحاث والدراسات العلمية في مختلف مجالات البحث المرتبطة بالنهضة الحسينية، ومن ثَمّ الاستعانة بأكفّائها في نشر ثقافة النهضة، وإقامة دعائم المشاريع المستقبلية للقسم.

٦ـ معرفة مدى انتشار الفكر الحسيني في الوسط الجامعي؛ لغرض تشخيص آلية التعاطي معه علمياً.

٧ ـ نشر الفكر الحسيني في الأوساط الجامعية والأكاديمية.

٨ ـ تشخيص الأبعاد التي لم تتناولها الدراسات الأكاديمية فيما يتعلّق بالنهضة الحسينية، ومحاولة العمل على إبرازها في الدراسات الجديدة المقترحة.

٩ـ التعريف بالرسائل الجامعية المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة؛ والتي تمّت كتابتها ومناقشتها في الجامعات.

آليات عمل القسم

إنّ طبيعة العمل في قسم الرسائل الجامعية تكون على مستويات ثلاثة:

المستوى الأوّل: العناوين والمواضيع الحسينية

يسير العمل فيه طبقاً للخطوات التالية:

١ـ إعداد العناوين والموضوعات التخصّصية، التي تُعنَى بالفكر الحسيني طبقاً للمعايير والضوابط العلمية، مع الأخذ بنظر الاعتبار جانب الإبداع والأهمية لتلك العناوين.

٢ـ وضع الخطّة الإجمالية لتلك العناوين والتي تشتمل على البحوث التمهيدية والفصول ومباحثها الفرعية، مع مقدّمة موجَزَة عن طبيعة البحث وأهميته والغاية

منه.

٣ـ تزويد الجامعات المتعاقد معها بتلك العناوين المقترَحَة مع فصولها ومباحثها.

المستوى الثاني: الرسائل قيد التدوين

يسير العمل فيه على النحو التالي:

١ـ مساعدة الباحث في كتابة رسالته من خلال إبداء الرأي والنصيحة.

٢ـ استعداد القسم للإشراف على الرسائل والأطروحات فيما لو رغب الطالب أو الجامعة في ذلك.

٣ـ إنشاء مكتبة متخصِّصة بالرسائل الجامعية؛ لمساعدة الباحثين على إنجاز دراساتهم ورسائلهم، فضلاً عن إتاحة الفرصة أمامهم للاستفادة من مكتبة المؤسَّسة المتخصّصة بالنهضة الحسينية.

المستوى الثالث: الرسائل المناقشة

يتمّ التعامل مع الرسائل التي تمّت مناقشتها على النحو التالي:

١ـ وضع الضوابط العلمية التي ينبغي أن تخضع لها الرسائل الجامعية، تمهيداً لطبعها ونشرها وفقاً لقواعد ومقرَّرات المؤسَّسة.

٢ـ رصد وإحصاء الرسائل الأكاديمية التي تمّ تدوينها حول النهضة الحسينية المباركة.

٣ـ استحصال متون ونصوص تلك الرسائل من الجامعات المتعاقَد معها، والاحتفاظ بها في مكتبة المؤسَّسة.

٤ـ قيام اللجنة العلمية في القسم بتقييم الرسائل المذكورة، والبتِّ في مدى صلاحيتها للطباعة والنشر من خلال جلسات علمية يحضرها أعضاء اللجنة المذكورة.

٥ـ تحصيل موافقة صاحب الرسالة لإجراء التعديلات اللازمة، سواء أكان

ذلك من قبل الطالب نفسه أم من قِبل اللجنة العلمية في القسم.

٦ـ إجراء الترتيبات القانونية اللازمة لتحصيل الموافقة من الجامعة المعنِيَّة وصاحب الرسالة على طباعة ونشر رسالته التي تمّت الموافقة عليها بعد إجراء التعديلات اللازمة.

٧ـ فسح المجال أمام الباحث؛ لنشر مقال عن رسالته في مجلة (الإصلاح الحسيني) الفصلية المتخصِّصة في النهضة الحسينية التي تصدرها المؤسَّسة.

٨ ـ العمل على تلخيص الرسائل الجامعية، ورفد الموقع الإلكتروني التابع للمؤسَّسة بها، ومن ثَمَّ طباعتها تحت عنوان: دليل الرسائل الجامعية المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

هذه الرسالة: ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأثرها على حركات المعارضة حتّى عام ١٣٢هـ

إنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت شاملة لمختلف مجالات الحياة فهي نهضة علمية اقتصادية سياسية فكرية عقائدية، وهي نهضة بوجه جميع الانحرافات على مختلف المستويات، فهي في واقعها رفض كلّ ظلم وانحراف يضر بالفرد والمجتمع؛ لذلك كانت هذه النهضة المباركة نهضة إصلاح وكفاح وتغيير للأوضاع المأساوية التي خلقتها الحكومات الجائرة في ذلك الزمان والتي حرّفت التعاليم الإسلامية على مستوى العقيدة والفقه والأخلاق وسائر القيم والمبادئ الحقة. تلك الحكومات التي أرادت لمشعل الهداية الأخير أن ينطفئ ولكن يأبى الله تعالى إلّا أن يتمّ نوره، وببركة الدماء الزاكية التي صعدت في سماء كربلاء بدأت رياح التغيير تهب في العالم الإسلامي، وبدأت الضمائر تصحو وتستيقظ من سبات عميق، فحصلت تغييرات عديدة بعضها آني وقريب وبعضها على المدى البعيد، ومن تلك الأمور الثورات العديدة التي حصلت في العالم الإسلامي والتي كانت متأثرة بنهضة الإمام الحسين عليه السلام سواء على مستوى القيم والمبادئ أو الشعارات والكلمات

أو الأهداف والغايات أو غير ذلك. ولا نريد أن نقول: إنّ جميع تلك الثورات على الحكم الجائر كانت حقة وفي محلّها وبرجالاتها الأكفاء، وإنّما نريد أن نبيّن حقيقة من الحقائق وهي تأثر الكثير من تلك الثورات بنهضة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما يستدعي البحث عن النهضة الحسينية وخلفياتها ومبادئها وقيمها، ثمّ عرض كيفية تأثير هذه النهضة بباقي الثورات اللاحقة.

وهذا ما سلّط الباحث عليه الضوء في هذه الرسالة، فبعد أن بيّن نبذة عن حياة الإمام الحسين عليه السلام تطرّق إلى أسباب النهضة ودوافعها، ثمّ تطرّق إلى الأوضاع من حين خروج الإمام الحسين عليه السلام حتّى استشهاده، ثمّ بيّن حركات المعارضة التي تأثرت بتلك النهضة المقدّسة إلى سنة ١٣٢ هجرية.

وفي الختام نسأل الله تعالى للمؤلِّف دوام السَّداد والتوفيق لخدمة القضية الحسينية، ونسأل الله تعالى أن يبارك لنا في أعمالنا إنَّه سميعٌ مجيبٌ.

اللجنة العلمية في
مؤسسة وارث الأنبياء
للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

مقدّمة قسم الرسائل الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلائق المسمّى في السماء بأحمد وفي الأرض بأبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

لا شكّ أنّ التعرّف على تجليات النهضة الحسينية هو تعرّف على السنن التاريخية والسنن الإلهية التي تتعلّق برسالة السماء وسيرة المعصومين عليهم السلام، فنهضة الإمام الحسين عليه السلام هي أهمّ محطات الإصلاح التي تركت بصماتها خالدة على جبين التاريخ، غير متأثّرة بعامل الزمان والمكان؛ ما جعل عطاءها دائماً ومستمراً، فصرخة التحدّي الحسيني الذي هزّت عروش الجبابرة وأيقظت الوجدان الإسلامي صارت سمفونية إباء يعزفها كل حر من أبناء هذه الأمة.

لقد عاين الإمام الحسين عليه السلام من خلال انتفاضته في وجه الظلم سرّ الخلود الأبدي، وفتح بدمائه ودماء أنصاره أبواب الملكوت، حتى تجلّى على رمضاء كربلاء الكمال الإنساني بأعظم بهائه وجماله. وباتت نهضته الخالدة المباركة أيقونة الإباء والعزة والكرامة، ومدرسة تستلهم منها كلُ نهضة قامت للحق ومن أجل الحق دروسَ الإباء والحرية، كما عبّر عن ذلك الزعيم الهندي غاندي: «**لقد علمني الحسين كيف أكون مظلوما فأنتصر**». نهضة هيمنت على وجدان الأمة الواعي، وأعادت صياغة قيم الإنسانية المغيّبة من خلال ما تمثله سيد الشهداء عليه السلام وأصحابه في رمضاء كربلاء وعضاً وإرشاداً، وجسّدوه تضحيةً وشهادةً، رافضين من خلال

صرخاتهم المدوية «**هيهات منّا الذلة**» حالة استعباد الإنسان للإنسان، ومطالبين بسيادة الشرع والقانون الإلهي.

وانطلاقاً من هذه الرؤية الواعية والواقعية لفلسفة النهضة الحسينية، التي تتمحور حول صناعة الإنسان الرسالي؛ تبلورت فكرة هذا المشروع المبارك الذي تبنّته مؤسسة وارث الأنبياء، للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، وأخذ أعضاء قسم الرسائل الجامعية بالمؤسسة المذكورة على عاتقهم مهمة تفعيل الفكر الحسيني بجميع أبعاده العقدية والتاريخية والفقهية والاخلاقية و... في الوسط الجامعي بمستوياته الثلاث: البكالوريوس والماجستير والدكتوراه.

ومن بين تلك الرسائل الجامعية القيمة ـ التي اختارتها المؤسسة للطباعة بعد إدخال التعديلات اللازمة عليها بالتوافق مع صاحبها ـ رسالة في مجال التخصص التاريخي تحت عنوان «ثورة الإمام الحسين وأثرها على حركات المعارضة حتى عام ١٣٢هـ». حيث تناول فيها الباحث جملة من الحركات التي استلهمت رسالتها الثورية من النهضة الحسينية، وأرّخت لكينونتها الإنسانية من كربلاء، وغذّت أراضيها بامتداد الدم الحسيني الذي يجري في عروق ثوارها الأحرار.

وقد أجاد الباحث بمنهجه التحقيقي التحليلي في تناول محتويات التاريخية الأولية، حتى بدت رسالته التي بين أيدينا جامعة في مضمونها؛ متسلسلة الفصول والمباحث؛ رصينة في لغتها العلمية والأدبية.

قسم الرسائل الجامعية
في
مؤسسة وارث الأنبياء

المقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين إمام المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، اللهمّ إنك ثقتي في كلّ كرب ورجائي في كلّ شدّة، وبعد:

فمما لا شكّ فيه أنّ موضوع هذه الرسالة الذي كان تحت عنوان: (ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأثرها في حركات المعارضة حتى عام ١٣٢هـ)، موضوع ذو أهمية كبيرة؛ لما تركه استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ومأساة كربلاء من صدع في قلوب المسلمين حتى الوقت الحاضر، وأنّ أكثر ما أستأثر باهتمام الناس من ثورة الإمام الحسين عليه السلام هو جانب القصّة فيها؛ لما أشتمل عليه من مظاهر البطولة النادرة والسموّ الإنساني لدى الثائرين وقائدهم العظيم، المتمثّل بالتضحية بكلّ عزيز على النفس من الولد والمال والأمن في سبيل المبدأ والصالح العام، مع القلّة في العدد واليأس من النصر العسكري.

ومن جهة أخرى اشتمل هذا الجانب على مظاهر الخسّة والإنحطاط الإنساني لدى مجموعة تفنّنت في تنفيذ جريمتها الوحشية؛ باستئصال الثائرين بصورة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً.

لقد سطّرت المجموعة الحسينية الثائرة من الحبّ، حبّ الثائرين لجلّاديهم

وإشفاقهم عليهم من السلطة الجائرة التي تستخدمهم، وتغرّر بهم، وتدفعهم لحرب القوى التي تريد لهم الخير والصلاح، وحبّ الثائرين بعضهم لبعض بحيث يدفع كلاً منهم إلى طلب الموت قبل صاحبه؛ لئلا يرى صاحبه مقتولاً قبله، إلى غير ذلك مما تعرضه قصة هذه الثورة من أنبل ما في الإنسان في الفكر والقول والعمل لدى الثائرين، وأحطّ ما فيه من غرائز لدى الحاكمين وأعوانهم.

وما نتج من تقابل هذه النماذج المتضادّة من المثل والمبادئ والعواطف من مأساة دامية لا تزال تثير الأسى في قلب كلّ من سمعها وقرأها، وقد بلغ من قوة تأثير الجانب القصصي المأساوي من هذه الثورة بما له من دلالات مثيرة، أنّه فرض نفسه على معظم من كتب عنها ـ إن لم يكن كلّهم ـ فحدّدوا دراساتهم على هذا الجانب من دون غيره.

ولكنّ الجانب القصصي ـ على ما له من مزايا تربوية وتوجيهية ـ لم يكن هو المعبّر الوحيد عن مضمون الثورة، بل هو الجزء الظاهر من عملية تاريخية واسعة النطاق، فلكلّ ثورة ظروف سياسية واجتماعية معينة ولكلّ ثورة ـ وإن كانت فاشلة عسكرياً ـ آثار ونتائج.

ولا يمكن أن تفهم الثورة على وجهها ما لم تدرس من جميع جوانبها: مقدماتها، وفصولها، ونتائجها. وهو ما هدفت إليه في هذه الرسالة، فقد حاولت أن أشير إلى أهمّ الظروف التي كان لها التأثير الواضح في قيام ثورة الإمام الحسين عليه السلام والأوضاع التي أحاطت بها، والملابسات التي أدّت إليها، والآثار التي نجمت عنها الحياة الإسلامية، واعتقد أنّ كثيراً من الثورات في التاريخ الإسلامي لم تحض بعد بالعناية التي تستحقّها من المؤرّخين والباحثين، بل أنصبّت عنايتهم على تاريخ السلطة الحاكمة التي تحاول أن تسبغ على نفسها دائماً صفة الشرعية، أما الثورات وهي في الحقيقة تمثّل الجانب الآخر من قصّة الحكم في الإسلام، وقد عولجت بصورة جانبية، وبعضها بروح معادية.

أمّا عن مخطط البحث الذي اتبعناه هنا فهو يشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر الأولية والمراجع الحديثة.

تضمّن التمهيد ذكر شيء من حياة الإمام الحسين عليه السلام صاحب هذه الثورة، من حيث النسب والمولد والمكانة السامية التي ذكرت في القرآن الكريم والرعاية التي حصل عليها من قبل الرسول صلى الله عليه وآله، فضلاً عن عرض موجز لمكانة الإمام الحسين عليه السلام لدى معاصريه وعبر الأجيال.

وقد خصّص الفصل الأول لدراسة دوافع وأسباب ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وبداية خلافة يزيد وإعلان الثورة، حيث اشتمل على ثلاثة مباحث، تحدثنا في المبحث الأول عن أهمّ دوافع الثورة الحسينية، والتي تعلّقت بحياة المسلمين بصورة عامة، أما المبحث الثاني، فقد تضمن طلب البيعة من الأمصار وماله من أثر في قيام ثورة الإمام الحسين عليه السلام، أما المبحث الثالث، فكان يخصّ خلافة يزيد، وخروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة وإعلان الثورة.

وخصّص الفصل الثاني لدراسة أوضاع الثورة بعد خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق حتى استشهاده، فضلاً عن ردود الأفعال المباشرة بعد استشهاده عليه السلام، وأثر استشهاده على أهل الحجاز، وما جرى من وقائع عليهم إبّان موقعة الحرّة، كذلك تناولنا في هذا الفصل أحداث حركة التوّابين منذُ نشوئها وما سعت إليه من الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام حتى نهاية هذه الحركة في عين الوردة.

أما الفصل الثالث، فقد اشتمل على حركات المعارضة منذ حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي حتى نهاية العصر الأموي، وقد قسّم الفصل إلى ثلاثة مباحث حيث خصّص المبحث الأول لأحداث حركة المختار الثقفي، وقد أعطينا لهذه الحركة أهمية خاصّة عن باقي حركات المعارضة؛ ذلك لارتباطها المباشر بالثورة من خلال سعي

المختار إلى الانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، والمطالبة بدماء أهل البيت عليهم السلام من قاتليهم، وليس النظام الحاكم كما فعل التوابون من قبل. وقد قمنا بدراسة حركة المختار الثقفي قبل حركة عبد الله بن الزبير في الحجاز على الرغم من أنّ حركة ابن الزبير قد ظهرت قبل حركة المختار، هذا من حيث التسلسل التاريخي للأحداث إلا أنّنا قد خصّصنا المبحث الثاني لدراسة حركة عبد الله بن الزبير على اعتبار أنّ هذه الحركة قد استمرّت إلى ما بعد نهاية المختار، وإلى ما أشتملته هذه الحركة من مساحات واسعة من البلاد الإسلامية حتى كادت أن تقضي على سلطان الأمويين.

أما المبحث الثالث، فقد خصّص لدراسة حركات المعارضة بعد نهاية حركة عبد الله بن الزبير، وقد أطلقنا على هذا المبحث تسمية حركات المعارضة بعد عام الجماعة الثاني، إشارة إلى أنّ عام الجماعة الأول كان سنة ٤١هـ/ ٦٦١م، أي بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان، وعلى اعتبار أنّ عبد الله بن الزبير قد أعلن نفسه خليفةً في الحجاز، فأصبح هناك خليفتان في وقت واحد، ففي الوقت الذي كان فيه ابن الزبير مبايعاً على الخلافة في الحجاز، كان عبد الملك بن مروان خليفةً قد بويع في الشام، ولم تصحّ خلافة عبد الملك على رأي السيوطي ـ وهو من كبار فقهاء ومفسري المسلمين السنة ـ إلا بعد أن قتل عبد الله بن الزبير، وقد تناولنا في هذا المبحث أربع حركات للمعارضة، كان سقوط الدولة الأموية على يد الأخيرة منها، ألا وهي الثورة العباسية. وأودّ أن أشير هنا إلى أنّني كباحث لم أتطرّق إلى حركات المعارضة التي لم تقم من أجل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، ولم يكن لثورته تأثير عليها لا من قريب ولا بعيد؛ مثل حركات الخوارج التي كانت قائمةً قبل الثورة الحسينية، فضلاً عن الحركات التي قامت من أجل أغراض شخصية؛ مثل حركة يزيد بن المهلب في البصرة أيام خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م، على الرغم من أنّ الدراسة

قد شملت بعض الحركات التي اتخذت من ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) ذريعةً لكسب رضى المجتمع الذي تدور في فلكه تلك الثورات؛ لتحقيق مآرب شخصيه؛ مثل حركة عبد الله بن الزبير، وحركة عبد الرحمن بن الاشعث، والثورة العباسية.

وأخيراً فقد خصّصنا الخاتمة لبيان أهم النتائج التي توصّل إليها الباحث.

وأمّا عن المصادر التي اعتمدناها فنقسّمها ابتداءً إلى:

١ ـ كتب التفسير والحديث.

٢ ـ كتب التاريخ العام.

٣ـ كتب اللغة والتراجم.

٤ ـ كتب الأدب وباقي العلوم الأخرى.

٥ ـ كتب المراجع الحديثة.

وسنقوم بذكر أهمّ المصادر حسب وفاة مؤلفيها، وبهذا سيكون أول كتب التفسير التي اعتمدناها هو كتاب (الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، للزمخشري أبي القاسم جار الله محمد بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، حيث يعدّ هذا التفسير من التفاسير المهمّة عند جمهور المسلمين، وقد أفادنا في تفسير مكانة أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم، و المصدر الثاني هو تفسير (مجمع البيان في تفسير القرآن)، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ/ ١١٤٧م)، وقد أفادنا هذا الكتاب كثيراً في إعطاء تفسير للآيات التي جاءت بحق أهل البيت عليهم السلام، وبصورة مفصّلة عما جاء في التفسير الأول، وفضلاً عن هذين التفسيرين، فهناك تفاسير أخرى استفدنا مما جاء فيها من ذكر لأهل البيت، وقد كانت تنبع من المنطلق الذي ذكرنا.

أما بخصوص كتب الحديث فنذكر في أولها كتاب (صحيح البخاري)، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٥٩م)، وقد زوّدنا هذا المصدر بالأحاديث التي

تخصّ مكانة الإمام الحسين عليه السلام، وما لهذه الأحاديث من أهمية؛ لكونها قوية السند. أما الكتاب الثاني فهو كتاب (سنن ابن ماجة)، لمحمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، وقد أورد حديثاً عن مكانة الإمام الحسين عليه السلام عند الرسول صلى الله عليه وآله، فضلاً عن ذكر حديث حول مرضعة الحسين وما رأت من أنّ عضواً من أعضاء الرسول في بيتها. وأودّ أن أورد كتاب حديث آخر وهو كتاب (سنن الترمذي)، لمحمد بن عيسى بن سَورة (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، ويحتوي كتاب الحديث هذا على مجموعة أحاديث جاءت في حقّ الإمام الحسين عليه السلام لا تقلّ أهمية عن ما جاء في الكتابين السابقين، وفضلاً عن هذه الكتب فهناك كتب حديث أخرى لا يسعنا ذكرها.

وأما عن كتب التاريخ العام، فنذكر أوّلها كتاب (أبجد الشيعة) المعروف بكتاب سليم بن قيس العامري (ت ٧٦هـ/ ٦٩٥م) ويعدّ من أوائل الكتب التي أرّخت لجزء من التاريخ الأموي، وهو من المصادر المهمّة؛ لأنّ الكاتب يعدّ من شهود العيان عن تلك الفترة؛ فهو أحد أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد أفادنا هذا المصدر؛ بما فيه من معلومات تخصّ دوافع الثورة الحسينية.

أما الكتاب الثاني، فهو كتاب (مقتل الإمام الحسين) المعروف بمقتل أبي مخنف لصاحبه لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ/ ٧٧٣م)، لقد أفادنا هذا المصدر بنقل وقائع استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بصورة مفصّلة، فضلاً عن كون المؤلّف من أهل الكوفة فهو أقرب للحوادث من غيره، إلا أنّ ما يؤخذ عليه أنّ رواياته كان يشوبها نوع من الخيال، وخاصة في أحداث واقعة يوم عاشوراء، إلا أنّنا نجد العديد من كبار المؤرّخين قد أخذ عن أبي مخنف؛ مثل البلاذري والطبري وغيرهما.

وكذلك نذكر كتاب (تاريخ خليفة بن خياط)، لخليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، فهو مصدر قديم حول المنهج، تحدّث عن أكثر من قرنين من

الزمن، وقد أرّخ المؤرّخ فيه لأحداث سياسية مهمّة، وقد استفدنا منه كثيراً فيما يخصّ أخبار الخلفاء الأمويين وتوضيحها.

أما المصدر الثاني هو كتاب (الإمامة والسياسة)، المنسوب لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٧٩م)، وقد أفادنا هذا الكتاب في ذكر أخبار الخلفاء الأمويين؛ كونه كتاباً عني بتاريخ الخلفاء، وقد ذكر صاحبه أحداث طلب البيعة ليزيد زمن معاوية بن أبي سفيان بصورة مفصّلة أكثر من غيره ممن جاء بعده من المؤرخين.

ونذكر كذلك كتاب (أنساب الأشراف)، للبلاذري أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) وهو كتاب كبير، لم يقف مؤلّفه فيه عند حدود بيان نسب الأشراف، بل تطرّق إلى الأخبار التاريخية العامة بين كتب الأنساب والتاريخ والتراجم والأدب وغيرها.

ونذكر كذلك كتاب (الأخبار الطوال)، لأبي حنيفة أحمد الدينوري (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) وقد أرفدنا هذا المصدر بالمعلومات الخاصّة باستشهاد مسلم بن عقيل، فضلاً عن بعض ما نقله عن أحداث حركة المختار الثقفي، وقد جاءت أخباره بصورة مختصرة.

وكذلك كتاب (تاريخ اليعقوبي)، لمؤلفه اليعقوبي أحمد بن إسحاق (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)، فهو كتاب مهمّ يتميّز بالقدم والموضوعية، وقد تنازل هذا المؤرخ في فترات التاريخ القديم والإسلامي منتهياً عند فترة الخليفة العباسي (المعتمد)، وقد تحدّدت فائدتنا منه فيما يخصّ أخبار الخلفاء الأمويين وولاتهم.

ومن المصادر التاريخية الأخرى نذكر كتاب (تاريخ الرسل والملوك)، للطبري محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، وهو من المصادر الموسوعية المتميّزة، تناول أحداث ثلاثة قرون من التاريخ الإسلامي، وقد تعدّدت موارد هذا المؤرّخ في هذا الكتاب؛ لذا كانت فائدتنا منه كبيرة وموزّعة على عموم الرسالة.

ومن المصادر التاريخية الأخرى كتاب (الفتوح)، لابن أعثم الكوفي (٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، وهو من المصادر المهمّة؛ لكونه يقوم بنقل الأحداث بصورة مفصّلة على الرغم من انعدام السند في رواياته، وعدم استخدامه الطريقة الحولية، وقد كانت فائدتنا منه على عموم الرسالة.

ومن المصادر التاريخية الأخرى نذكر كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، فهو واحد من كتب التاريخ العام المهمّة، التي تمتاز بالتفصيل والإسناد التاريخي المتعدّد، وقد كانت فائدتنا منه كبيرة.

ونذكر كذلك كتاب (مقاتل الطالبيين)، لأبي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)؛ إذ يعدّ هذا الكتاب من الكتب التي عنيت بحركات المعارضة التي قادها الطالبيون في العصرين الأموي والعباسي، وهو من الكتب المهمّة في هذا المجال.

وهناك مصادر تاريخية أخرى عديدة اعتمدناها، ولا يسعني ذكرها جميعاً منها كتاب (مقتل الحسين)، للخوارزمي أبي مؤيد بن أحمد (ت ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)، وقد اعتمد في تدوين الكثير من رواياته على كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي، وكتاب (التاريخ الكبير) لابن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، وكتاب (اللهوف في قتلى الطفوف) لابن طاووس علي بن موسى الحسيني (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) والذي يذكر فيه حادثة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بصورة مفصّلة، وكتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم)، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، وكتاب (الكامل في التاريخ)، لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، والذي اعتمد في كثير من رواياته على الطبري، وكتاب (البداية والنهاية)، لابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، وكتاب (تاريخ ابن خلدون)، لابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، وغيرها من المصادر الأخرى.

وأمّا عن كتب الطبقات والتراجم فنذكر منها؛ كتاب (الطبقات الكبرى) لابن سعد محمد بن سعد البصري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، وهو كتاب مهمّ وكبير أفادنا بمعلومات تاريخية مهمّة عن الأوضاع السياسية أثناء الخلافة الأموية.

كذلك كتاب (الاستيعاب في أسماء الأصحاب)، لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، فهو من المصادر التاريخية المهمّة، يترجم للصحابة (رض) ولابدّ لأيّ باحث في التاريخ الإسلامي من الرجوع إليه، وقد كانت فائدتنا منه كبيرة في كثير من مواضيع الرسالة.

كما نشير هنا أيضاً إلى كتابين مهمّين هما، كتاب (تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام)، للذهبي محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، وكتاب (الإصابة في تمييز الصحابة)، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) إذ أفادنا كلّ منهما بمعلومات تاريخية مهمّة وخاصة في علم الرجال.

ومن كتب الأدب والعلوم الأخرى نذكر كتاب (البيان والتبيين)، للجاحظ عمرو ابن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، وكتاب (الأغاني)، لأبي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، فقد احتوى كلّ منهما على معلومات تاريخية مهمّة أفادتنا في مواضع عديدة من هذه الرسالة.

كذلك نذكر كتاب (معجم البلدان)، لشهاب الدين ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، وهو كتاب جغرافي وتاريخي في وقت واحد، وقد كانت فائدتنا منه كبيرة في تحديد المواقع على العديد من مواضيع الرسالة.

وأخيراً نذكر شيئاً عن الكتب الحديثة، التي رجعنا إليها، من أجل الاستفادة من آراء مؤلفيها وأهم ما وصلوا إليه وأبرزها كتاب (الفتنة الكبرى)، للدكتور طه حسين، وكتاب (مقتل الإمام الحسين)، للمقرم، وكتاب (الوثائق الرسمية لثورة الإمام

الحسين)، لعبد الكريم الحسيني، وكتاب (الحسين في الفكر المسيحي)، لأنطوان بارا، وكتاب (عبد الملك بن مروان والدولة الأموية)، للدكتور محمد ضياء الدين الريس، وكتاب (العراق في العصر الأموي)، للدكتور ثابت إسماعيل الراوي، وكتاب (التمدن الإسلامي)، لجرجي زيدان، وكتاب (الدولة العربية وسقوطها)، ليوليوس ولهاوزن، فضلاً عن العديد من المراجع التي لا يسعنا ذكرها، وقد أسهمت هذه المراجع بشكل واضح في توضيح النقاط الغامضة على طول الرسالة.

وأخيراً أرجو من الله أن أكون قد وفّقت في إعطاء الشيء اليسير عن هذه الثورة العظيمة، وما كان لها من تأثير واضح في أحداث التاريخ اللاحقة، وأودّ أن أذكر بأنّي لم أستطع الإحاطة؛ لأنّ الله تعالى هو المحيط بكلّ شيء، ولم أستطع إكمال أيّ شيء لأنّ الكمال لله وحده، وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

التمهيد

لمحة من حياة

الإمام الحسين عليه السلام ومكانته

التمهيد

لمحة من حياة الإمام الحسين عليه السلام ومكانته

أولاً: نسبه ومولده وكنيته وألقابه

١ ـ نسبه

هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي المدني، أمّه فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

قال ابن حجر في الإصابة «**أبو عبد الله سبط الرسول صلى الله عليه وآله وريحانته**»[٢].

٢ ـ مولده

ولد الإمام الحسين عليه السلام بالمدينة المنورة في الثالث من شعبان من السنة الرابعة من الهجرة[٣].

---

(١) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م)، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، المطبوع على هامش الإصابة في تمييز الصحابة، تح: طه محمد، ط١، مطبعة السعادة، (القاهرة ـ ١٩٩٠م): ج٢، ص٣٧٨.

(٢) ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: طه محمد، ط١، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٩١٠م): ج٢، ص٣٣٢.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٢، ص٣٧٨.

وقيل: إنّه ولد في الخامس من شعبان من السنة نفسها[١].

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: لم يكن بين ولادة الحسن عليه السلام والحمل بالحسين إلا طهرٌ واحد[٢]، والطهر حسب رواية البخاري التي نسبها للإمام جعفر الصادق عليه السلام هي مدّة زمنية يقاس عليها الحمل لدى النساء، وليس من المؤكد أنّها تسري على سيدة نساء العالمين عليها السلام، ولكنه مجرّد وقت لتحديد حالة الحمل، إلا أنّ ابن قتيبة حدّد ما بين ولادة الإمام الحسن عليه السلام والحمل بالحسين باثنين وخمسين يوماً[٣]، وقد كانت ولادة الإمام الحسن عليه السلام في النصف من رمضان سنة ٣هـ/ ٦٢٤م[٤]، وولادة الإمام الحسين عليه السلام، في بضع ليالٍ خلت من شعبان في السنة الرابعة من الهجرة المباركة، فتكون مدة الحمل به تسعة أشهر[٥].

ولمّا وُلِدَ الحسين عليه السلام: «**جيء به إلى النبي صلى الله عليه وآله فأستبشر به وأذّن في أذنه اليُمنى، وأقام في أذنهِ اليُسرى، وسمّاه حُسيناً في اليوم السابع من مولده، وعقَ عنه بكبش، وحلق**

---

(١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: خليل مأمون شيحا، ط٢، دار المعرفة، (بيروت، ٢٠٠١م): ج٢، ص٢٢؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٤م): ج٢، ص٢٩٩.

(٢) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، التاريخ الكبير، تح: مصطفى عبد القادر أحمد، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠١م): ج٢، ص٢٦٨.

(٣) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، المعارف، تح: ثروت عكاشة، ط١، مطبعة أمير، (ايران، ١٩٩٤م): ص١٥٨؛ القرشي، باقر شريف، حياة الامام الحسين، ط٤، مطبعة باقري، (قم، ١٩٩٢م)؛ ص٢٥.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب: ج٢، ص٢٥٧.

(٥) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، (بيروت، د. ت)، مج١، ص١٤١؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، كتاب المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، ط١، مطبعة دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٩١م): ج٣، ص٥٦٨؛ ابن حجر، الإصابة: ج٢، ص٣٣٢.

رأسه وتصدق بوزن شعره فضة»[١].

وقال ابن الأثير: «**أبو عبد الله ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وشبهه من الصدر إلى أسفل منه، ولما ولد أذّن النبي في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وهو سيد شباب أهل الجنة، وخامس أهل الكساء**»[٢].

٣ ـ كُنيته وألقابه

لقد تكنّى الإمام الحسين عليه السلام بأبي عبد الله[٣] ولُقّب بألقابٍ عدّة أبرزها شهرة السبط؛ أي سبط رسول الله، وهو اسمٌ يطلق على ابن البنت[٤]. وأشهر ألقاب الإمام الحسين عليه السلام ما لقّبه به جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قوله بحقّه وحقّ أخيه الحسن عليهما السلام: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خيرٌ منهما**»[٥].

وقال ابن الأثير: «**الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة لم يكونا في الجاهلية**»[٦].

---

(١) الخوارزمي، أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكي (ت ٥٦٨ هـ، ١١٧٢م)، مقتل الحسين، تح: محمد السماوي، ط٢، مطبعة أنوار الهدى، (النجف، ١٩٩٨م): ج١، ص١٣٧؛ المقريزي، المقفى الكبير: ج٣، ص٥٦٨.

(٢) ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٢، ص٢١.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٢، ص٣٧٨؛ ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٢، ص٢١.

(٤) ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٢، ص٢٣؛ المقريزي، المقفى الكبير: ج٣، ص٥٦٨.

(٥) ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥/ ٨٨٨م)، سُنن ابن ماجة، باب (١١) في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فضل علي بن أبي طالب، ح١١٨، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٤م): ج١، ص٥٦.

(٦) ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٢، ص٢١؛ الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، (القاهرة، ١٨٦٦م): ج١، ص٤١٨.

ثانياً: رضاعته

لقد كانت مرضعة الإمام الحسين عليه السلام لُبابة الكبرى[١] بنت الحارث زوجة العباس بن عبد المطلب، عمّ الرسول صلى الله عليه وآله، فقد روُي عنها أنّها قالت للرسول صلى الله عليه وآله: «**لقد رأيت أنّ عضواً من أعضائك في بيتي، فقال الرسول صلى الله عليه وآله: تلِدُ فاطمة غُلاماً وترضعينه بلبن قثم فَولد حسيناً**»[٢].

وذكر المزّي أنّ أمّ الفضل قالت: يا رسول الله «**رأيت كأنّ في بيتي عضواً من أعضائك قال: خيراً، تلد فاطمة غلاماً، فترضعينه، فوضعت حسيناً فأرضعته بلبن قثم**»[٣].

ثالثاً: مكانة الإمام الحسين عليه السلام في آيات الذكر الحكيم

لقد برزت مكانة الإمام الحسين عليه السلام في مواضع عدة من القرآن الكريم لتبيّن للأمّة الإسلامية مكانة أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة[٤]. فلم تتفق كلمة المسلمين في شيءٍ كاتّفاقهم على فضلِ أهل البيت عليهم السلام، والإمام الحسين عليه السلام هو من أهل البيت المطهرين من الرجس بلا ريب، وقد جاء عن أمّ المؤمنين عائشة أنّها قالت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه كساء من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة ثم علي، ثم تلا قوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ

---

(١) هي أمّ الفضل، لُبابة بنت الحارث الهلالية، أخت ميمونة بنت الحارث زوج الرسول صلى الله عليه وآله. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٤، ص٩٣.

(٢) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب تمييز الرؤيا (الباب ١٠)، ح٣٩٢٣: ج١، ص٢٨٩.

(٣) المزّي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٠م): ج٢، ص١٨٤؛ الديار بكري، تاريخ الخميس: ج١، ص٤١٨ـ٤١٩؛ القرشي، حياة الإمام الحسين: ص٢٦.

(٤) الخوارزمي، مقتل الحسين: ص٢٦٧.

﴿ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١]، وقد أوضحها الزمخشري أنّها في حقّ هؤلاء[٢].

والإمام الحسين عليه السلام هو ابن الرسول صلى الله عليه وآله، بنصّ آية المباهلة مع نصارى نجران، وقد خلّد القرآن الكريم هذا الحدث بصورته العميقة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٣].

وروى جمهور المفسرين بطرقٍ شتّى أنّ هذه الآية نزلت في أهل البيت وهم: رسول الله، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، كما صرّحوا على أنَّ الأبناء هنا هما الحسنان بلا ريب[٤].

وذكر الطبرسي تفسير هذه الآية بقوله «﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾: **أي جادلك وخاصمك وقد جاء النبي بالحسن والحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها**»[٥].

وندع أبناءنا، دليلٌ على أنّ أبناء البنات يُسمّون أبناء؛ ومن هنا نستطيع أن نفهم السّرّ الكامن في وجوب مودّتهم والالتزام بخطّهم كما جاء بنصّ الكتاب العزيز في

---

(١) الأحزاب: آية٣٣.

(٢) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، (بيروت، د. ت): ج١، ص٤٣٤؛ الكاشاني، محسن الملقب بالفيض الكاشاني، (١٠٩١هـ/ ١٩٩٥م)، تفسير الصافي، تقديم حسين الاعلمي، ط٢، مؤسسة الهادي، (قم، ١٩٩٥م): ج٣، ص٣٢٨.

(٣) آل عمران: آية٦١.

(٤) الزمخشري، الكشاف: ج١، ص٤٣٤.

(٥) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الهدى، (طهران، ١٩٧٠م): ج٢، ص٣٧٧. أما قول «نبتهل» أي نتضرّع بالدعاء. ينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م)، تفسير القرطبي، تح: سالم مصطفى البدري، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٠): ج٢، ص٦٧؛ الزمخشري، الكشاف: ج١، ص٦١.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾[1].

والقربى هم قرابة الرسول صلى الله عليه وآله، وقالوا يا رسول الله مَنْ هؤلاء الذين نودّهم؟ قال: «**علي وفاطمة وأبناؤهما**»[2].

ولا يتركنا القرآن الحكيم حتى يبيّن لنا أسباب هذا التفضيل، وجاء نصّ ذلك في سورة الإنسان بقوله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾[3]. لقد روى جمهور المفسرين أنّ هذه الآيات نزلت في حقّ أهل البيت، وقد جسّدت أروع أنواع الإيثار حتى نزل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ۝ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾[4].

---

(١) الشورى: آية٢٣.

(٢) وأمّا معنى المودّة في القربى، فقيل: إنّ الخطاب لقريش والأجر المسؤول هو مودّتهم للنبي لقرابته منهم؛ وذلك لأنهم كانوا يكذّبونه ويبغضونه لتعرّضه لآلهتهم فسألهم صلى الله عليه وآله إن لم يؤمنوا به فليودّوه لمكان قرابته منهم، وإنّ معنى الأجر إنما يتمّ إذا قُوبِلَ به عملٌ يعادل ما امتلكه من مالٍ ونحوه، فسؤال الأجر من قريش وهم كانوا مُكذبين له كافرين بدعوته وهم بكفرهم بدعوته لم يأخذوا منه شيئاً حتى يقابلوه بالأجر، إذاً لامعنى لهذا القول، والقربى هم عترته من أهل بيته عليهم السلام. ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، تح: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٩): ج٣، ص٢٦٦.

(٣) الإنسان: آية٨ـ٩.

(٤) الإنسان: آية٥ـ٧. نزلت هذه الآيات في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. أنظر الزمخشري: الكشاف: ج٤، ص١٩٧؛ القرطبي؛ تفسير القرطبي: ج١٩، ص٨٥؛ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت، ١٩٩٧): ج١٨، ص٤٧.

رابعاً: مكانة الإمام الحسين عليه السلام عند الرسول صلى الله عليه وآله

لقد تظافرت النصوص الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله بشأن الحسين عليه السلام والتي تبرز المكانة الرفيعة التي يمثّلها في دنيا الرسالة ونختار هنا نماذج عدّة للوقوف على شيء من مكانة الإمام الحسين عليه السلام، فقد روى أسامة بن زيد[١] عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «**هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهمّ إنّي أحبّهما فأحببهما وأحبّ من يحبّهما**»[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الحسن والحسين ابناي من أحبّهما أحبّني، ومن أحبّني أحبّه الله، ومن أحبّه الله ادخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله ادخله النار**»[٣].

لقد خصّ الرسول الأعظم حفيديه الحسن والحسين عليهما السلام بأوصافٍ تنبئ عن عظم منزلتهما لديه، بقوله: «**إنَّ ابني هذين ريحانتاي من الدنيا**»[٤].

وروى ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يُصلّي فجاء الحسن

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة العذري، يكنى أبا محمد، ويقال أبو زيد، أمه أمّ أيمن حاضنة النبي ولما توفي النبي صلى الله عليه وآله كان له عشرون سنة، مات في أواخر خلافة معاوية في المدينة، وقيل: مات أواخر سنة ٥٤هـ/ ٦٧٣م. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج١، ص٣١.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، سُنن الترمذي، كتاب المناقب، باب ٣١، مناقب الحسن والحسين، ح٣٧٦٩، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٨٤): ج٢، ص٢٤٠.

(٣) النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)، مستدرك الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة مناقب الحسن والحسين، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٢م): ج٣، ص١٦٦.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): صحيح البخاري في كتاب الأدب في باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. تح: أحمد محمد شاكر، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٨٢م): ج٥، ص٣٣؛ الترمذي، صحيح الترمذي، كتاب المناقب، باب ٣١ مناقب الحسن والحسين، ح٣٧٧٠: ج٢، ص٢٤١.

والحسين عليهما السلام فارتدفاه، ثم أخذهما أخذاً رفيقاً، وأجلس هذا على فخذه وهذا على فخذه، وقال: «**من أحبّني فليُحبّ هذين**»(١).

وروى البيهقي بسنده عن رزين بن حبيش قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم يصلي بالناس، فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام، وهما غلامان يتوثّبان على ظهره إذا سجد فأقبل الناس عليهما ينحيانهما عن ذلك قال: دعوهما بأبي وأمي، من أحبّني فليحبّ هذين**»(٢).

خامساً: مكانة الإمام الحسين عليه السلام لدى معاصريه

لقد ورد أنّ الخليفة عمر بن الخطاب قال للحسين عليه السلام: «**فإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم**»(٣).

وقال أبو هريرة(٤): «**دخل الحسين بن علي وهو معتمّ فظننت أنّ النبي قد بُعِث**»(٥).

وكان عليه السلام في جنازة فأعيا، وقعد في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه، فقال له: «**يا أبا هريرةوأنت تفعل هذا؟ فقال له: دعني فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم**»(٦).

---

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، السُنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب ٣٤٧، الصبي يتوثب على المصلي ويتعلق بثوبه فلا يمنعه، ح٣٤٢٣، ط٢، دار المعرفة، (بيروت، ١٩٨٢م): ج٢، ص٢٦٣.

(٢) المصدر السابق: ح٣٤٢٤: ج٢، ص٢٦٣.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: مج١، ص١٤١؛ ابن حجر: الإصابة: ج١، ص٣٣٣.

(٤) أبو هريرة: عبد الرحمن بن عامر الدوسي، كانت له صحبة ورواية للحديث عاش ثمان وسبعين سنة، وتوفي بقصره بالعقيق، وحُمل إلى المدينة، وأختلف في سنة وفاته فقيل: سنة ٥٧هـ أو ٥٨هـ أو ٥٩هـ.ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٤، ص٢٠٢ـ٢١١.

(٥) المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، بحار الأنوار، المطبعة الإسلامية، (طهران، ١٩٩٩م): ج٤٤، ص٨٢.

(٦) ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، هذبه ورتبه عبد القادر بدران، ط٢، دار المسيرة، (بيروت، ١٩٧٩م)، ح٤، ص٣٢٥.

وقد أخذ عبد الله بن عباس[١] بركاب الحسن والحسين عليهما السلام فعوتب في ذلك وقيل له: أنت أسنّ منهما فقال: «**إنّ هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله أفليس من سعادتي أن آخذ بركابهما**»[٢].

وقد قال معاوية بن أبي سفيان لأبن عباس بعد وفاة الحسن عليه السلام يا بن عباس أصبحت سيد قومك، فقال: «**أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين فلا**»[٣].

وقال أنس بن مالك[٤]. وكان قد رأى الحسين عليه السلام: «**كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله**»[٥].

ومرّ الإمام الحسين عليه السلام بعمرو بن العاص[٦]. وهو جالس في ظل الكعبة فقال:

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل: ولد بالشعب قبل خروج بني هاشم منه، روى عن النبي صلى الله عليه وآله، وكان الخليفة عمر بن الخطاب يدنيه ويقربه وكان يقول: ابن عباس فتى الكهول، له لسان سؤول وقلب عقول، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ/ ٦٨٧م، وكان ابن سبعين سنة. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٢، ص٣٥٢.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤، ص٣٢٥.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن اسحق بن جعفر (ت ٢٩٢هـ/ ١٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، تح: خليل المنصور، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٢م): ج٢، ص١٥٧.

(٤) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم الرسول صلى الله عليه وآله وهو أحد المكثرين في الرواية وقد شهد الفتوح بعد النبي صلى الله عليه وآله ثم سكن البصرة وقد مات بها، وكان آخر الصحابة موتاً بها، كانت وفاته سنة ٩٠هـ وقيل: سنة ٩٢هـ وكان له مائة سنة. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج١، ص٧١ـ٧٢.

(٥) العاملي، محسن الأمين، أعيان الشيعة، تح: حسن الأمين، ط٥، دار التعارف، (بيروت، ١٩٩٨م): ج٢، ص٤٤١.

(٦) هو عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، ولد بعد عام الفيل بثلاث سنوات، وأمّه النابغة بنت حرملة سبية من بني حبيلان، أرسلته قريش إلى النجاشي ملك الحبشة ليغير رأيه على جعفر ابن أبي طالب ومن معه من المهاجرين، فردّه النجاشي، أسلم سنة ثمان للهجرة وقبل الفتح بستة أشهر، افتتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب، وأصبح وآلياً عليها إلى السنة الرابعة من خلافة ←

«**هذا أحبّ أهل الأرض إلى أهل الأرض وإلى أهل السماء**»[١].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص[٢] وقد مرّ عليه الحسين عليه السلام فقال: «**من أحبّ أن ينظر إلى أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى هذا المجتاز**»[٣].

وحين أشار يزيد على أبيه معاوية بن أبي سفيان أن يكتب للحسين عليه السلام جواباً عن كتابٍ له على أن يصغّر فيه الحسين عليه السلام، قال معاوية راداً عليه: «**وما عسيت أن أعيب حسيناً، والله لا أرى للعيب فيه موضعاً**»[٤].

وقال محمد بن علي بن أبي طالب المسمى بـ(ابن الحنفية): «**إنّ الحسين أعلمنا علماً، واشغلنا حلماً، وأقربنا من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً، كان إماماً فقيهاً...** »[٥].

وكتب عبد الله بن جعفر[٦] إلى الإمام الحسين عليه السلام حينما أراد المسير إلى العراق

→

عثمان بن عفان، ثم عزله فأخذ يؤلّب عليه حتى قُتِل، ثم اشترك مع معاوية بصفين وأشار برفع المصاحف، ثم أخذ مصر طعمةً من معاوية ووليها بعد قتل محمد بن أبي بكر. حتى توفي سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م. ينظر: ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٤، ص٤٢٠.

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤، ص٣٢٥.

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، يكنى أبا محمد، وأبا عبد الرحمن أمّه ريطة بنت منبّه بن الحجاج السهمي كان اسمه العاص وسماه الرسول عبد الله، أسلم قبل أبيه، ومات بالشام سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م، وهو ابن ٧٢ سنة، وقيل: مات بمكة، وقيل بالطائف، وقيل: بمصر. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٢، ص٣٥٢.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٣.

(٤) العاملي، أعيان الشيعة: ج٢، ص٣٩٥.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٥.

(٦) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أمّه أسماء بنت عميس الخثعمية، ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبوه إليها، وهو أول من ولد من المسلمين وحفظ عن النبي صلى الله عليه وآله وروى عنه وكان كريماً جواداً يقال له قطب السخاء، كان أحد أمراء علي عليه السلام يوم صفين، توفي سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٢، ص٢٨٩.

«...**إن هلكت اليوم طفئ نور الإسلام؛ فإنّك علم المهتدين ورجاء المؤمنين**»(١).

وقال عبد الله بن الحرّ الجحفي وقد لقي الحسين عليه السلام قبل وصوله كربلاء «**ما رأيت أحداً قطّ أحسن ولا أملأ للعين من الحسين**»(٢).

وقال إبراهيم النخعي: «**لو كنت فيمن قاتل الحسين عليه السلام ثم أدخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله**»(٣).

وسأل رجلٌ عبد الله بن عمر بن الخطاب عن دم البعوض يكون في الثوب أفأصلي فيه؟ فقال له: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق، فقال ابن عمر: «**انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سمعت رسول الله يقول: هما ريحانتاي من الدنيا**»(٤).

سادساً: الإمام الحسين عليه السلام عبر القرون والأجيال

بقي ذكر الإمام الحسين عليه السلام وهجاً لا تطفئه عاديات الزمن، ولا تبليه كثرة السنين، بل تزيده رونقاً وبهاءاً في ذرى المجد. وما زالت ثورة الإمام الحسين عليه السلام قبساً يضيء للأجيال طريق الكرامة ونبراساً في عالم الحرية.

ذكر البلاذري أن الحجاج بن يوسف الثقفي وكان أمير العراق زمن الخليفة عبد الملك بن مروان، سأل سنان بن أنس، كيف قُتِل الحسين عليه السلام؟ فقال سنان: طعنته

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٤م): ج٥، ص٣٨٧؛ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تح: أحمد أبو ملحم وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، بلات): ج٨، ص١٦٩.

(٢) العاملي، أعيان الشيعة: ج٢، ص٣٩٥.

(٣) ابن حجر، الإصابة: ج١، ص٣٣٥.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤، ص٣١٧.

بالرمح وضربته بالسيف. فقال الحجاج: لا يجتمعان في الجنة والله أبداً، وقال ادفعوا إليه خمسُمائة درهم، فلما خرج قال: لا تعطوه شيئاً[١].

وقد قال الربيع بن خيثم لبعض مَنْ شَهِدَ قتل الحسين عليه السلام: «**والله لقد قتلتم صفوة لو أدركهم رسول الله صلى الله عليه وآله لقبّل أفواههم وأجلسهم في حجره**»[٢].

وقال ابن سيرين «**لم تبكِ السماء على أحدٍ بعد يحيى بن زكريا عليهما السلام إلا على الحسين عليه السلام، ولمّا قُتل أسودّت السماء وظهرت الكواكب نهاراً، حتى رؤيت الجوزاء عند العصر، وسقط التراب الأحمر، ومكثت السماء سبعة أيام بلياليها كأنها علقة**»[٣].

وقال المجلسي: «**أبو عبد الله الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته، وابن أمير المؤمنين علي عليه السلام وشأن بيت النبوة له أشرف نسب وأكمل نفس، جمع الفضائل ومكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال من علوّ الهمة، ومنتهى الشجاعة، وأقصى غاية الجود، وأسرار العلم، وفصاحة اللسان، ونصرة الحق والنهي عن المنكر، وجهاد الظلم، والتواضع عن العز، والعدل والصبر والحلم والعفاف والمروءة والورع وكان إذا أقام بالمدينة أو غيرها مفيداً بعلمه مرشداً بعلمه**»[٤].

وذكر الزعيم الصيني (صان يان صن) وهو الزعيم الروحي للديانة البوذية في الصين الحديثة فيقول في ثورة الإمام الحسين عليه السلام: «**إنّ أروع لحظات الاستشهاد لا تظهر إلا في لحظات الإنحدار الروحية الشديدة، وكأنّ المجموعة البشرية تطلق كلّ**

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، أنساب الأشراف، تح: محمد باقر المحمودي، ط٢، مطبعة باسدار إسلام، (قم، ١٩٩٩م): ج٢، ص٢٢٥م؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٣.

(٢) المجلسي، بحار الانوار: ج٤٤، ص٧٩.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤، ص٣٤٢.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٣.

إمكانياتها في هذه اللحظات الشديدة الخطورة، عندئذٍ يصبح الصراع الطبقي مجرد ذريعة لتتخطى البشرية هوة الانحدار الأخلاقي، وأمامنا الكثير من قصص الغدر والخيانة والتوحش ومدى ما وصل إليه الانهيار الأخلاقي في تلك الفترة التي عزم فيها الحسين بن علي عليهما السلام على التصدي للنظام»[1].

ويقول موضحاً في ذلك: «**لقد خرج الحسين عليه السلام وهو يحسب أنّ الناس ما زالوا يطلبون العدل الاجتماعي، وأنه من الطبيعي أن ترفض الكرامة البشرية أن يفرض عليها حاكمٌ سكّير عربيد في مجتمعٍ يعتبر السكر والعربدة معصية تستوجب عقاب الله والمجتمع**»[2].

---

(١) العاملي، حسن الأمين، دائرة المعارف الشيعية، ط٥، دار التعارف للمطبوعات (بيروت، ١٩٩٢): ج١، ص٣٢٦.

(٢) المصدر السابق.

الفصل الأول

أسباب ودوافع ثورة الإمام الحسين عليه السلام وخلافة يزيد

المبحث الأوَّل : دوافع الثورة.

المبحث الثاني : طلب البيعة من الأمصار وأثرها في قيام الثورة

المبحث الثالث : خلافة يزيد بن معاوية وقيام الثورة

المبحث الأول

دوافع الثورة

أولاً: سياسة القتل والترحيل

لقد حفظ لنا التاريخ أرقاماً ووقائع تشهد بانحدار المجتمع وتباعده عن كثيرٍ من قيم الإسلام وقوانينه، ومن يقرأ تلك الحقبة بإمعانٍ يجد أنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت ضرورة تاريخية، وأنّ الظروف والأوضاع المتردية هي التي أفرزت عوامل الثورة وأسبابها، وأنّ الحسين عليه السلام لم يجد مناصاً من التحرك والثورة.

فلنأخذ مثلاً على ذلك الوضع الأمني والأمن الاجتماعي الذي ثبته الإسلام بقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[1]، وكذلك قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[2].

لقد كان لمقتل العديد من الشخصيات الإسلامية البارزة أثره في قلوب المسلمين ومن أبرز الذين شملهم القتل الصحابي الجليل حجربن عدي الكندي[3]، والذي

---

(١) قريش: الآيات٣، ٤.

(٢) المائدة: آية٣٢.

(٣) حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة الكندي، المعروف بحجر الخير وحجر بن الأدبر صحابي جليل من زعماء الكوفة اشترك في القادسية والجمل وصفين والنهروان، قُتل سنة (٥١هـ/ ٦٧١م) في مرج عذراء بدمشق.ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج١، ص٣٥٦.

أدّى مقتله إلى ردود فعل عنيفة بين المسلمين، حيث قالت السيدة عائشة لمعاوية بن أبي سفيان: «**يا معاوية أقتلت حجراً وأصحابه فأين غرب حلمك عنهم؟ أما أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يُقتَل بمرج عذراء[١] نفرٌ يغضب لهم أهل السماوات»**[٢] **وقال الحسن البصري لما سمع بمقتل حجر بن عدي الكندي وأصحابه قال: «أصلّوا عليهم وكفّنوهم ودفنوهم واستقبلوا بهم القبلة قالوا: نعم فقال حجّوهم وربّ الكعبة»**[٣].

وقد استنكر الإمام الحسين عليه السلام لمقتل حجر وأصحابه وجاء ذلك الاستنكار في إحدى الرسائل التي بعثها إلى معاوية بن أبي سفيان: «...**ألست القاتل حجر بن عدي أخي كندة وأصحابه الصالحين المطيعين العابدين؟ كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون المنكر والبدع، ويؤثرون حكم الكتاب، ولا يخافون في الله لومة لائم، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأمان والأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة**»[٤].

ويقول الدكتور طه حسين: «**كان قتل حجر حدثاً من الأحداث الكبار لم يشكّ أحد من الأخيار الذين عاصروا معاوية في أنّه كان صدعاً في الإسلام، بل لم يشكّ**

---

(١) مرج عذراء: هي قرية بغوطة دمشق، وبها قتل حجر بن عدي الكندي وأصحابه وبها قبره، وقيل: إنّه هو الذي فتحها. ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٦): ج٤، ص٩٦.

(٢) البسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، المعرفة والتاريخ، تح: أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، (بغداد، ١٩٧٦م): ص٣٢٠؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٦١؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٥٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الفكر، (بيروت، ١٩٧٨): ج٣، ص٢٤٢.

(٤) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، الإمامة والسياسة، تح: خيري سعيد، ط١، المكتبة التوفيقية، (بيروت، ٢٠٠٠) ج١، ص١٨٤. الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، (من علماء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، الإحتجاج على أهل اللجاج، تح: إبراهيم البهادلي، ط٤، دار الأسوة للطباعة، (قم، ٢٠٠٤م): ج٢، ص٩٠.

معاوية نفسه في أنّه كان كذلك»[١]، وفضلاً عن هذه الطليعة، من رجال المعارضة ممن تحرّكوا مع حجر بن عدي، وسيقوا معه إلى القتل[٢].

فقد قتل معاوية بن أبي سفيان شخصيات سياسية ورجالاً من المعارضة ممن يوالون الإمام علياً عليه السلام وأبناءه، جاء ذكر ذلك في الرسالة الموجّهة من قبل الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان بقوله: «...**أولست قاتل عمرو**[٣] **بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة فصفّرت لونه، ونحلّت جسمه، بعد أن آمنته، وأعطيته من عهود الله عزّوجلّ وميثاقه**»[٤].

وكتب معاوية إلى عماله محرّضاً من «**اتهمتموه ولم تقم عليه البينة فاقتلوه**»[٥].

أما زياد[٦] بن أبيه عامل معاوية بن أبي سفيان على العراق (٤٥هـ ـ ٥٣هـ) فقد

---

(١) طه حسين، الفتنة الكبرى، ط٦، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٦م): ج٢، ص٢٢٤.

(٢) وهم «الأرقم بن عبد الله الكندي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وكريم بن عفيف الجشعمي، وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، وكدام بن حيان العنزي، وعبد الرحمن بن حسان العنزي، ومحرز بن شهاب التميمي وعبد الله بن حوية السعدي، وعتبة بن الأخنس، وسعيد بن نمران الهمداني».ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٢٧١ـ٢٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٣٩ـ٢٤٠؛ محمد جواد مغنية، الشيعة والحاكمون، تح، سامي الغريري، ط٢، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، (لا م، ٢٠٠٦م): ص١٣٥ـ١٣٦.

(٣) عمرو بن الحمق الخزاعي، صحابي هاجر بعد الحديبية وصار من شيعة الإمام علي عليه السلام وشهد معه وقعة الجمل وصفين والنهروان، ولما طلب زياد أصحاب حجر بن عدي خرج عمرو بن الحمق حتى نزل المدائن، ثم ارتحل حتى أتى الموصل، فقبض عليه عاملها من قبل معاوية، فقتله وبعث برأسه إلى معاوية سنة (٥١هـ/ ٦٧١م) وهو أول رأس أهدي في الإسلام. ينظر: ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٤، ص١٠٠.ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٤، ص٢٩٤.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، منسوب إليه: ج١، ص١٨٤؛ الطبرسي، الاحتجاج: ج٢، ص٩٠.

(٤) العامري، سليم بن قيس (ت ٩٠هـ/ ٧٠٨م)، أبجد الشيعة المعروف بكتاب سليم بن قيس الكوفي، ط٢، دار الإرشاد الإسلامي، (بيروت، ١٩٩٤م): ص١٩٠.

(٦) هو زياد بن أبيه، ويقال: زياد بن سمية وكان يقال له: زياد بن عبيد الثقفي قبل أن يستلحقه ←

قتل العديد على التهمة والظنّة «...**وجرّد السيف وأخذ بالظنّة وعاقب على الشبهة وخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً...** »[١].

وذكر ابن قتيبة أنّه خطب في البصرة قائلاً: «**وإنّي أقسم بالله لآخذنّ الوليّ بالوليّ والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول أنج سعد، فقد هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم**»[٢].

وقد قام بقتل أوفى بن حصن، وهو أول قتيل قتله زياد بالكوفة إثر حوار وقع بينهما، وكان قد سأله عن الخليفة عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان فأجابه أجوبةً مرضية عند زياد ثم سأله فما تقول فيَّ؟ فقال: «**بلغني أنّك قلت بالبصرة: والله لآخذنّ البريء بالسقيم، والمقبل بالمدبر، قال: قد قلت ذلك: قال خبطتها عشواء، فقال زياد: ليس النفّاخ بشرّ الزمرة فَقُتِل**»[٣].

وقد قتل زياد سبعين رجلاً مرة واحدة؛ لأنّهم رفضوا تلبية رغبته في البراءة من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[٤]، وقد تصدّى زياد إلى كلّ من كان هواه مع علي عليه السلام، يذكر المسعودي: «**أنّ زياداً جمع الناس بباب قصره يحرّضهم على لعن علي عليه السلام، فمن**

→

معاوية بنسبه، وقد اختلف في سنة ولادته، قيل: ولد عام الهجرة، وقيل: ولد يوم بدر، ويكنى أبا المغيرة، ليست له صحبة ولا رواية كان كاتباً في البصرة زمن الخليفة عمر بن الخطاب، ثم صار مع الإمام علي عليه السلام، ثم استلحقه معاوية وولّاه العراقين (الكوفة والبصرة)، توفي في الكوفة في رمضان سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج١، ص٥٦٧ـ٥٦٨.

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٢٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٢٤.

(٢) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، عيون الأخبار وفنون الآثار، دار الكتب العلمية، (بيروت ـ بلا ت): ج٢، ص٢٦٣ـ٢٦٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٢١٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٢٩.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٦٤؛ الخربوطلي، علي حسين، الدولة العربية الإسلامية، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٦٠م): ص١٧٨.

أبى ذلك عرضه على السيف» [١]. وذكر ابن الأثير أنّ زياداً قد قطع أيدي أكثر من ثلاثين رجلاً من أهل الكوفة[٢].

وفضلاً عن ذلك فقد مارس زياد سياسة الترحيل والتشريد التي قصد بها إضعاف المعارضة في العراق، فقد أنزل من الكوفيين وأسرهم خمسين ألفاً في خراسان[٣].

وقد بلغت الحال أنّ الرجل أصبح يفضّل أن يُقال عنه أنّه زنديق أو كافر ولا يقال عنه أنّه من شيعة علي[٤]، بل قد بلغ الحال أنّهم كانوا يخافون من النطق بأسمائهم حتى فيما يتعلق بأحكام الدين التي لا ترجع إلى الفضائل التي كان الأمويون يخشون شيوعها، فكانوا يقولون: (روى أبو زينب)[٥]، ويصوّر لنا سليم ابن قيس الكوفي أوضاع أهل الكوفة أيام ولاية زياد بن أبيه، والمؤرخ من شهود العيان في تلك الفترة «...**ثم اشتدّ البلاء بالأمصار كلها على شيعة علي وأهل بيته عليهم السلام، وكان أشدّ الناس بلية أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من الشيعة، واستعمل عليها زياداً ضمّها إليه مع البصرة وجمع له العراقين، وكان يتتبّع الشيعة وهو بهم عالم؛ لأنه كان منهم قد عرفهم وسمع كلامهم أول شيء، فقتلهم تحت كلّ كوكب وتحت كلّ حجر ومدر، وأجلاهم وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل منهم وصلبهم على جذوع**

---

(١) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، (بيروت، ١٩٨٨م): ج٣، ص٣٥؛ الخربوطلي، علي حسين، الدولة العربية الإسلامية: ص١٧٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل: ج٣، ص٢٢٨.

(٣) المصدر السابق: ص٢٤٣.

(٤) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي (ت ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)، شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، ١٩٨٨م): ج٤، ص٧٣.

(٥) المصدر السابق.

النخل، فلم يبق بها أحدٌ منهم إلا مقتول أو مصلوب أو طريد أو هارب»[١].

ويذكر الدكتور طه حسين بعض سياسة زياد التي ساس بها الناس، فيقول: «**...إنّها سياسة منكرة لا يعرفها الإسلام ولا يرضاها، ولم يعرفها المسلمون، ولم يألفوها، والتي إن دلّت على شيء، فإنّها تدلّ على أنّ صاحبها طاغية، يريد أن يحكم الناس بالبغي، يملأ القلوب رعباً ورهباً، ويغتصب منها الطاعة والخضوع للسلطان اغتصاباً**»[٢].

وعندما استعمل زياد سمرة بن جندب[٣] على البصرة أسرف في القتل إسرافاً لا حدود له، فهذا أنس بن سيرين يقول لمن سأله: هل كان سمرة قتل أحداً؟: «**وهل يُحصى من قتل سمرة بن جندب؟ استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة، فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس، فقال له يعني زياد: هل تخاف أن تكون قتلت أحداً بريئاً؟ فرد عليه قائلاً: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت**»[٤].

وقال أبو سوار العدوي: «**قتل سُمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن**»[٥].

وذكر الطبري «**وأتي سمرة بناس كثير وأناس بين يديه فيقول للرجل ما دينك؟ فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله،**

---

(١) العامري، أبجد الشيعة: ص١٨٨.

(٢) طه حسين، الفتنة الكبرى: ج٢، ص٢١٥.

(٣) هو سمرة بن جندب بن هلال بن جريح الفزاري، استعمله زياد على البصرة نائباً عنه واستعمله معاوية على ولاية البصرة، ثم عزله فقال: لعن الله معاوية والله لو أطعت الله كما أطعته ما عذبني أبداً، ومات سنة ٥٨هـ/ ٦٧٧م.ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٢٩١؛ ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٢، ص٣٥٤؛ ابن حجر، الإصابة: ج٢، ص٧٨.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٢٣٧؛ ابن الأثير، الكامل: ج٣، ص٢٢٩.

(٥) المصدر السابق.

وأني بريءٌ من الحرورية، فيقدّم فيضرب عنقه، حتى مرّ ببضعة وعشرين»[١].

وقد سبى نساء همدان واقامهنّ في الأسواق، فكنّ أول مسلمات أشترين في الإسلام وكان يعذّب بغير القتل من صنوف العذاب[٢].

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية

كان النظام الحاكم يعطّل قوانين التوزيع الاقتصادي التي نادى بها الإسلام، وهي قوانين تنصّ على المساواة في العطاء، وتحريم الاحتكار، ووجوب الكفالة والضمان الاجتماعي للطبقات الفقيرة ومكافحة الفقر، وسنجد حافزاً ومحرّكاً قوياً للثورة والتحرّك، حرّك جماهير الأمة وحفّزها للاستنجاد بالإمام الحسين عليه السلام وهو الحافز الاقتصادي فقد شعرت الطبقات الضعيفة بضياع حقوقها، وانتشار الفقر بين صفوفها في حين تتكدّس الثروة بيد فئة وطبقة معينة، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٤].

ويجب علينا حين ندرس سياسة معاوية المالية أن نضع خطاً فاصلاً بين الشام

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٢٩٢.
(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب: ج١، ص١٦٥.
(٣) التوبة: آية ٣٤.
(٤) الحشر: آية ٧.

وبين سائر الولايات الإسلامية، لأنّ الشام كانت تتمتّع برخاءٍ حقيقي، والسرّ في ذلك هو أنّ جند الشام كان عماد معاوية في حروبه، وقد كان يحاول أن يسترضيهم بالأموال[١].

على أنه لا يفوتنا أن نلاحظ أنّ هذا الرخاء لم يكن من حظّ عرب الشام أجمع، وإنما كان لقبائل اليمن وحدها، وأما قبائل قيس فكانت تعاني شظف العيش، لأنه بولاء اليمن لم يأبه لقيس، فلم يفرض لها في العطاء، إلا في وقتٍ متأخر بعد أن خشي على سلطانه من قوة قبائل اليمن[٢]. فقد نالت قبيلة كلب اليمانية شرف العطاء على بقية القبائل فقد فرض معاوية بن أبي سفيان لألفين من رجال هذه القبيلة من العطاء ألفي درهم لكلّ شخص وإن مات قام ابنه أو ابن عمّه مكانه، وكان لهم الأمر والنهي وصدر المجلس، وكلّ ما كان من حلّ وعقد ورأي ومشورة[٣].

وقد استحدث معاوية طرقاً عدّة لجمع الأموال وبشتّى الوسائل، منها استصفاء معاوية بن أبي سفيان أموالاً كان يأخذها كسرى وآل كسرى، وقد بلغت جبايتها خمسين ألف ألف درهم من الكوفة وسوادها، واستصفى من أرض البصرة مثل ذلك[٤]، كما أمر أن تحمل إليه هدايا النوروز والمهرجان، وكانت تحمل إلى كسرى من قبله وقدّرت بعشرة آلاف ألف درهم[٥]، ولم يقتصر ذلك على العراق وحده بل تعدّى إلى أكثر من ذلك حيث يذكر اليعقوبي قائلاً: «...**وفعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن مثلما فعل بالعراق من استصفاء ما كان للملوك من الضياع،**

---

(١) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، طبعة دار الكتاب، (بيروت، ١٩٨٠م): ج١، ص٤٧٥.

(٢) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة دار الهلال، (بغداد، ١٩٥٨م): ج٤، ص٨٣.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٩٥.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٥١.

(٥) المصدر السابق.

وتصيرها لنفسه خالصة، وأقطعها أهل بيته وخاصّته، وكان أول ما كانت له الصوافي»[١]، وكتب معاوية إلى عماله في جميع البلدان: «**انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، ولا تجيزوا له شهادة**»[٢].

وكان من جملة الأساليب التي اتّبعها معاوية بن أبي سفيان لحمل الحسين عليه السلام على بيعة يزيد حرمان جميع بني هاشم من عطائهم حتى يبايع الحسين عليه السلام[٣].

وقد كان معاوية قد أخذ الزكاة من الأعطية، وسخّر الناس في بنائه، ورحل إليه عبد الله بن عمر بن الخطاب يوماً فقال: «**يا أبا عبد الرحمن كيف ترى بنياننا؟ قال: إن كان من مال الله فأنت من الخائنين، وإن كان من مالك فأنت من المسرفين**»[٤].

وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبيه عامله على العراق «**أصطفِ لي الصفراء والبيضاء**» فكتب زياد إلى عمّاله بذلك وأمرهم أن لا يقسّموا بين المسلمين ذهباً ولا فضة[٥].

وكان معاوية يحرّض عمّاله على جمع الأموال وهم يخترعون الطرق للإستكثار منها[٦]، وبهذا فإنّ الطبقات الفقيرة في المجتمع لابدّ أن تشكوا وتتذمّر[٧].

وإنّ معاوية بن أبي سفيان بعد أن تمّ له السلطان على البلاد الإسلامية في عام الجماعة، أعلن للناس طبيعة الحكم الجديد في كلمته الشهيرة؛ حيث قال: «**إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا إنّكم لتفعلون ذلك، وإنّما**

---

(١) المصدر السابق: ص١٦٣.
(٢) العامري، أبجد الشيعة: ص١٨٨.
(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٩٤.
(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٦٢.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٢٥١؛ زيدان، التمدن الإسلامي: ج٤، ص٨٧.
(٦) زيدان، التمدن الإسلامي: ج٤، ص٨٧.
(٧) الوردي، علي، مهزلة العقل البشري، مطبعة ثامن الحجج، (قم، ٢٠٠٦م): ص٢٦٩.

قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون»[١].

وترى كتب التاريخ والأدب حافلةٌ بالحديث عن حلم معاوية وسخائه وبذله الأموال، ولكنّ شيئاً من دقّة الملاحظة يكشف لنا عن حقيقة الحال، فإنّ هذا السخاء كان مقصوراً على حفنةٍ من الناس، لا يتعدّاها إلى غيرها من العامة ممن هم في أمسّ الحاجة إلى الدرهم، لقد كان سخاؤه مقصوراً على هذه الطبقة الأرستقراطية التي صعد على أكتافها إلى الحكم، والتي استعان بها من نفوذ سياسي أو ديني في حروبه، وكانت هذه الطبقة مؤلفة من زعماء القبائل الموالين له، ومن بعض الأشخاص الذين كان لهم تأثير في نفوس المسلمين؛ فقد ذكر المؤرخون أنّ معاوية بن أبي سفيان أعطى مصر والمغرب طعمة لعمرو بن العاص، وكان عمرو قد شرطها عليه يوم بايع[٢]، ويذكر المسعودي: «**أن عمرو بن العاص والي مصر في عهد معاوية بلغت ثروته من العين ثلاثمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار، ومن الورق ألف درهم، وغلة مائتي ألف دينار بمصر، وضيعته المعروفة بالرهط قيمتها عشرة آلاف ألف درهم**»[٣].

وكان زياد أول من بسط الأرزاق على عماله؛ لكلّ شخص ألف درهم، ولنفسه خمسة وعشرون ألف درهم[٤].

أما النعمان بن بشير[٥] ـ والي الكوفة من قبل معاوية بن أبي سفيان، وكان يبغض

---

(١) الاصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) مقاتل الطالبيين، تح: أحمد صقر، (النجف، ٢٠٠٣م): ص٤٦.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٥٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٣٢.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٦٣.

(٥) النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي، ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بثمان سنين، وكان من المقرّبين إلى ←

أهل الكوفة؛ لرأيهم في علي عليه السلام ـ فقد رفض أن يدفع لهم الزيادة في أعطياتهم ولمّا أسترحمه عبد الله بن همام السلولي، وطلب إليه دفع الزيادة في قطعة شعرية مؤثّرة قال: «**والله لا أجيزها ولا أنفذّها أبداً**»(١).

وكانت جباية الأموال تقوم على الشدّة والقسوة والعنف، ولذلك حرص بنو أمية على جمع الأموال بكل وسيلة، فأطلقوا الأيدي ولا تهمّ في العراق حتى يتمكّنوا من جمع الضرائب، ولو أدى ذلك إلى استعمال البطش في جمعها(٢).

ويقدّم لنا فان فلوتن صورة معبّرة عن الآثار السياسية والاجتماعية التي خلّفتها هذه السياسة في المجتمع العراقي في ذلك الحين، حيث يقول: «...**وفي العراق أيضاً نرى أشكالاً عدّة من الزيادات الاستثنائية تضاف إلى الضرائب القديمة، وكان على عمر الثاني (الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز) أن يأمر جباة الضرائب في عهده بأن لا يتقاضوا من الدراهم ما يزيد وزنه على أربعة عشر قيراطاً، وهو الوزن العادي الذي أقرّه الخليفة عمر الأول (أي الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب)... وكثيراً ما ارتفعت الشكوى ضدّ الولاة وعمال الخراج، الذين استأثروا بأموال الدولة لأنفسهم**»(٣).

إنّ هذه الظروف كوّنت طبقتين في المجتمع الإسلامي؛ طبقة فقيرة محرومة

→

الخليفة عثمان بن عفان (رض)، ولما قتل عثمان أخذ النعمان قميصه وأصابع زوجته نائلة إلى معاوية، وقد عمل النعمان أميراً على الكوفة لمعاوية، ومن بعده لابنه يزيد، ثم تولّى حمص، ثم دعا لبيعة عبد الله بن الزبير فقتله شيعة بني أمية في ذي الحجة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م. ينظر: ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٥، ص٢٢؛ ابن حجر، الإصابة: ج٣، ص٥٢٩.

(١) الاصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين، الأغاني، تح: خليل محيي الدين، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩١): ج١٦، ص٢٦ـ٣٢.

(٢) الراوي، ثابت إسماعيل، العراق في العصر الأموي، ط١، مطبعة الإرشاد، (بغداد، ١٩٦٥) ص٦٩.

(٣) فان فلوتن، الدولة الأموية والمعارضة، ترجمة: إبراهيم بيضون، ط١، دار الحداثة، (بيروت، ١٩٨٠): ص٧٤ـ٧٥.

وطبقةٌ غنية تملك الأموال والأراضي، فنمت هذه الثروة وورّثت، فأثار هذا الوضع الرأي العام الإسلامي، الذي ألف المساواة في التوزيع، وآمن بحركة المال، وتحريم الكنز والاحتكار، والطبقية، فكانت هذه الأوضاع الاقتصادية إحدى الأسباب التي أجّجت نار الثورة، وجعلت الطبقات المحرومة ومن ينادون بالمساواة يتجهون إلى الحسين عليه السلام؛ باعتباره الشخص الذي يستطيع أن يطبّق أحكام الإسلام وقوانينه، كما ألفوها أيام الرسول صلى الله عليه وآله.

وقد جاء ذلك واضحاً في كتاب أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام الذي جاء فيه «**بسم الله الرحمن الرحيم، سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبّار العنيد الذي إنتزى على هذه الأمة وابتزّها أمرها، وغصبها فيئها...** »[1].

ثالثاً: ولاية العهد

إنّ أول من جاء بفكرة ولاية العهد هو المغيرة[2] بن شعبة الثقفي، وكان أميراً على الكوفة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وكانت ولاية المغيرة على الكوفة سنة (٤١هـ/ ٦٦١م)[3] حتى وفاته سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م)[4]، وقد همّ معاوية أن

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٢.

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، أسلم سنة (٥هـ/ ٦٢٦م)، وقد ولاه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) على الكوفة، وأقرّه الخليفة عثمان (رض) عليها ثم عزله، ثم ولّاه معاوية الكوفة حتى مات سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م). ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٣، ص٣٨٨، ابن حجر، الإصابة: ج٣، ص٤٥٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٠٧؛ الريس، محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط٣، دار المعارف؛ (القاهرة، ١٩٦٩م): ص١٩٥.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص١٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٢٨.

يعزل المغيرة عن ولاية الكوفة ويوليها سعيد بن العاص[١]. فلما بلغ ذلك المغيرة قدم على معاوية فقال له: «**يا أمير المؤمنين قد علمت ما لقيت هذه الأمة من الفتنة والإختلاف وفي عنقك الموت، وأنا أخاف إن حدث بك حادث أن يقع الناس في مثل ما وقعوا فيه بعد قتل عثمان، فاجعل للناس بعدك علماً يفزعون إليه، واجعل ذلك يزيد ابنك**»[٢].

وذكر ابن الأثير أنّ المغيرة بن شعبة دخل على يزيد فقال: «**لا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة قال: أوَ ترى ذلك يتمّ؟ فقال: نعم، فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قاله المغيرة**»[٣].

وبهذا إشارة إلى أنّ المغيرة بن شعبة قد رأى في شخص يزيد الشاب الذي يمكن أن يستغلّه لمصالحه الشخصية، ويدعم موقفه أمام أبيه، فدعا معاوية المغيرة وذكّره بما أخبره يزيد من كلامه فقال: «**يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف؛ فاعقد له فإن حدث بك حادث كان كهفاً للناس، وخلفاً منك، ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة، قال: ومن لي بهذا؟ قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وبعد هذين المصرين لا أحد يخالفك قال: فارجع إلى عملك، وتحدّث مع من تثق إليه في ذلك وترى ما نرى**»[٤].

---

(١) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي، ولد في مكة سنة (٢هـ/ ٦٢٣م) قتل أبوه يوم بدر كافراً، وأسلم عام الفتح، ولي الكوفة من قبل الخليفة عثمان بن عفان (رض) وقد تخلف عن معاوية في حروبه، وكان معاوية عاتباً عليه لذلك، ثم ولّاه المدينة وكان يتعاقبها مع مروان، وقد مات سعيد في قصره بالعقيق سنة (٥٣هـ/ ٦٧٢م). ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٢، ص٤٧.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٧٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٤٩.

(٤) المصدر السابق؛ إبراهيم، بيضون، التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية، (بيروت، ١٩٧٩م): ص١٥٩.

وبذلك فقد كسب المغيرة الخليفة ويزيد وحافظ على مكانته ومنصبه، ومن المعروف أنّ المغيرة كان داهية من دهاة العرب «**الرأي لا يستجر في صدره أمران إلا وجد في إحداهما مخرجاً**»(١). ونلاحظ هنا أنه قد قدّر حساسية الموضوع، وأبعاده المستقبلية من خلال ما قاله لجماعته حين رجع من معاوية: «...**لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغابة على أمة محمد، وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً**»(٢).

وقد أكّدت المصادر المتأخّرة على أثر المغيرة في إبراز فكرة ولاية العهد(٣)، ويبدو أنّ الموضوع الذي أوحاه المغيرة لم يكن بالموضوع البسيط الذي لا يستحق التفكير به من جهة معاوية، فضلاً عن أنّ المغيرة لم يطرح هذا الموضوع اعتباطاً، بل حصل على أمرين الأول: تقرّبه من شخص الخليفة وابنه، والآخر: إظهار الحرص على مصير الخلافة بطريقة ذكية؛ ليضمن استمرار عمله على الكوفة، ويبيّن ليزيد بأنه أولى بالخلافة من غيره بعد أبيه، وأنّه يمتاز بمزايا عدة ترشّحه لذلك المنصب مؤكداً بأنه من أبناء سادة قريش، وأحسنهم رأياً، ويندهش لماذا لم يشغل معاوية هذه الامتيازات ويعهد لولده يزيد؟ وعرض عليه محاسن البيعة في مصلحة الأمة الإسلامية، وبهذا شجّع وحفّز معاوية في طلب البيعة ليزيد، ويظهر ذلك واضحاً

---

(١) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، ط٢، دار صادر، (بيروت، ١٩٦١م): ج٤، ص٢٨٥.

(٢) البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، المحاسن و المساوئ تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة، ١٩٦١م): ج١، ص٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٤٩.

(٣) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: علي محمد البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٧٦م): ج٢٠، ص٣٤٨ـ٣٤٩.

في قول معاوية ومن لي بهذا[١].

لكنّ معاوية تمهّل في أخذ البيعة؛ حتى لا يثير عليه الإمام الحسن بن علي عليهما السلام وأبناء الصحابة، وخاصة من كانت لديهم مؤهّلات لم تكن موجودة في شخص يزيد، لذلك سعى معاوية إلى دسّ السُمّ للحسن عليه السلام، وتشير الروايات إلى أنّ امرأة الحسن عليه السلام جُعدة بنت الأشعث هي التي سمّته بتحريض من معاوية، وقيل: إنّ يزيد هو الذي دسّ إليها؛ لتسمّه؛ فيتزوجها[٢]، وكانت وفاة الحسن عليه السلام سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م[٣].

وبايع معاوية لابنه يزيد بعد وفاة الحسن عليه السلام بفترةٍ قصيرة[٤]، لقد زاد اهتمام معاوية ببيعة يزيد، خاصّة بعد أن أرسل إليه المغيرة وفداً من أهل الكوفة يطالبونه بمبايعة يزيد[٥]، وقد دخل معاوية على زوجته فاختة بنت قرضة بن حبيب بن عبد شمس، وكانت أمّ عبد الله بن معاوية، يزيد بن ميسون بنت بحدل الكلبي وكانت فاختة معادية لميسون فأخبرها بما أشار عليه المغيرة فقالت: «**أراد أن يجعل لك عدواً من نفسك يتمنّى هلاكك كلّ يوم فشقّ ذلك على معاوية**»[٦].

وهناك رأي يقول:إنّ معاوية كان مُدركاً بوجود تيارات معادية له، ومن المؤكّد أنّ هذه التيارات سوف تبرز بعد وفاته وتحدث زعزعة في حكم بني أمية، ولعله تخيّل أنّه لو ترك الأمر لحين وفاته من دون ولي للعهد لظهر الخصام حالاً، ولتنافر

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٤٩.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٥٦؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٥.

(٣)اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٢٨.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٥٩.

(٥) سيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، دار النهضة العربية، (بيروت، ١٩٧١م): ص٦١١.

(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٧٠.

المسلمون وتقاتلوا، فمن المصلحة أن يعهد إلى شخص معيّن تجنباً للمشاكل المتوقّعة[١].

ويرى ولهاوزن أنّ أساس هذه الفكرة كانت تجول في ذهن معاوية وأنّه ربّما كان يفكّر فيها مذ زمنٍ طويل[٢]، فسواءٌ كان المغيرة هو صاحب فكرة ولاية العهد لمعاوية أو كان معاوية نفسه صاحبها فإنّ الهدف واحد في كلا الحالتين، فيما يخصّ معاوية وهو توريث الحكم وجعله في عقبه، وخيرُ دليل على ذلك تقبّله للفكرة، وطلبه من المغيرة المباشرة في مسألة بيعة يزيد مع من يثق بهم، وأبقاه في منصبه وآلياً على الكوفة بعد أن كان قد فكّر في عزله[٣].

(١) يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، مطبعة جامعة دمشق، (دمشق، ١٩٦٥م): ص١٥٠.

(٢) يوليوس فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، نقله إلى العربية، د. يوسف العش، مطبعة الجامعة السورية، (دمشق، ١٩٥٦م): ص١١٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٤٩.

المبحث الثاني

طلب البيعة من الأمصار وأثرها في قيام الثورة

لم يكن معاوية مهتمّاً في أخذ البيعة من أهل الشام، وخاصّة حاضرة الدولة (دمشق) فقد كان يعلم بولائهم وانقيادهم المطلق للبيت الأموي بصورة عامة ولشخصه بصورة خاصة، ويظهر ذلك واضحاً عندما خاطب معاوية ولده يزيد بأنّ أهل الشام هم بطانته الذين ينتصر بهم على عدوّه[1].

لذلك وجّه معاوية جُلّ اهتمامه لأخذ البيعة من الأمصار التي كانت وما زالت تمثّل خطراً يُهدّد الحكومة المركزية في دمشق، وأبرز تلك الأقاليم هي العراق والحجاز، فيذكر معاوية أهل العراق بقوله ليزيد: «**انظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كلّ يوم عاملاً فأفعل؛ فإنّ عزل عامل أيسر من أن يشهر عليك مائة ألف سيف**»[2]. ومن الطبيعي أن يواجه يزيد معارضة من أهل العراق، فهم أعداء معاوية، وقد حاربوه في صفين[3] مع الإمام علي عليه السلام «**٣٥هـ/ ٦٥٥م ـ**

---

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، مطبعة الخانجي، (القاهرة ـ١٩٦٨م): ج٢، ص١٣١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٥، ص٢٥٩.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين: ج٢، ص١٣١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٥، ص٢٥٩.

(٣) أبو مخنف، لوط بن يحيى الأزدي (ت١٥٧هـ/ ٧٧٣م)، الجمل وصفين والنهروان، تح: حسن حميد، ط١، مؤسسة دار الإسلام، (لندن، ٢٠٠٢م): ص٢٦٨.

٤٠هـ/ ٦٦٠م»[١] والذي نكّل بأبرز قادتهم؛ مثل مالك بن الحارث الأشتر[٢] الذي استشهد في القلزم[٣] سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م[٤].

ومحمد بن أبي بكر[٥] استشهد في مصر سنة ٣٨هـ / ٦٥٨م[٦]، وحجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي اللذين مرّ ذكرهما.

أما الإقليم الثاني والذي يحظى بأهمية كبيرة لدى معاوية في أخذ البيعة فهو الحجاز؛ لأنّه مهبط الوحي، وأرض ومسكن الصحابة والذين يؤخذ رأيهم في عقد الولاية، فهم رجال الدين وأصحاب السياسة وأبناء الخلفاء، والناس إليهم تبع حيث يذكرهم معاوية ويوصّي بهم يزيد بقوله: «**فانظر أهل الحجاز؛ فإنّهم أصلك، وأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب**»[٧].

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٢٣ـ١٤٨؛ ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تح: مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، (بغداد، ١٩٧٠م): ص٧٥ـ٧٦.

(٢) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية، (القاهرة، ١٩٦٣م) ج١، ص١٠٢ـ١٠٤.

(٣) القلزم: هو المكان الذي غرق فيه فرعون وأعوانه، وهو ساحل مكة والمدينة، ثم ساحل الطور وساحل تيماء حتى قلزم مصر. ينظر: الحموي، معجم البلدان: ج٤، ص٣٨٧.

(٤) أبو مخنف، الجمل وصفين والنهروان: ص٤٥٥؛ الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد الكوفي (ت ٢٨٣هـ/ ٨٦٨م)، الاستنفار والغارات، تح: عبد الزهراء الحسيني، دار الأضواء، (بيروت، ١٩٨٧م): ص١٦٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج١، ص١٠٤.

(٥) محمد بن أبي بكر الصديق، أمّه أسماء بنت عميس الخثعميه، ولدته في طريق المدينة إلى مكة في حجة الوداع، نشأ محمد في حجر الإمام علي عليه السلام؛ لأنّه كان قد تزوّج أمّه بعد وفاة أبي بكر. وشهد مع الإمام علي عليه السلام الجمل وصفين، ثم أرسله إلى مصر أميراً، فدخلها في شهر رمضان سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م، فتولّى إمارتها، ثم جهّز معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص في جيش إلى مصر، فقاتلهم محمد وأنهزم ثم قتل في صفر سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٣، ص٤٧٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج١، ص١٠٦ـ١١٠.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج١، ص١١٠.

(٧) الجاحظ، البيان والتبيين: ج٢، ص١٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٥٩.

أولاً: رأي أهل الحجاز في البيعة ليزيد

أرسل معاوية بن أبي سفيان إلى مروان[١] بن الحكم ـ وكان أميراً على المدينة وذلك سنة ٤٩هـ/ ٦٩٦م[٢] ـ يأمره أن يمهّد لأخذ البيعة ليزيد «**إذ كان عرب الحجاز بوجهٍ خاص غير مستعدّين للإنتقال من النظام القائم على الشورى إلى النظام الوراثي**»[٣].

وقد كان ردّ الفعل عنيفاً بوجه مروان، الذي خاطب أهل المدينة بأمر البيعة ليزيد وأعلن أبناء الصحابة استنكارهم لولاية العهد، ونهض عبد الرحمن[٤] بن أبي بكر وأعلن معارضته بقوله: «**ما الخيار أردتم لأمّة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل**»[٥].

لذلك فقد سعى معاوية لأخذ البيعة من أهل المدينة بنفسه، وقدّمها سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م، والتقى بأبرز رجالها، وشاورهم في رغبته بأخذ البيعة ليزيد، فتلقّى معارضة تامّة من الجميع، وقد لخّص عبد الله بن عمر رأي الجميع بقوله: «...**فإنّ هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية ولا كسرويه يتوارثها الأبناء عن الآباء، ولو**

---

(١) مروان بن الحكم بن أبو العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، يُكنى أبا عبد الملك، ولد في مكة سنة ٢هـ/ ٦٢٣م، وأسلم عام الفتح، كان منفياً بالطائف مع أبيه الحكم، ردّه الخليفة عثمان بن عفان، وكان كاتباً عنده، نظر إليه الإمام علي عليه السلام فقال: (ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك)، ولي الخلافة بعد معاوية بن يزيد، مات سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٣، ص٤٢٧ـ٤٢٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٤٦.

(٣) سيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب، (تاريخ الدولة الأموية)، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية، لا.ت): ج٢، ص٣٢٧.

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر كان اسمه في الجاهلية عبد العُزى، شهد بدراً وأُحداً مع الكفار أسلم في هدنة الحديبية، وشهد الجمل مع طلحة والزبير، مات في مكة أيام معاوية سنة ٥٥هـ/ ٦٧٤م. ينظر: ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٣، ص٣٠٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٥٠.

كانت كذلك لكنت القائم بها بعد أبي»[١].

وبعد أن عاد معاوية إلى الشام أخذ يعمل على إغراء الناس وتقريبهم إليه، ويداني بعيدهم ويلطف بهم حتى استوثق له أكثر الناس، ثم كرّر معاوية طلب البيعة لابنه يزيد، وأوكل هذه المهمّة لعامله على المدينة سعيد بن العاص، الذي أخذ الناس بالشدّة والعنف وأبطأ الناس في البيعة، سيّما بنو هاشم الذين أنكروا أن يتولّى عليهم من يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ويظهر الفسوق[٢].

وقد تخلّف عن البيعة أربعة أشخاص وهم: الحسين بن علي عليه السلام، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير[٣]، وقد قال عبد الله بن عمر: «**نبايع من يلعب بالقرود والكلاب، ويشرب الخمر، ويظهر الفسوق: ما حجتنا عند الله**»[٤]؟ وقال عبد الله بن الزبير: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد أفسد علينا ديننا**»[٥].

ثانياً: إرسال الوفود إلى دمشق

بدأ معاوية بن أبي سفيان بتهيئة يزيد للخلافة وتقريبه من الناس، إذ قام معاوية

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٧٨.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١،ص١٨١؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٥٩؛ ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، ط٣، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٧م): ج٥، ص١١٧؛ سيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب: ص٣٢٨.

(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، يكنى أبا بكر، أو أبا خبيب، أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين، ولد سنة ٢هـ/ ٦٢٣م، في المدينة وهو أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين، شهد الجمل مع أبيه وخالته عائشة، بويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م.ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٢، ص٣٠١ـ٣٠٢؛ ابن حجر، الإصابة: ج٢، ص٣٠٩ـ٣١٠.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٥٩.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٢، ص١٥٩.

سنة (٥١هـ/ ٦٧١م) بتوجيه يزيد أميراً للحج[١]، وما هذه إلا محاولةً لتحسين صورة يزيد لدى أهل الحجاز، وإعداده لتولّي الخلافة في المستقبل، وبعد ذلك طلب معاوية من عمّاله أن يرسلوا إليه الوفود من الأمصار إلى دمشق، ومن طلائع الوفود التي وصلت محمد بن عمر بن حزم من المدينة، وهو أحد علماء أهل الحجاز والأحنف[٢] بن قيس من البصرة.

فضلاً عن وفود الكوفة ومكة ومصر والجزيرة، وعندها عُقِد المجلس[٣]، وقد حدّد المسعودي السنة التي قدمت بها الوفود إلى دمشق، وهي سنة ٥٩هـ/ ٦٧٨م[٤]، أما ابن الأثير فأشار إلى أنّها سنة ٥٦هـ/ ٦٧٥م[٥]. ومن المتوقع أنّ معاوية طلب البيعة قبل وفاته بمدّة ليست بالقصيرة، وبحضور معاوية بن أبي سفيان قام الخطباء ببيعة يزيد «**وأظهر قوم الكراهة، فقام رجل من عذرة يقال له يزيد بن المقنع، واخترط من سيفه شِبراً، ثم قال أمير المؤمنين هذا، وأشار إلى معاوية، فإن يهلك فهذا وأشار إلى يزيد، فمن أبى فهذا، وأشار إلى سيفه، فقال معاوية: أنت سيد الخطباء**»[٦].

---

(١) المصدر السابق: ج٥، ص٢٨٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٤٣.

(٢) الأحنف بن قيس السعدي التميمي، زعيم تميم في البصرة، يكنى أبا بحر قيل: إنّ اسمه صخر، وقد أدرك النبي صلى الله عليه وآله، توفي في إمارة مصعب بن الزبير في الكوفة سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م).ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج١، ص١٢٦ـ١٢٨؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، (مصدر، بلا ت): ج٢، ص١٨٦ـ١٩٢.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٧٠؛ ابن اعثم، أبو محمد أحمد بن اعثم الكوفي، (٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، الفتوح، تح: علي شيري، ط١، دار الأضواء، (بيروت، ١٩٩١م): ج٤، ص٢٢٩؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٣٦.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٣٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٥٠.

(٦) الجاحظ، البيان والتبيين: ج١، ص٣٠٠؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٥١.

وهذا يؤكّد أنّ محاولة معاوية في أخذ البيعة لابنه من بعده لم تكن تحظى بالتأييد المطلق، وأنّ هناك مَنْ يعارضها.

وعندما تكلّم محمد بن عمرو بن حزم الموفد من المدينة قائلاً: «**يا معاوية إنّ يزيد أهلٌ لما تريد أن ترسمه له، وهو لعمري غني بالمال ووسيط في النسب، غير أنّ الله تعالى مسائلٌ كلّ راعٍ عن رعيته، فاتّق الله يا معاوية، وانظر من تولّي أمر أمّة محمد** صلى الله عليه وآله»[١].

ويبدو أنّ موفد أهل المدينة لم يُظهر موقفاً واضحاً بشأن تأييد بيعة يزيد حتى يجنّب أهلها ما يترتّب على هذا الموقف، وفي الوقت نفسه حاول أن يُبيّن لمعاوية أن يُرشّح من يصلح للخلافة، وكانت إجابة معاوية لابن عمر على أنّه رجلٌ ناصح ويكفي أن يسمع رأيه، ولم يكن واجبه أكثر من هذا، غير أنّ معاوية أكّد لموفد المدينة قائلاً: «**لم يبق من أولاد الصحابة إلا ابني وأبناؤهم وابني أحبّ إليّ من أبنائهم**»[٢].

ومن هنا يتبين أنّ معاوية عبَّر عن رأيه بصريح العبارة أنّ ابنه أحبّ إليه وأفضل من أبناء الصحابة جميعاً.

وحاول معاوية أن يعمل على أخذ البيعة ليزيد، فكتب إلى الأمصار يصف يزيد بأحسن وصف؛ ليكون بالصورة الحسنة والمنزلة الجديرة بالاحترام التي يجب أن يتحلّى بها الخليفة، وعندما توافدت عليه الوفود وكّلف الضحاك[٣] بن قيس الفهري بأن يكون المشرف والمتكلم في هذا المجلس، وأوعز الخليفة أن يستأذنه الضحاك إذا

---

(١) ابن اعثم، الفتوح: ج٤، ص٢٢٩؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٥، ص١١٨؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة، (مصر، ١٩٥٢م): ص٢٠٦.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٥، ص١١٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص٢٠٦.

(٣) الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب القرشي الفهري، يكنى أبا أنيس وأمه أمية بنت ربيعة الكنانية، روى عن النبي محمد صلى الله عليه وآله أحاديث وقيل لا صحبة لم وكان على شرطة معاوية ثم تقلد عدة مناصب بايع لعبد الله بن الزبير في دمشق بعد موت معاوية بن يزيد قُتل في مرج رهط في ذي الحجة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م.ينظر: ابن الأثير، أُسد الغابة: ص٤٩ـ٥٠.

فرغ من كلامه فإن سمع له معاوية أن يولي يزيد بعد أن هيأ أربعة من الرجال من خاصة معاوية، ليكونوا على استعداد ليقوموا ويدعموا كلامه بالتصديق ويدعوه إلى البيعة؛ وهم عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، وعبد الله بن مسعدة الفزاري، وثور ابن معن السلمي، وعبد الله بن عصام الأشعري[١].

وبدأ الضحاك خطبته، وهي دليلٌ قاطع على تأييد أهل الشام لبيعة يزيد إذ قال: «**أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به، إنّا قد بلونا الجماعة والألفة والاختلاف والفرقة فوجدناها ألمّ لشعثنا، وأمنة لسبلنا، وحاقنة لدمائنا، وعائدة علينا في عاجل ما نرجو، أو آجل ما نؤمّل، مع ما ترجو به الجماعة من الألفة، ولا خير لنا أن نترك سُدى، والأيام عوج رواجع، والله يقول: كلّ يوم هو في شأن، ولسنا ندري ما يختلف به العصران، وأنت يا أمير المؤمنين ميّت كما مات من كان قبلك من أنبياء الله وخلفائه، نسأل الله تعالى بك المتاع، وقد رأينا من دعة يزيد بن أمير المؤمنين، وحسن مذهبه، وقصر سيرته ويُمن نقيبته، مع ما قسم الله له من المحبة في المسلمين، والشبه بأمير المؤمنين في عقله وسياسته وتسميته المرضية، ما دعانا إلى الرضا به في أمورنا، والقنوع به في الولاية علينا، فليولّه أمير المؤمنين أكرمه الله عهده، وليجعله لنا ملجأ ومفزعا بعده لنأوي إليه أن كان كون فإنّه ليس أحدٌ أحقّ بها منه، فأعزم على ذلك، عزم الله لك في رشدك ووفّقك في أمورنا**»[٢].

ثم قام الأربعة وعزّزوا ما قاله الضحاك وأيّدوا بيعة يزيد[٣]، ومجمل كلامهم

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٧٠؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٤، ص٢٣٠؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٥، ص١١٨.

(٢)ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٧٠ـ١٧١؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٤، ص٢٣٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٥١. ورد في كل هذه المصادر التاريخية المضمون نفسه بصيغ مختلفة.

(٣)ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٧١ـ١٧٢.

الحثّ على طلب البيعة ليزيد، ووصف محاسنه، وكان من نتيجة ذلك أن أصبح الضحاك والياً على الكوفة[١].

وبعد هذه المداولات التي دارت أثناء الاجتماع قال معاوية: «**أو كلكم قد جمع رأيه على ما ذكرنا؟ فقالوا: كلّنا أجمع رأيه على ما ذكرنا**»[٢].

ونلاحظ أنّ معاوية أخذ رأي المجلس على ما قالوا بشأن بيعة يزيد فأجابوا بالإجماع على الموافقة.

ثالثاً: رأي أهل العراق في البيعة ليزيد

لقد كان اهتمام معاوية بن أبي سفيان واضحاً في طلب البيعة من أهل العراق؛ لما كان يعرفه منهم في رفضهم لخلافة بني أمية بصورة عامة، ولشخص يزيد بصورة خاصة، وقد جاء ذلك الردّ على لسان موفد أهل العراق الأحنف بن قيس رئيس قبيلة بني تميم، حيث تكلّم بعد أن سأله معاوية فبدأ حديثه: «**فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين، إنّ الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف ومعروف زمان مؤتنف، ويزيد بن أمير المؤمنين نعم الخلف، وقد حلبت الدهر أشطره، يا أمير المؤمنين فاعرف من تسند إليه الأمر من بعدك ثم أعصِ أمر من يأمرك، لا يغررك من يشير عليك، ولا ينظر لك، وأنت أنظر الجماعة وأعلم باستقامة الطاعة...**»[٣].

ومن خلال تحذير الأحنف لمعاوية من أهل العراق ردّ الضحاك عليه على نحوٍ

---

(١) المصدر السابق: ص١٧٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٢٩٨، في سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣م) كان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد، وقيل: كان عليها الضحاك بن قيس، وفي سنة (٥٥هـ/ ٦٧٤م) عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد عن الكوفة، وولاها الضحاك بن قيس. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٠٠.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٧٥.

(٣)المصدر السابق: ص١٧٣، المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٣٧.

عنيف، ووصف أهل العراق بأنّهم على غير حق في أن يرفضوا يزيد، وأكّد لمعاوية بأن لا يبالي بهم، وناشد أهل العراق مخاطباً «**ناصحوا لإمامكم، وكاتب نبيكم وصهره**»[١].

وفي رواية أخرى تذكر أنّ الأحنف بن قيس قال لمعاوية عندما سأله عن يزيد قائلاً: «**أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلانيته، فلا تسلّمه الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة**»[٢].

وهذا تعبيرٌ صريح من قبل الأحنف يحمّل فيه معاوية المسؤولية في توليته، ونلاحظ أنّه أكّد الالتزام بالعهود، وتحميل معاوية المسؤولية المباشرة في اتخاذه القرار تجاه الله سبحانه وتعالى في مصير الأمة الإسلامية.

وفي رواية أخرى تؤكّد موقف الأحنف الصريح: «**أرسل معاوية إلى الأحنف فدعاه، ثم شاوره في أمر يزيد فقال: يا أمير المؤمنين إننا نخافك إن صدقناكم، ونخاف الله إن كذبنا**»[٣]، ولكن عليك بغيري «**فأمسك عنه معاوية، وجعل يروّض الناس في كلّ سنة، وفي كلّ موسم يدعوهم إلى بيعة يزيد**»[٤].

ويبدو أنّ الأحنف حاول التخلّص من مسؤولية إعطاء الرأي الصريح لمعاوية لذلك تركه الأخير، وفي الوقت نفسه حاول الأحنف ترغيب الناس في بيعة يزيد في كل موسم، فأثابه معاوية على موقفه، وحمل إليه هدية مقدارها خمسون ألف درهم[٥].

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٧٤.

(٢) المصدر السابق: ص١٧٤؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٤، ص٢٣١ـ٢٣٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٥١.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ج٧، ص٩٥؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٤، ص٢٢٨ـ٢٢٩.

(٤) ابن اعثم، الفتوح: ج٤، ص٢٢٨ـ٢٢٩.

(٥) المصدر السابق: ج٤، ص٢٢٩.

ومن هنا يتبيّن أنّ معاوية كان أحوج إلى الأحنف؛ لأنه زعيم قبائل تميم أكبر القبائل في البصرة، وذو كلام مسموع لدى أهل العراق.

وعلى الرغم من وجود علاقة حميمة بين معاوية والأحنف بن قيس فقد كانت لا تخلو من علاقة منفعة متبادلة، فلم يُعرب الأحنف عن رأيه على نحوٍ مباشر، وجعل الحكم لمعاوية، فلما سأل معاوية الأحنف عن البيعة صرح قائلاً: «**أنت أعلم بما أردت، وإنما علينا أن نسمع ونطيع، وعليك أن تنصح للأمة**»[1].

ومن هنا يتبيّن أنّ جواب الأحنف كان صريحاً مكلّلاً بالطاعة والاحترام، ويبدو أنّ الأحنف لم يكن مقتنعاً بتولية يزيد، لكن الخوف والطاعة هي التي قادته بأن يعبّر عن رأيه على نحوٍ غير واضح، من دون أن يُظهِر حقيقة ما كان يدور في العراق من معارضة ضدّ الحكم الأموي.

ويعد أن تحدَّث الأحنف قام رجلٌ من أهل الشام فقال: «**ما ندري ما تقول هذه المعدية العراقية، وإنما عندنا سمع وطاعة وضرب وازدلاف**»[2].

ويتبيّن لنا أنّ أهل الشام كانوا يريدون بيعة يزيد لكنهم كانوا ينتظرون أن يسمعوا رأي أهل العراق، وهم على أهبة الاستعداد في الطاعة والولاء والحرب، وفي نهاية المجلس قام أحد أفراد التجمع، وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وبيّن للخليفة أنّ آراء الناس مختلفة، والكثير منهم يخالفون رأي الخليفة، ولا يدعون إلى الطريق الصحيح الذي يدعوه الخليفة، وبذلك يكونون قد خالفوا السُنة، لكن يزيد يتصف بكلّ الصفات الحميدة التي تؤهّله لهذا المنصب، فإذا دعاك إليه لبيعته فنفذ واقطع كلّ ما يقوله الناس، ولا يبالي من يرفض البيعة، وهم الذين يحركون الفتنة

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٨٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٥١.

والكراهية، فإن سمعتهم فقولهم شرّ، وإن سكتوا فدفع البلاء عنهم، وأنت تعرفهم فلا تبالي لهم، فبايعه لكي يرفع هذه الغمّة، وتجمع شمل الأمة، وهذا الرأي لك ولنا، والحقّ علينا وعليك[١].

وقد ذكر ابن قتيبة تلك الوفود، فضلاً عن مجموعة من المصادر المتأخرة، ولم يذكرها الطبري، وهناك إشارة في الإمامة والسياسة تشير إلى أنّ معاوية عيّن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي على الجزيرة إثابةٍ له على موقفه هذا[٢].

ثم خطب معاوية بالناس، وسمّى الذين يستعبدهم إبليس إخوانه، ويقصد بهم الذين يشنون ويثيرون المشاكل فهم حطب النفاق، ولم يبال معاوية بهم؛ لأنّه قادرٌ على القضاء عليهم من جذورهم، وشبّههم بجذور الكمأ التي بطبيعتها رخوة[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الناس انقسموا إلى قسمين؛ قسمٌ مع البيعة، وآخر ضدّها، فهناك من اندفع وكان موقفه مطابقاً لموقف معاوية؛ تحقيقاً لمصلحةٍ شخصية وتجنباً للمشاكل، والقسم الآخر لم يؤيّد البيعة؛ لأنّها غير مألوفة عند المسلمين، وقد يكون الرفض لشخص يزيد نفسه، وهناك من عبَّر عن رأيه من دون خوفٍ، وهناك من أضمر رأيه في داخله وحمّل معاوية المسؤولية في اختيار ولي عهده كالأحنف بن قيس، وهناك من جامل في رأيه.

ويبدو أنّ هناك من عبَّر عن رأيه بصراحة، فمثلاً طلب من رجل قد دُعي إلى البيعة التعبير عن رأيه فأجاب قائلاً: «**اللهمّ إنّي أعوذ بك من شرّ معاوية، فقال له**

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٧٥؛ حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ٤٠هـ ـ١٣٢هـ، ط١، مؤسسة الرسالة، دار النفائس، (بلا مكان ـ١٩٧٤م): ص١٣٧ـ١٣٨.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٧٥ص١٧٥.

(٣) المصدر السابق: ص١٧٥؛ حمادة، الوثائق السياسية: ص١٣٨.

معاوية: تعوذ من شرِ نفسك فإنّه أشدُّ عليك»[١].

وبايع ثم قال إني أبايع وأنا كاره للبيعة، فقال له معاوية: بايع أيها الرجل فإنّ الله يقول: ﴿... فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[٢].

ويوضّح لنا احتجاج قسم من الشعراء على بيعة يزيد ما كان في دواخل الناس، على اعتبار أنّ الشعراء كانوا يُمثّلون وسائل إعلام تعكس مشاعر الناس، ونلاحظ أنّ منهم من انتقد معاوية وسياسته، وناداه بالاعتدال في سياسته، ونقد الوراثة في العهد والطمع في الخلود، وهذا ما يؤكّده ابن أعثم، إذ يقول أحد الشعراء:

معاوي إنّنا بشرٌ فاسجع ... فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجرّتموها ... فهل من قائم أو من حصيد
أتطمع في الخلود إذا هلكنا ... وليس لنا ولا لك من خلود
فهبها أمة هلكت ضياعا ... يزيد يسوسها وأبو يزيد
دعوا حقّ الإمارة واستقيموا ... وتأمير الأراذل والعبيدا[٣]

رابعاً: طلب البيعة من أهل الحجاز

لقد كان تأييد أهل الشام واضحاً، ولم يخشَ معاوية بن أبي سفيان من معارضة أهل العراق والحجاز بعد أن عالج الوضع في العراق، وحصل على تأييد أهل الكوفة بمساعدة عامله عليها المغيرة بن شُعبة[٤]، حيث أعلن رسمياً تولية يزيد

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٥، ص١١٩.
(٢) النساء: آية١٩؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٥، ص١١٩.
(٣) ابن اعثم، الفتوح: ج٤، ص٢٢٥؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٣٧.
قصيدة عبد الله بن همام السلولي، وذمّه لمبدأ الوراثة في الخلافة.
(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٠٣.

لولاية العهد ولم يتخلف عن بيعته إلا أربعة نفر، هم: الحسين بن علي عليهما السلام وعبد الله ابن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير[١].

بينما يذكر الطبري أنّ زعماء المعارضة في الحجاز كانوا خمسة بقوله: «**واستوثق له الناس على البيعة غير خمسة نفر**»[٢]، **مُضيفاً عبد الله بن عباس إليهم، ولم تتمّ البيعة إلا إذا وافق عليها ذوو الرأي والمكانة من أهل المدينة لأنّهم أولاد الصحابة، فضلاً عن مكانتهم الاجتماعية والدينية في مجتمع المدينة، ومن المؤكّد أنّ لهم تأثيراً في كسب الرأي العام، وهنا جاء أثر معاوية في أخذ رأي أبناء الصحابة ومناقشتهم في الأمر، لذلك فقد كان جُلّ اهتمام معاوية بأن يأخذ موافقة أبناء الصحابة، وهذا ما قام به مروان بن الحكم أمير مكة سنة (٤٩هـ/ ٦٦٩م) عندما طالب بمبايعة يزيد**[٣].

وفي رواية لابن قتيبة تقول: إنّ معاوية كتب إلى عامله على المدينة سعيد بن العاص بأن يدعو أهل المدينة إلى البيعة، على أن يكتب له من يسارع في البيعة ومن يباطؤها، فكتب إليه سعيد أنّ بني هاشم هم الذين أبطأوا البيعة، وأكّد أنّ عبد الله بن الزبير أشدُّ معارضةً، علماً أنّ سعيد بن العاص استعمل الشدة والغلظة مع من أبطأ البيعة[٤]**، وقد أرسل معاوية رسالةً إلى سعيد بن العاص جاء فيها: «عليك بالرفق وإياك والخرق، فإنّ الرفق رشد، والخرق منكر، وانظر حسيناً خاصة، فلا يناله مكروه، فإنّ له قرابة وحظاً عظيماً ولا ينكره مسلمٌ ومسلمة، وهو ليث عرين ولست آمنك إن شاورته أن لا تقوى عليه، فإما من يرد السباع إذ أوردت، وينكّس إذ نكّست فذلك عبد الله بن الزبير،**

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٥٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٠٣.

(٣) وفي هذه السنة عزل معاوية مروان بن الحكم عن إمرة المدينة وولاها سعيد بن العاص. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٢٨.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٨١؛ حمادة، الوثائق السياسية: ص١٧٠.

فأحذره أشدّ الحذر ولا قوة إلا بالله»[١].

ونلاحظ أنّ معاوية أكّد الرفق، وعدم استعمال العنف وأوصى بالحسين عليه السلام وأن لا يمسّه أيّ مكروه، وحذّر من عبد الله بن الزبير، لكنه مع هذه التوصيات التي أدلى بها إلى عامله على المدينة رأى من الضروري عدم إلحاق عامله سعيد بن العاص الضرر بهؤلاء العبادلة، والذين يمثلون الرأي العام في الحجاز، وقد كتب معاوية ابن أبي سفيان إلى الحسين عليه السلام: «**أما بعد، فقد انتهت إليّ منك أمور، ولم أكن أظنّك بها رغبة عنها، وإن أحقّ الناس بالوفاء لمن أعطى بيعة من كان مثلك، في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، وأتقِ الله ولا تردن هذه الأمة في فتنة وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون**»[٢].

ويبدو أنّ معاوية حاول التأثير على الحسين عليه السلام، وطلب منه تأييد رأيه استجابةً بصلة الرحم، وبيّن منافع البيعة من أجل مصلحة الأمة الإسلامية، فانتقد الحسين عليه السلام قول معاوية قائلاً: «**تريد أن توهم الناس في يزيد كأنّك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً أن تخبر عما كان مما احتويته بعلمٍ خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبّق لأ ترابهنّ، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي تجده باصرا، ودع منك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جور... **»[٣].

---

(١)ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٨١ـ١٨٢؛ حمادة، الوثائق السياسية: ص١٧٠.
(٢)ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٨٢.
(٣) المصدر السابق: ص١٩٠.

مما تقدّم يتضح لنا أنّ الحسين عليه السلام وصف يزيد بأنه معروف بتصرفاته الصبيانية، ونفهم أيضاً أنّ الحسين عليه السلام حذّر معاوية عواقب هذا العمل حيث لم يخرج الأخير بنتيجة، ولعله كان يطمح أن يكسب الحسين عليه السلام إلى جانب البيعة طمعاً في قرابته، وربما كان معاوية قد عقد العزم على مبايعته ليزيد لأنّ ذلك يحقّق نجاحاً كبيراً للبيعة، لكن الحسين عليه السلام واجه معاوية بكل حزم بقوله: «**تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه، وتشقى بها في آخرتك، إنّ هذا لهو الخسران المبين**»[1].

وبذلك فقد أجمعت المصادر على أنّ هؤلاء النفر لم يبايعوا ليزيد، وخير دليلٌ على ذلك وصية معاوية لابنه يزيد قبيل وفاته، وقد أوضح ذلك أبو مخنف في رواية مفادها: «**لمّا مرض معاوية مرضته التي هلك فيها دعا يزيد ابنه فقال: يا بني، إنّي قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطّأت لك الأشياء، وذلّلت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمعٍ واحد... وإنّي لا أتخوّف أن ينازعك هذا الأمر الذي أستتبّ لك إلا أربعة نفر من قريش؛ الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر... فأمّا عبد الله بن عمر فرجلٌ قد وقذته العبادة، وأمّا الحسين بن علي فإنّ أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه؛ فإنّ له رحماً ماسة وحقاً عظيماً، وأمّا عبد الرحمن بن أبي بكر فرجلٌ إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم، ليس له همّة إلا في النساء واللهو، وأمّا الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب،**

(١) المصدر السابق: ص١٩٠.

فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطّعه إرباً إرباً»[1].

ويبدو ـ كما ذكرنا ـ أنّ معاوية كان يفكر في أخذ البيعة ليزيد قبل وفاته بمدةٍ غير قصيرة، وأنّ الناس وافقوه على ذلك إلا هؤلاء الأربعة.

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك: ج٥، ص٣٢٢ـ٣٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٥، ص٢٥٩؛ لقد مر أن عبد الرحمن بن أبي بكر قد توفي قبل موت معاوية بمدة ليست بالقصيرة حيث ذكر أنه مات سنة (٥٥هـ/ ٦٧٤م). ينظر: ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٣، ص٣٠٦.

المبحث الثالث

خلافة يزيد بن معاوية وقيام الثورة

أولاً: وفاة معاوية والبيعة ليزيد

تُوفي معاوية بن أبي سفيان في النصف من شهر رجب، وقيل: لثمانٍ بقين منه سنة (٦٠هـ/ ٦٨٠م)[١].

وكان يزيد بحوارين[٢]، فكتب إليه الضحاك بن قيس كتاباً جاء فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي لبس رداء البقاء، وحكم على عباده بالفناء، فقال عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾**[٣]، [٤] **ثم ذكر بعد ذلك كلامه «لعبد الله يزيد أمير المؤمنين» من الضحاك بن قيس، سلام عليك، أمّا بعد، فكتابي إلى أمير المؤمنين كتاب تهنئة ومصيبة، فأمّا الخلافة التي جاءتك فهي التهنئة، وأما المصيبة فموت أمير المؤمنين معاوية، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فإذا قرأت كتابي فالعجل العجل! لتأخذ الناس ببيعة أخرى محدودة، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته**»[٥]، ثم أثبت في أسفل الكتاب هذين البيتين:

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٦٦، الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٢٤.

(٢) حوارين: من قرى حلب وقريبة من تدمر على مرحلتين منهما، وفيها مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٢، ص٣١٥.

(٣) الرحمن: آية٢٦ـ٢٧.

(٤) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٥.

(٥) المصدر السابق؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٢٦٠.

مضى ابن أبي سُفيان فرداً لشأنه وخُلّفت فانظر هذه كيف تصنعُ

أقمنا على المنهاج واركب محجة سداداً فأنت المرتجى كيف تفزعُ[١]

وكان وصول يزيد إلى دمشق بعد موت معاوية بثلاثة أيام[٢] فخطب خطبة طويلة جاء فيها: «...**أبشروا يا أهل الشام، فإن الخير لم يزل فيكم، وسيكون بيني وبين أهل العراق حرب شديد، وقد رأيت في منامي كأن نهراً يجري بيني وبينهم دماً عبيطاً وجعلتُ أجهد في منامي أن أجوز ذلك النهر، فلم أقدر على ذلك حتى جاءني عبيد الله ابن زياد**[٣]**، فجازه بين يدي وأنا أنظر إليه، فأجابه أهل الشام وقالوا: يا أمير المؤمنين امضِ بنا حيث شئت، وأقدم بنا على مَنْ أحببت، فنحن بين يديك، وسيوفنا تعرفها أهل العراق في يوم صفين**»[٤].

ثم كتب يزيد كتابين إلى ابن عمه وعامله على المدينة الوليد[٥] بن عتبة بن أبي

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين: ج٢، ص١٣٢؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٢٦٠.

(٢) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٢٦٠.

(٣) عبيد الله بن زياد: كنيته أبو حفص، وأمّه مرجانة الفارسية، ولي البصرة سنة ٥٥هـ/ ٦٧٤م، وقد جرت لعبيد الله خطوب، وأبغضه المسلمون لما فعل بالحسين عليه السلام فلما جاء نعي يزيد بن معاوية هرب بعد أن كاد يؤسر، وكان عبيد الله بن زياد من المشجعين لمروان بن الحكم في أخذ الخلافة، وشارك معه في معاركه، قتله إبراهيم بن مالك الأشتر في موقعة الخازر سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م. ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تح: محمد عبادي عبد الحليم، ط١، مكتبة السلام، (المملكة المغربية، ٢٠٠٣م) ج٣، ص٦٤١.

(٤) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٧؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٢٦٠.

(٥) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ولي لعمّه معاوية المدينة سنة ٥٩هـ/ ٦٧٨م، وكان ذا جودٍ وحلم، ولما جاء نعي معاوية وبيعة يزيد لم يُشدّد على الحسين عليه السلام وابن الزبير، فلامه مروان بن الحكم على ذلك فقال له: "ما كنت لأقتلهما ولا أقطع رحمهما، وقد أرادوه على الخلافة بعد معاوية بن يزيد فأبى، مات بعد معاوية بمدة قصيرة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٦٣١.

سفيان، كان الأول يحمل نعي معاوية، وقد جاء فيه: «**من عبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإنّ معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخولّه ومكّن له، ثم قبضه إلى روحه وريحانه ورحمته وغفرانه، عاش بقدر ومات بأجل، عاش برّاً تقيّاً، وخرج من الدنيا رضيّاً زكيّاً، فنعم الخليفة كان ولا أزكّيه على الله، هو أعلم به مني، وقد كان عَهِد إليّ عهداً وجعلني له خليفة من بعده، وأوصاني أن آخذ آل أبي تراب بآل أبي سفيان لأنّهم أنصار الحقّ وطلاب العدل، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة على أهل المدينة والسلام**»[1].

أمّا الكتاب الثاني فكان كتاباً صغيراً شبّهه المؤرّخون بصغر أذن الفأرة، ورغم صغرها كانت تحمل خبراً حاسماً لقضية البيعة؛ يقول فيها: «**أما بعد، فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة، حتى يبايعوا والسلام**»[2].

وعلى أثر وصول الكتاب بعث الوليد بن عُتبة إلى مروان بن الحكم؛ طالباً منه المساعدة في أخذ البيعة، ومشاركة الرأي والمشاورة، علماً بأنّ الأخير كان والياً على المدينة وعُزِل عنها، وعلى الرغم من سوء العلاقة بينهما، فقد حضر مروان بن الحكم، وقرأ الوليد الكتاب عليه واستشاره في الأمر، فكان جوابه أن يبعث إلى هؤلاء النفر، فيدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن استجابوا فخيراً، وإن

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٣٨؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٠.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٦٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٣٨؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٠؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٢٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٣؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي، (بيروت، ١٩٧١م): ج٣، ص١٩.

أبوا تضرب أعناقهم، قبل أن يعلموا بموت الخليفة، فإن علموا ولم يبايعوا أظهروا الخلاف، وثار كلّ واحدٍ منهم في ناحية[١].

ويبدو أنّ مروان بن الحكم أراد استعمال القوة، فقال الوليد: «**أأقتل الحسين وابن الزبير فأجاب مروان، هو ما قلت**»[٢].

ونلاحظ أنّ مروان أكّد على أنّ الحسين وعبد الله بن الزبير لهما خطورة على البيعة، وربما شكّ في عدم مبايعتهم ليزيد[٣]، ولم يحمل همّاً لعبد الله بن عمر قائلاً: «**لا أراه يرى القتال، ولا يحسب أن يولّى على الناس، إلا أن يدفع إلى هذا الأمر عفواً**»[٤]، وألحّ مروان بن الحكم على الوليد أن يرسل إلى الإمام الحسين عليه السلام، وعبد الله بن الزبير في جوف الليل؛ أي عند وصول الرسول[٥]، فأرسل إليهما عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوهما للحضور، فوجدهما في المسجد يتحدثان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس[٦]، وبلّغ الرسول حضورهما إلى مجلس الوليد، فأمراه بالإنصراف وأنّهما سوف يأتيان بعده، وتداولا الأمر بينهما، حيث إنّ الوليد لم يجلس في هذه الساعة إلا إذا كان أمراً هامّاً، فردّ الإمام الحسين عليه السلام قائلاً أظنّ: «أنّ

---

(١) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٤، ص٢٢؛ الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، ط٢، منشورات المكتبة الحيدرية، (قم، ١٩٥٩م): ص٢٠٨؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه): ج١، ص٢٠٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٦٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٣٨ـ٣٣٩.

(٢)البلاذري، أنساب الاشراف: ج٤، ص٢٢ـ٢٣.

(٣) أكد مروان كلاماً: "أني أعلم أنّ الحسين بن علي خاصة لا يجيبك إلى بيعة يزيد أبداً، ولا يرى عليه طاعة".ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه): ج١، ص٢٠٧.

(٤) الطبري، تاريخ الامم والملوك: ج٥، ص٣٣٩؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١١.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٦٨؛ الطبري، تاريخ الامم والملوك ج٥، ص٣٣٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٤.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٣٩؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٤.

طاغيتهم قد مات، ويريد أن يأخذ البيعة ليزيد قبل أن يتسرّب خبر وفاته بين الناس، وطابقه في الرأي ابن الزبير، وجرى الحديث حول موقفها فقال الإمام الحسين عليه السلام: سوف أذهب وأجمع فتياني الساعة، فجمع مواليه وأهل بيته وشيعته، وذهب إلى الوليد وأمرهم أن يبقوا في الباب على أهبة الاستعداد وأعلمهم إذا سمعتم صوتي قد علا فادخلوا وإن لم تسمعوا شيء ظلوا في أماكنكم»[1]، ولمّا دخل الحسين عليه السلام وكان مروان بجانبه فقرأ الوليد نعي معاوية فترحم الحسين عليه السلام عليه، ثم قرأ كتاب مبايعة يزيد فأجاب الحسين عليه السلام قائلاً: «**إنّ مثلي لا يعطي البيعة سرّاً، ولا أراك تجترئ بها مني سرّاً دون أن أظهرها على رؤوس الناس علانية... »**[2].

ويتبين من هذا أنّ الحسين عليه السلام أعلن معتذراً عن البيعة وحده من دون جماعته؛ إذ يجب أن يتداول الأمر معهم ثم يأخذ قراره، ويُضيف بأنه ليس مثله أن يبايع في جوف الليل أي في هذا المجلس، ولكنّ البيعة تكون أمام الملأ، إذا قالوا له أخرج إلى الناس فبايع، قال: لا يوجد فرق، وكان الوليد على حدّ تعبير المؤرّخين رجل يحب العافية، أي أنه مُسالم لا يحبّ المشاكل، فسمح للحسين عليه السلام أن ينصرف، ويأتي غداً على رؤوس الناس ليعلن البيعة[3].

ولكن مروان لم يوافقه الرأي قائلاً: «**والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت**

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص٢٠٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٣٩؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٤.

(٢) المصدر السابق: ص٢٠٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٣٩ـ٣٤٠؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٤؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٦م): ص١١٤.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٠؛ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى، تح: علي أكبر الخفاري، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت، ٢٠٠٤م) ص٢٢٨ـ٢٢٩.

منه على مثلها أبداً، حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، إحبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع، أو تضرب عنقه»[١].

وعندما نطق مروان بقتل الحسين عليه السلام وثب الحسين قائلاً: «**يا ابن الزرقاء أأنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت**»[٢]، ثم أقبل على الوليد فقال: «**أيها الأمير، إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد فاسقٌ، فاجر، وشارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلنٌ بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله**»[٣].

وهذا خير دليل على أنّ الحسين عليه السلام أبى البيعة بكلّ شجاعة، وخرج بجماعته إلى داره، ولم يطابق الوليد رأي مروان، وكان موقفه حرجاً؛ وذلك لمكانة الحسين عليه السلام الدينية، ولكونه ابن بنت الرسول صلى الله عليه وآله فقال مروان للوليد: «**عصيتني لا والله لا يمكنّك من نفسه بمثلها أبداً**»[٤].

وكان ردّ الوليد على مروان عنيفاً، حيث خاطبه قائلاً: «**ويح غيرك يا مروان إنّك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحبّ أنّ لي ما طلعت عليه الشمس وغَرُبت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسينا، سبحان الله! أقتل حسينا أن قال:**

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص٢٠٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٠؛ القندوزي، سليمان بن إبراهيم الحنفي (ت ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م)، ينابيع المودة لذوي القربى، تح: علي جمال الحسيني، ط٢، مطبعة أسوة، (قم، ٢٠٠٢م): ج٣، ص٥٣.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٠؛ ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٤.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٠؛ ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٤.

(٤) المصدر السابق؛ القندوزي، ينابيع المودة: ج٣، ص٥٤.

لا أبايع؟ والله لا أظنّ أمرأ يُحاسب بدم حسين لخفيف الميزان يوم القيامة»[١].

وذكر ابن اعثم أنه قال: «**ويحك! أشرت عليّ بقتل الحسين، وفي قتله ذهاب ديني ودنياي**»[٢]. فردّ عليه مروان بقوله: «**قد أصبت بقول له هذا وهو غير حامد له على رأيه**»[٣].

وتعد مواجهة الإمام الحسين عليه السلام للوليد ورفضه طلب البيعة ليزيد بداية إعلان الثورة على الحكم الأموي، فقد مات معاوية وانقضى العهد الذي كان مُبرماً بين الإمام الحسين عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان[٤].

وعندما أرسل الوليد في طلب ابن الزبير قال: «**الآن آتيكم لكنه مكث في داره واجتمع بجماعته، وتناظروا في الأمر وألحّوا في إرسال رسلهم والرجال في أثر الرجال، وجوابه أمهلوني سآتيكم، بحيث وصل لحدّ بأنّ الرسل شتموه وهددوه بالحضور إلى المجلس، ثم أرسل أخاه جعفر إلى الوليد؛ ليكفّ عنه الرُسِل وأخبره بأنه سوف يأتيكم الساعة وأنصرف الرسل عنه**»[٥].

«**ثم خرج ابن الزبير تحت ظلام الليل، فأخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر، ليس معهما ثالث**»[٦]، ويحدّد البلاذري مسير ابن الزبير إلى مكة يوم السبت، لثلاث ليال

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٥٠؛ ابن خلدون، تاريخ: ج٣، ص٢٠.

(٢) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٤؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٢٦٨.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص٢٠٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٤.

(٤) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢.

(٥) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٤، ص١٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٤.

(٦) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٤، ص١٣، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٤.

بقين من رجب، سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠هـ[١].

وقد خرج متخفياً عن أعين الوليد، حيث سلك طريقاً آخر ليس الطريق المعتاد عليه ليكون في مأمنٍ، ولئلا يدركه الطلب، فتخلّص ابن الزبير من بيعة يزيد بنزوله مكة[٢]، وعندما انفلق الصباح في المدينة أرسل الوليد رجاله ليأتوا بابن الزبير، فلم يعثروا عليه، وبذلك تحقّق كلام مروان «**إن خرجا من عندك لم ترهما**»[٣].

أما فيما يخصّ الإمام الحسين عليه السلام فقد كان موقفه كما ذكرنا رَفض البيعة، ورجع إلى أهله، وفكّر في الرحيل إلى مكة متداولا الأمر مع أهل بيته، ثم تمثّل الحسين عليه السلام بقول الشاعر:

لا ذعرت السوام في وضح الصُبح ... مغيـــراً ولا دعيـــتُ يزيـــدا

يـوم أعطي مخافـة المـوت ضيمـاً ... والمنايـا يرصـــدنني أن أحيـــدا

ولما سَمِع أحدهم ما قاله الحسين عليه السلام قال إن الحسين عليه السلام يريد شيئاً[٤]، ويذكر ابن اعثم أنّ الحسين عليه السلام خرج في الليلة الثانية وأتى قبر الرسول صلى الله عليه وآله فقال: «**السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة، أنا فَرخك وابن فرختك، وسبطك في الخلق الذي خلقت على أمتك، فاشهد عليهم يا نبي الله أنّهم قد خذلوني وضيعوني وأنهم لم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك، صلى الله عليك وسلم، ثم وثب قائماً وصفّ قدميه ولم يزل راكعاً ساجداً**»[٥].

---

(١) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٤، ص١٣.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤١؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٤.

(٣) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٤، ص١٣؛ اليعقوبي، التاريخ: ج٢، ص١٦٨.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٢؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٥.

(٥) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٨؛ القندوزي، ينابيع المودة: ج٣، ص٥٤.

ثانياً: خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة

عندما عزم الإمام الحسين عليه السلام الخروج من المدينة جاء إليه أخوه محمد بن الحنفية وقال له: «**يا أخي فدتك نفسي، أنت أحب الناس إليّ، وأعزّهم عليَّ ولستُ والله أدّخر النصيحة لأحدٍ مِنَ الخلق وليس أحدٌ أحقّ بها منك، فإنّك كنفسي وروحي، وكبير أهل بيتي، ومن عليه اعتمادي وطاعته في عنقي؛ لأنّ الله تبارك وتعالى قد شرفك وجعلك من سادات أهل الجنة وإنّي أريد أن أشير عليك أن تنجو بنفسك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت... وإنّي خائف عليك أن تدخل مِصراً من الأمصار أو تأتي جماعةٍ من الناس فيقتتلون، فتكون طائفة منهم معك وطائفة عليك فتقتل منهم**»[1]، فشكره الإمام الحسين على مقالته وحُسِن نصيحته ثم دعا بدواة وبياض وكتب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي لأخيه محمد ابن الحنفية: «**أنا الحسين بن علي، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عنده، وأنّ الجنة حقّ والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النجاح والإصلاح في أمّة جدّي محمد صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي محمد صلى الله عليه وآله وسيرة علي بن أبي طالب عليه السلام، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين)، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردَّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق ويحكم بيني وبينهم، وهو خير الحاكمين، هذه وصيتي إليك يا أخي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب، والسلام عليك وعلى من أتبع الهدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**»[2].

أما بالنسبة إلى عبد الله بن عمر فقد بقي في المدينة وعندما دعوه للبيعة قال: «ما

---

(١) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٠؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٢٧٢.

(٢) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٢٧٣.

أحبّ أن يقتتلوا ولا يتفانوا، ولكن إذا بايع الناس ولم يبق غيري بايعت، ثم تركوه وكانوا لا يخافونه»[١].

ثم خرج الإمام الحسين عليه السلام مع بنيه وإخوته وبني أخيه، وجُلّ أهل بيته إلى مكة[٢]، وكان خروجه من المدينة لثلاثِ ليالٍ مَضينٍ من شعبان سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م[٣]، ولزم الطريق الأعظم، وتلا قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤] [٥]. وأشار عليه بعض أهل بيته بالعدول عن الطريق كما فعل ابن الزبير؛ خوفاً من الطلب، فقال الحسين عليه السلام: «**لا والله لا أفارق هذا الطريق أبداً، أو أنظر إلى أبيات مكة ويقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى**»[٦].

وعلى أثر تساهل الوليد بن عتبة مع الحسين عليه السلام وابن الزبير وعدم تنفيذ أوامر يزيد بالسرعة المطلوبة[٧] استضعفه الخليفة وعزله عن إمارة المدينة، وعيّن عليها عمرو بن سعيد الأشدق[٨] على مكة والمدينة[٩].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٥٠.

(٢) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٤، ص١٥ـ١٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٣.

(٣) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٢.

(٤) القصص: آية٢١.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٣.

(٦) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٢٧٤.

(٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٥.

(٨) عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق القرشي الأموي، روى عن عمر وعثمان، استنابه معاوية على المدينة، وكذلك يزيد بن معاوية، وكان يبعث البعوث إلى مكة لقتال ابن الزبير، بايعه أهل دمشق أيام عبد الملك بن مروان، فحاصره عبد الملك بدمشق وأعطاه أماناً ثم غدر به، وكان ذلك سنة ٦٩هـ/ ٧١٧م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٥٦٤، ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٣١٤ـ٣١٥.

(٩) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٤، ص٢٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٣.

وبينما كان الحسين عليه السلام بين المدينة ومكة استقبله عبد الله بن مطيع العدوي[١] فسأله عن وجهته فقال الحسين عليه السلام أما الآن فأريد مكة، فإذا صرت بها استخرت الله في أمري[٢]، فقال ابن مطيع يا ابن بنت رسول الله فإني أشير عليك، فقال الحسين عليه السلام: قل يا ابن مطيع، فقال: «**إذا أتيت مكة فأحذر أن يغرّك أهل الكوفة، فيها قتل أبوك، وطعن أخوك بطعنة كادت أن تأتي على نفسه، فالزم الحرم، فأنت سيد العرب في دهرك هذا، فوالله لئن هلكت يهلكن أهل بيتك بهلاكك والسلام**»[٣]، فودّعه الحسين عليه السلام ودخل مكة، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٤][٥].

ثالثاً: رُسل أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام

لقد ذكر عامة المؤرخين أنّ أهل الكوفة لمّا بلغهم هلاك معاوية تمرّدوا على النظام وأرجفوا طاعته، وخالفوا واليه النعمان بن بشير الأنصاري[٦]، وقد قوي عزمهم بعد أن وصلتهم الأخبار بامتناع الإمام الحسين عليه السلام عن بيعة يزيد وتركه المدينة وإقامته

---

(١) عبد الله بن مطيع العدوي بن كعب بن لؤي القرشي، ولد بالمدينة المنورة، وأصبح مع ابن الزبير عندما ادعى الخلافة، فأرسله أميراً على الكوفة، ثم غلبه عليها المختار الثقفي، قتل ابن مطيع مع عبد الله بن الزبير أثناء حصار مكة سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٣، ص٦٤ـ٦٥.

(٢) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٢ـ٢٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٢ـ٣٤٣، ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٣.

(٤) القصص: آية٢٢.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٥؛ القندوزي، ينابيع المودة: ج٣، ص٥٥.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥١؛ الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، دار المفيد للطباعة والنشر، (بلا مكان، بلا ت) ج١، ص١٨٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٦.

بمكة، وتماشياً مع هذا الاتجاه المعارض اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي[١]، فذكروا هلاك معاوية، فحمدوا الله وأثنوا عليه، وقال سليمان بن صرد: إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد امتنع على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوه، وقاتلو أنفسكم دونه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغرّوا الرجل من نفسه، فقال القوم: بل نأويه وننصره، ونقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه، حتى ينال حاجته[٢].

فكتبوا بذلك كتاباً جاء فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي عليهما السلام من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجية، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوّك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فأبتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتآمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبُعداً له كما بَعُدَت ثمود، إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة، لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله**»[٣]، ثم سرّحوا

---

(١) سليمان بن صرد بن أبي الجون الخزاعي، روى عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الإمام علي عليه السلام، كان ممن كاتب الحسين عليه السلام وتخلف عنه ثم خرج يطلب بدم الحسين عليه السلام في أربعة آلاف، فالتقاهم عبد الله بن زياد بعين الوردة فقتل سليمان وقسم كبير من أصحابه سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م، وكان سن سليمان يوم قتل ٩٣ سنة. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٢، ص٧٦.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٢؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٧؛ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت ـ ٢٠٠٣م) ج٢، ص٢٤.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٢؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٦.

بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني، وعبد الله بن وائل وأمروهما بالنجاء، فخرجا مُسرعين حتى قدما إلى الحسين عليه السلام بمكة لعشرٍ مضين من شهر رمضان سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م، فسلّماه الكتاب[١].

ولم يقتصر أهل الكوفة على هذا الكتاب الجماعي، بل لبثوا بعده يومين فقط، وأنفذوا قيس بن مسهر الصيداوي، وعبد الله وعبد الرحمن ابني شداد الأرحبي، وعمارة بن عبد الله السلولي إلى الإمام الحسين، ومعهم نحو مائة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة[٢].

ولم يطل الانتظار بالكوفيين ليتسلّموا جواب الحسين عليه السلام، ولم يصبروا قليلاً ليعرفوا رأيه على الأقل، ولم يسألوا الركبان عن مدى استجابته لهم، بل لبثوا يومين آخرين فقط، وسرّحوا إلى الحسين عليه السلام هاني بن هاني السبيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي، بكتابٍ بليغ جديد جاء فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي عليهما السلام من شيعته وشيعة أبيه من المؤمنين والمسلمين، أما بعد: فحيّ هلا، فإن الناس ينتظرونك ولا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثم العجل العجل، والسلام**»[٣].

وأكثر من هذا كله، فقد كتب مع الرسولين جملة من زعماء القبائل؛ مثل شبث ابن ربعي التميمي[٤]، ومجموعة من القادة العسكريين أمثال: حجار بن أبجر،

---

(١)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٢؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٨. يذكر أن الرسولين هما عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن مسمع البكري. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٥٤.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٢؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٩.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٣؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٩.

(٤) شبث بن ربعي التميمي اليربوعي: أبو عبد القدوس له إدراك ورواية عن الإمام علي عليه السلام كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام، ثم صار مع الخوارج وتاب، وكان فيمن قاتل الحسين عليه السلام، مات في حدود سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م.ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٢، ص١٦٣.

ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم الشيباني، وعمر بن قيس الأرحبي، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، ومحمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة، بكتاب يحمل ما عليه المناخ السياسي والاستعداد التعبوي، وهو: «**أما بعد، فقد أخضرّ الجناب، وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقبل على جندٍ لك مجندة والسلام**»(١).

وكان عموم أهل الكوفة قد كتبوا للحسين عليه السلام بالحرف الواحد: «**أنّ لك هنا مائة ألف سيف، فلا تتأخر**»(٢).

رابعاً: الحسين عليه السلام يستطلع رأي الكوفة والبصرة

تلاقت الرسل عند الإمام الحسين عليه السلام، واجتمعت هذه الكتب لديه، وسائل الرسل عن الناس، واستخبر أحوال الأمة فما عليه إلا أن يجيب الناس بعد طول تأملٍ وتفكير؛ فكتب كتاباً إلى أهل الكوفة مع هاني السبيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكانا آخر الرسل وكان الكتاب الآتي: «**بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين أما بعد، فإنّ هانئا وسعيداً...قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قَدِم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم أنه ليس علينا إمام، فأقبل لعلَّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، وأني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي (مسلم بن عقيل بن أبي طالب) فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأي ملأكم، وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قَدِمتْ به رسلكم، وقرأت من كتبكم، فإنّي أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب،**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٣؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٩؛ ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحسيني (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، اللهوف في قتلى الطفوف، ط١، مطبعة السجدة، (قم، ٢٠٠٣م): ص٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٧.

(٢) العاملي، أعيان الشيعة: ج٤، ص١٩٠.

القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام»[١].

وقد كان محتوى هذا الكتاب استجابة للكوفيين، ولكنها لم تكن نهائية، بل كانت متحفظة بحذر[٢].

ثم بعث الإمام الحسين عليه السلام بسفيره مسلم بن عقيل رحمه الله إلى الكوفة مع جملة من الرسل والأدلاء، ووجّهه رسالياً، «**وأمره بالتقوى وكتمان أمره، واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك**»[٣].

وكان انبعاث مسلم بن عقيل بهذه المهمة الخطيرة يعني أنه كان أثيراً بثقة الإمام الحسين عليه السلام، ومعتمداً في تبليغ رسالته، ورائداً مبكراً من روّاد ثورته، وهذا يعني أنّ الإمام الحسين عليه السلام ظل متريّثاً، ولبث مترصّداً حتى تنتهي إليه الأنباء الأكيدة من سفيره وموفوده، وفعلاً دخل مسلم بن عقيل الكوفة، ونزل دار المختار[٤] الثقفي[٥] «**وهو اختيار دقيق، لأنّ المختار يمثل زعامة شعبية في الكوفة**»[٦]، وأقبل عليه الناس، واختلفوا إليه سامعين فرحين، وكلما اجتمعت منهم جماعة قرأ عليهم كتاب

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٣؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٣٠ـ٣١؛ الطبرسي، أعلام الورى: ص٢٣٠.

(٢) الصغير، محمد حسين، الإمام الحسين عملاق الفكر الثوري، ط١، مؤسسة المعارف للمطبوعات، (بيروت، ٢٠٠٢م): ص٣٢.

(٣)المصدر السابق؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٧.

(٤) هو المختار بن أبي عبيد بن عمير الثقفي يكنّى أبا أسحق، كان أبوه من جملة الصحابة، ولد عام الهجرة وليست له صحبة ولا رواية، خرج لطلب الثأر بدم الحسين عليه السلام، واجتمع عليه العديد من الشيعة بالكوفة، فغلب عليها وقتل قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وأرسل جيشاً لقتال عبيد الله بن زياد في أعمال الموصل فقتل ابن زياد، وكان يرسل المال إلى ابن عمر وابن عباس وابن الحنفية وغيرهم فيقبلونه منه، قتله مصعب بن الزبير في الكوفة سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م). ينظر: ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٤، ص٣٣٦.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٧.

(٦) الصغير، الإمام الحسين عملاق الفكر الثوري: ص٣٢.

الحسين عليه السلام وهم يبكون، وبايعه من الناس ثمانية عشر ألفاً[١]، وهو عدد ضخم يشكّل قوة عسكرية يعتدّ بها، وكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام: «**أما بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّ جميع أهل الكوفة معك، وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين تقرأ كتابي هذا، والسلام**»[٢].

وكان الحسين عليه السلام بعد هذا الكتاب قد لمس استقرار رأي الكوفيين عليه، فأراد أن يستوثق رأي البصريين كذلك فكتب إلى رؤساء الأخماس بالبصرة، وإلى أشرافها مع مولى له يقال له سليمان[٣] يكنى أبا رزين[٤] نسخة واحدة إلى كلٍّ من: مالك بن مسمع البكري، والأحنف بن قيس، ويزيد بن مسعود النهشلي، والمنذر بن الجارود العبدي، ومسعود بن عمر الأزدي، وهذا نص الكتاب: «**بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنّ الله اصطفى محمداً على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده، وبلّغ ما أرسل به، وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته، وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك فأغضينا كراهيةً للفرقة ومحبة للعافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممن تولّاه، وبعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسُنةِ نبيه، فإنّ السُنة قد أميتت وإنّ البدعة قد أحييت، فإن تجيبوا دعوتي، وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد**»[٥].

ويبدو أنّ رؤساء الأخماس في البصرة قد تلكّأوا عن الاستجابة، وتردّدوا في الأمر بل لقد رأى بعضهم أنّ هذا الكتاب مكيدة من الأمويين؛ حيث قام المنذر الجارود العبدي بتسليم رسول الحسين عليه السلام إلى ابن زياد، فصلبه عشية الليلة التي

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص١٤؛ ابن طاووس، اللهوف: ص٢٤.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٥.
(٣) المصدر السابق: ص٣٥٧؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٣٧.
(٤) ابن طاووس، اللهوف: ص٢٥.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٧.

خرج في صبيحتها إلى الكوفة، ليسبق الحسين عليه السلام إليها[١]، وكانت ابنة المنذر زوجة لعبيد الله بن زياد «**فزعم أن يكون الرسول دسيساً من ابن زياد**»[٢]، وأما الأحنف بن قيس فإنّه كتب إلى الحسين عليه السلام: «**أما بعد، فاصبر إنّ وعد الله حقّ ولا يستخفّنّك الذين لا يوقنون**»[٣].

وأما يزيد بن مسعود فإنّه جمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد فلما حضروا قال: «**يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم؟ قالوا: بخ بخ، أنت والله فقرة الظهر، ورأس الفخر، حللتَ في الشرف وسطاً، وتقدمت فيه فرطاً قال: فإني قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه واستعين بكم عليه، فقالوا: إنا والله نمنحك النصيحة، ونجد لك الرأي، فقل حتى نسمع**»[٤].

فخطب فيهم حيث قال: «**إنّ معاوية مات فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وكان قد أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أنه قد أحكمه، وهيهات الذي أراد اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل وقد قام يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدّعي الخلافة على المسلمين، ويتأمّر عليهم بغير رضى منهم مع قصر حلم وقلة علم، لا يعرف من الحق موطئ قدميه، فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي وابن رسول الله صلى الله عليه وآله ذو الشرف الأصيل والرأي الاثيل له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنّه وقدمه وقرابته...** »[٥].

---

(١) المصدر السابق: ص٣٥٧ـ٣٥٨، كان المنذر بن الجارود مع الإمام علي عليه السلام يوم الجمل، وأمّره على اصطخر، ثم ولّاه عبيد الله بن زياد الهند، فمات هناك سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٢، ص٤٨٠.

(٢)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٧.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٢٠٠.

(٤) ابن طاووس، اللهوف: ص٢٥.

(٥) المصدر السابق: ص٢٦.

فقالت بنو حنظلة: «**يا أبا خالد نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلا خضناها، ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها، ننصرك والله بأسيافنا، ونقيك بأبداننا إذا شئت فأفعل**»[١].

وتكلّمت بنو عامر بن تميم فقالوا: «**يا أبا خالد نحن بنو أبيك وحلفاؤك، لا نرضى إن غضبت، ولا نبقى إن ظعنت، والأمر إليك فادعنا إذا شئت**»[٢].

وقالت بنو سعد بن زيد: «**يا أبا خالد إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال يوم الجمل، فحمدنا ما أمر، وبقي عزنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورة ونأتيك برأينا**»[٣].

ثم كتب ابن مسعود إلى الحسين عليه السلام: «**بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فقد وصل إليّ كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني له من الأخذ بحظّي من طاعتك، والفوز بنصيبي من نصرتك، وإنّ الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير ودليل على سبيل نجاة... **»[٤].

ولما تجهّز ابن مسعود إلى المسير بلغه قتل الحسين عليه السلام، «**فاشتدّ جزعه وكَثُر أسفه لفوات الأمنية من السعادة بالشهادة**»[٥]، وكانت ماوية بنت سعد بن عبد القيس امرأة تتشيع لآل علي بن أبي طالب عليه السلام، ودارها مألف للشيعة يتحدثون فيه بفضل أهل البيت، فقال يزيد بن نبيط، وهو من عبد القيس لأولاده وهم عشرة: «**أيّكم يخرج**

---

(١) المصدر السابق: ص٢٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق؛ المقرم، عبدالرزاق، مقتل الحسين، مؤسسة الخرسان، (بيروت، ٢٠٠٥م): ص١٤٣.

(٥) المصدر السابق..

معي؟ فأنتدب منهم اثنان هم عبد الله وعبيد الله»[١]، وقد خاطبه أصحابه في بيت تلك المرأة متخوفين من ابن زياد فقال لهم: «**والله لو استوت أخفافها بالجدّ لهان عليّ طلب من طلبني**»[٢]، وقد وافوا الحسين عليه السلام بمكة وضمّوا أرحالهم إلى رحله حتى وردوا العراق واستشهدوا معه[٣].

وعندما سمع عبيد الله بن زياد خبر أهل البصرة وكان أميرهم خطب فيهم قائلاً: «**يا أهل البصرة، إنّ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد ولّاني الكوفة وأنا سائرٌ إليها غداً إن شاء الله تعالى، وقد استخلفت عليكم أخي عثمان بن زياد، فإياكم والخلاف والإرجاف فوالذي لا إله إلا هو لو بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنّه ولأقتلنّ عريفه، ولآخذن الأدنى بالأقصى حتى يستقيموا لي، فاحذروا أن يكون فيكم مخالف أو مشاقّ، أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطئ الحصى، ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم**»[٤].

وعندما أصبح خرج من البصرة يريد الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي، وهو أبو قتيبة والمنذر بن الجارود العبدي، وشُريك بن الأعور الحارثي، وحشمه وأهل بيته، فلم يزل يسير حتى أصبح قريباً من الكوفة، فلبس زيّاً مشابهاً لزيّ الحسين عليه السلام وركب مع أصحابه ودخل الكوفة من طريق البادية[٥].

وفي تلك الأثناء كان أهل الكوفة ينتظرون قدوم الحسين عليه السلام، وكانوا يُسلّمون

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٣ـ٣٥٤.

(٢) المصدر السابق: ص٣٥٤، المقرم، مقتل الحسين: ص١٤٤.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص ٣٥٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٧؛ المقرم، مقتل الحسين: ص١٤٤.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٨.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص ٣٥٨؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٣٨ـ٣٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٨.

على ابن زياد ويقولون مرحباً بك يا ابن بنت رسول الله، فقد قدمت خير مقدم، وقد ساء ذلك عبيد الله بن زياد ولم يكلمهم، وصاح بهم مسلم بن عمرو الباهلي وقال: «**إليكم يا ترابية، فليس هذا ما تظنون، هذا الأمير عبيد الله بن زياد فتفرّق الناس عنه، ودخل عبيد الله بن زياد قصر الإمارة وقد امتلأ غيظاً**»[1].

(١)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص ٣٥٨؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٣٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٨.

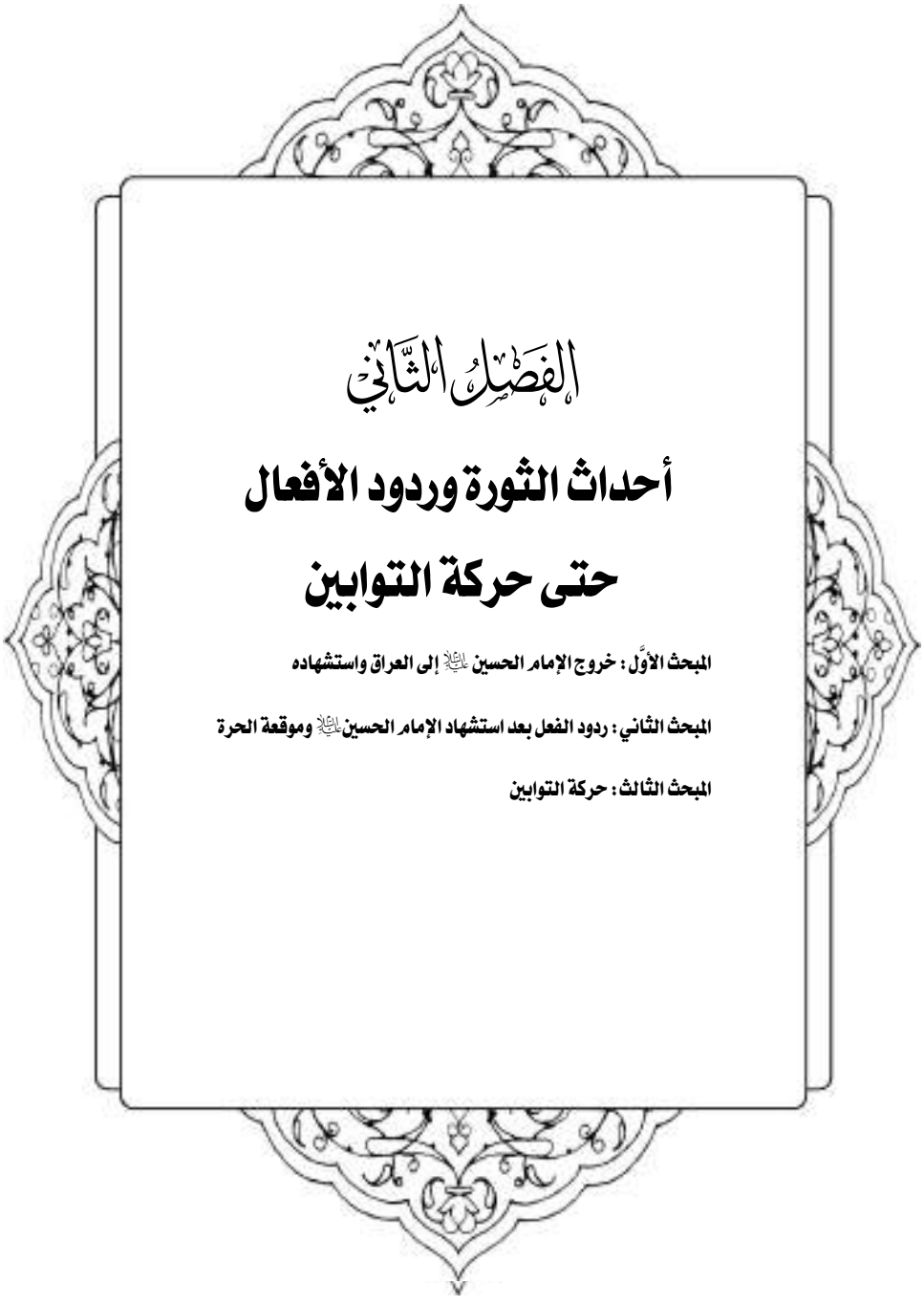

الفصل الثاني

أحداث الثورة وردود الأفعال حتى حركة التوابين

المبحث الأوّل: خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق واستشهاده

المبحث الثاني: ردود الفعل بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وموقعة الحرة

المبحث الثالث: حركة التوابين

المبحث الأوَّل

خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق واستشهاده

أولاً: سيطرة عبيد الله بن زياد على الكوفة واستشهاد مسلم بن عقيل

فوجئ أهل الكوفة بأنّ عبيد الله بن زياد قد سيطر على قصر الامارة، ونادى بالصلاة جامعة، وقد قام خطيباً بالجموع المحتشدة، وراح يمنّي المطيع ويهدّد ويتوعّد المعارضين والرافضين لحكومة يزيد بن معاوية حتى قال: «... **سوطي وسيفي على من ترك أمري، وخالف عهدي**»[1].

ثم فرض على الحاضرين مسؤولية التجسّس على المعارضين، وهدّد من لم يساهم في هذه العملية بالعقوبة وقطع العطاء، وقال: «...**فمن يجيء لنا بهم فهو بريء، ومن لم يكتب لنا عن أحد فليضمن لنا في عرافته أن لا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغٍ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة وحلالٌ دمه وماله، وأيّما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحدٌ لم يرفعه إلينا صُلِبَ على باب داره وألغيت تلك العرافة من العطاء**»[2].

---

(١) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٦٥؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج٥، ص٣٢٥.

(٢) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٤٠؛ الشيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج٢، ص٤٥؛ سعيد أيوب، معالم الفتن، ط٢، مطبعة سعيد بن جبير، (قم، ٢٠٠٤م): ج٢، ص٢٥٩.

لقد كان ابن زياد معروفاً في أوساط الكوفيين بالقسوة والشدة، فكان من الطبيعي أن يحدث قدومه وخطابه الشديد اللهجة هزةً عند المعارضين، فلاحت بوادر التخاذل والإرجاف تظهر على الكوفيين وقياداتهم، من هنا اعتمد مسلم بن عقيل وسيلة جديدة للسير في حركته نحو الهدف المطلوب، فانتقل من دار المختار الثقفي إلى دار هانئ[١] بن عروة المرادي، وجعل يتستّر في دعوته وتحركاته إلا عن خلّص أصحابه، وقد كان هانئ يومذاك سيد بني مراد وصاحب الكلمة المسموعة في الكوفة والرأي المطاع[٢].

كان مسلم بن عقيل يملك درايةً تامه بكل تقاليد وأعراف المجتمع الذي كان يتحرّك فيه، ففي موقف كان يمكن فيه لمسلم أن يغتال ابن زياد رفض ذلك لاعتبارات شتىّ، فقد روي أنّ شُريك بن الأعور حين نزل في دار هانئ بن عروة مرض مرضاً شديداً وحين علم عبيد الله بن زياد بذلك قدم لعيادته، وهنا اقترح شريك على مسلم اغتيال ابن زياد[٣].

وقال: «**إنما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية، وقد أمكنك الله منه وهو صائر إليّ ليعودني، فإن جاء فاخرج إليه فأقتله، ثم صر إلى قصر الإمارة فأجلس فيه، فإنّه لا ينازعنّك فيه أحدٌ من الناس**»[٤].

ولمس مسلم كراهية هانئ بن عروة أن يقتل عبيد الله بن زياد في داره، ولم يأخذ باقتراح شريك، وحين خرج عبيد الله قال شريك بحسرةٍ وألم لمسلم: ما منعك من

---

(١) هانئ بن عروة بن الفضفاض بن شمران المرادي، سكن الكوفة وكان من خواص الإمام علي عليه السلام، ولما بايع أهلها مسلم بن عقيل للحسين عليه السلام نزل عند هانئ بن عروة، فلما علم ابن زياد قتل مسلما وهانئ بن عروة. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٦، ص٥٦٨ـ٥٦٩.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢١٣؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٦٩.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٦٠؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٤٢.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٦٠؛ الاصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٦٩.

قتله؟ قال مسلم منعني منه خُلتان: إحداهما كراهية هانئ لقتله في منزله، والأخرى قول سمعته من الناس عن رسول الله ﷺ: «**إنّ الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن**»[١].

ثم اتخذ ابن زياد كل وسيلة مهما كانت دنيئة للقضاء على الوجود السياسي والتحرّك الذي برز، منذراً بالخطر بوجود مسلم بن عقيل، فدبّر خطّةً للتجسس على تحركات مسلم ومكانه والموالين له، واستطاع أن يكشف مقرّه[٢]، فكانت بداية تخاذل الناس عن الصمود في مواجهة الظلم.

لقد استطاع عبيد الله بن زياد أن يحكم الحيلة والخداع ليقبض على هانئ بن عروة الذي آوى رسول الحسين عليه السلام وأحسن ضيافته وأشترك معه في الرأي والتدبير، فقبض عليه وقتله بعد حوارٍ طويل جرى بينهما[٣]، وذهب كلّ شخصٍ إلى بيته، وكأنّ الأمر لا يعنيه[٤].

ولما عَلِم مسلم بن عقيل بما جرى لهانئ بن عروة ورأى تخاذل عشيرته عنه، خرج في أصحابه ونادى بشعاره (يا منصور أمت)[٥]، ونادى مناديه في الناس وسار بهم لمحاصرة القصر، واشتدّ الحصار على ابن زياد وضاق به أمره ولكنه استطاع بدهائه ومكره أن يتغلب على المحنة، ويخذّل الناس عن مسلم بن عقيل[٦].

وقد استمرّ الموقف كذلك والناس تتفرّق عن مسلم وأقفلوا أبوابهم في وجهه ثم

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢١٤ـ٢١٥؛ الاصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٦٦.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٦٢ـ٣٦٤.
(٣) المصدر السابق: ص٣٧٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٤.
(٤) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٤.
(٥) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٥٠ص٣٦٨؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧١.
(٦) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٢.

أوى مسلم إلى دار امرأة من أهل الكوفة[١]، وعندما علم ابن زياد بمكان مسلم بن عقيل أرسل قوة من جنده بقيادة محمد بن الأشعث[٢] إلى المكان الذي فيه مسلم، وما إن سمع بالضجّة حتى أدرك أنّ القوم يطلبونه، فخرج إليهم مقاتلاً، وعندما تكاثروا عليه أخذوه أسيراً بعد إعطائه الأمان، وأدخل على بن زياد ولم يسلم عليه، وجرى بينهما حوارٌ طويل كان بن عقيل رابط الجأش، منطلقاً في بيانه قوي الحجة، ثم أمر بن زياد بقتل مسلم بن عقيل ورمي جسده من القصر، وذلك في اليوم التاسع من ذي الحجة سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م، وهو يوم عرفة[٣]، ثم صلب مسلم بن عقيل إلى جنب هانئ بن عروة، هذا وأهل الكوفة وقوف لا يحرّكون ساكناً[٤].

وكان مسلم قد طلب من ابن الأشعث أن يكتب إلى الحسين عليه السلام بخبره وما

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٧١؛ الاصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٦٨.

(٢) محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، من وجوه أهل الكوفة كان ممن راسل الإمام الحسين عليه السلام ثم خرج لقتال مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام وكان ممن خرج لقتال الحسين عليه السلام أنحاز إلى مصعب بن الزبير بعد وثوب المختار الثقفي في الكوفة وقد شهد مع مصعب أكثر من وقعة، وكان على مقدمة جيشه، وقد قتل في حربه مع المختار بأيام قليلة وذلك سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م. ينظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبي حاتم بن محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)، الجرح والتعديل، ط١، دائرة المعارف العثمانية، (الهند، ١٩٥٢م): ج٣، ص٢٠٦.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٨١؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٧٠؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج٥، ص٣٢٦؛ ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، تح: أنطوان اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٩٥٨م): ص١١٠.

(٤) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٤؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، مكتبة الأهرام، (مصر، ١٩٣٧م): ص١٤؛ الشافعي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تح: عادل أحمد وعلي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م): ج٣، ص١٧٠-١٧١.

جرى في الكوفة، وينصحه بعدم الشخوص إليهم[١].

ثانياً: خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق

لقد أزمع الإمام الحسين عليه السلام على الخروج من مكة والتوجه نحو العراق فجمع أهل بيته وأبناء عمومته، وكلهم من آل أبي طالب فحسب، وضمّ إليه من اصطحبه من الأنصار، ومن تبعه من أهل الحجاز والكوفيين والبصريين ومن جاء موفداً أو رسولاً فعاد مصاحباً وملازماً[٢]، وكان خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة في يوم خروج مسلم بن عقيل بالكوفة ـ وهو يوم التروية ـ وهو يوم الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م[٣].

ثم قام الإمام الحسين عليه السلام خطيباً معلناً ثورته كاشفاً عن مصيره المحتوم حيث قال: «**بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله... خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى ولده يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خُطَ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّينا أجور الصابرين، تقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده، ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، وموطّناً على**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٧٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٣؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٥٣.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٨٢.

(٣) المصدر السابق: ص٣٨٥؛ ابن طاووس، اللهوف: ص٣٨؛ ابن الوردي، زين الدين عمر ابن مظفر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، ط٢، المطبعة الحيدرية، (النجف، ١٩٦٩م) ج١، ص٢٣١.

لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنّي راحل مصبحاً، إن شاء الله تعالى»[١].

كانت هذه الخطبة جزلة الألفاظ، مُشرقة العبارة، ناصعة الهدف، اجتمع فيها الغرض الفني إلى جانب الغرض النضالي في سياقٍ أسلوبي متجدّد، ولغة بلاغية سليمة، وعرضٌ بياني جديد[٢].

وقد طلب إليه عبد الله بن الزبير أن يثور في مكة، ولا يتوجه نحو العراق، ووعده بجمع الناس إليه، فأجابه الحسين عليه السلام: «**وأيم الله لو كنت في حجر هامّة من هذه الهوام، لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم، والله ليعتدنّ عليَّ كما اعتدت اليهود في السبت**»[٣].

وكرّر عليه ابن الزبير ثانية؛ فأشار عليه بالعراق ثم خشي أن يتهمه، فقال: «**لو أقمت لما خالفنا عليك**»[٤]، فلما خرج ابن الزبير، قال الحسين عليه السلام: «**إنّ هذا ليس شيء أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز**»[٥]، وجاء عبد الله بن عباس فنهاه عن الخروج فقال: استخير الله وأنظر ما يكون، فعاود عليه القول، وقال له: إن أبيت إلا الخروج فأخرج إلى اليمن، فقال الحسين عليه السلام: «**يا ابن عمّ؛ إنّي والله لأعلم أنّك ناصحٌ مشفق، وقد أزمعت وأجمعت على المسير**»[٦]، وكثر على الحسين عليه السلام من يُشير عليه بعدم الخروج، فرد قائلاً: «**والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا**

---

(١) ابن طاووس، اللهوف: ص٣٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٦ـ٣٦٧.
(٢) الصغير، محمد حسين، الإمام الحسين عملاق الفكر الثوري: ص٤١.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٦.
(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٨٣.
(٥) المصدر السابق؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٦.
(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٨٤؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٦٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٦.

فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم»[١].

وتحرّك الحاكم الأموي تحت وطأة هذه الأنباء المقلقة له في تصميم الحسين عليه السلام على مجابهة الحكم، حيث اعترضته رُسل عمرو بن سعيد بن العاص وعليهم أخوه يحيى بن سعيد ومنّوا الحسين عليه السلام بالصلة والأمان «**وتدافع الفريقان، وتضاربوا بالسياط وامتنع الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم امتناعاً قوياً**»[٢].

ومضى ركب الإمام الحسين عليه السلام لا يلوي على شيء، وفي طريقهم بمنطقة التنعيم[٣] صادف إبلاً قد اتجهت نحو الشام، وهي تحمل الهدايا إلى يزيد بن معاوية قادمة من اليمن فاستأجر من أهلها جمالاً لرحله وأصحابه[٤].

وواصل الإمام الحسين عليه السلام مسيره حتى وصل الصفاح[٥] فالتقى بالشاعر الفرزدق فقال له: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله ما أعجلك عن الحج؟ فقال له: لو لم أعجل لأُخذت، ثم قال للفرزدق: أخبرني عن الناس خلفك، فقال: «**قلوب الناس، معك وسيوفهم عليك، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء**»[٦].

فقال الإمام الحسين عليه السلام: «**صدقت، لله الأمر من قبل ومن بعد، والله يفعل ما يشاء، وكلّ يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحبّ نحمد الله على نعمائه، وهو**

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٦؛ المقرم، مقتل الحسين: ص١٧١.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٦.

(٣) التنعيم: وهو موضع يبعد فرسخين من مكة وسمّي بالتنعيم لأنّ على يمينه جبلاً يسمى نعيما وآخر عن شماله يسمى ناعما، والوادي نعمان. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٢، ص٤٩.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٨٥ـ٣٨٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٦.

(٥) الصفاح، وهو موضع بين حُنين وأنصاب الحرم على يسار الداخل إلى مكة. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٣، ص٤١٢.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٨٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٦.

المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يعتدّ من كان الحقّ نيته والتقوى سريرته»[١]، ثم سار الإمام الحسين عليه السلام في رحلته فلقيه رجلٌ من بني أسد، اسمه بُشر بن غالب وارداً من العراق، فسأله الحسين عليه السلام عن أهله فقال الأسدي: «**خلّفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية والله يفعل ما يشاء**»[٢].

ومضت الأحداث سراعاً والحسين عليه السلام في طريقه إلى العراق، ولما وصل إلى الحاجر من بطن[٣] الرمة كتب كتاباً إلى زعماء الكوفة وأنفذه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وكان ذلك قبل وصول الأخبار إلى الإمام الحسين عليه السلام باستشهاد مسلم ابن عقيل[٤]، وهذا نصّ الكتاب: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإنّي أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنَّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بحقّنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يصيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قَدِم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدُّوا، فأني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**»[٥].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٨٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٦٨.

(٢) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٧٠؛ الطبسي، محمد رضا، مقتل الإمام الحسين، تح: محمد أمين الأميني، ط١، مؤسسة محبي للطباعة، (قم، ٢٠٠٣م) ص٢٦٣.

(٣) الحاجر: ما يمسك الماء من شفة الوادي، وبطن الرمة منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٢، ص٢٠٤.

(٤) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين، ط١، (بلا مكان، ٢٠٠٥م): ص٤٤؛ مسكوية، تجارب الأمم: ج٢، ص٣٧.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٩٥؛ الشيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج٢، ص٧٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٦٩ـ١٧٠.

وعندما سرى نبأ مسير الإمام الحسين عليه السلام بين الناس اضطرب الموقف الأموي بالكوفة، وتحدّثت الركبان بأنباء الثائر العظيم، فتناهى الخبر إلى عبيد الله بن زياد، فأعدّ رجاله ووضع خطة لقطع الطريق أمام الحسين عليه السلام والحيلولة من دون وصوله إلى الكوفة، فبعث بالحصين بن نمير السكوني وكان على شرطة الكوفة، فاختار الحصين موقعاً يسيطر من خلاله على طريق مرور الإمام الحسين عليه السلام، فنزل بالقادسية[١] واتخذها مقراً لقيادته[٢].

وعندما وصل قيس بن مسهر الصيداوي إلى القادسية اعتقله الحصين وبعث به إلى عبيد الله بن زياد[٣]، فقال له عبيد الله اصعد المنبر فَسِبّ الكذّاب يعني بذلك الحسين عليه السلام، فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أيها الناس إنّ هذا الحسين ابن علي خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقته في الحاجر فأجيبوه، ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي بن أبي طالب وصلى عليه، فأمر عبيد الله أن يُرمى من فوق القصر، فرموا به، فتقطّع**»[٤].

ويقال إنّه لم يمتْ وبقي به رمق، فقام إليه رجل يدعى عبد الملك بن عُمير اللخمي فذبحه، فقيل له في ذلك وعيب عليه، فقال: أردت أن أريحه[٥]، وعندما

---

(١) القادسية: تبعد عن الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، قيل: إنّ القادسية كانت تسمى قديساً، وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين المسلمين والفرس. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٤، ص٢٩١.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٩٥.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٤٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٩٥.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٩٥؛ الشيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج٢، ص٧١.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٠.

وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى الثعلبية[١] أتته الأخبار باستشهاد مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، ورسوله قيس بن مُسهر الصيداوي[٢]، وكان الإمام الحسين عليه السلام قد أرسل رسولاً آخر قبل أن يأتيه خبر استشهاد رسوله الأول، وذلك هو عبد الله بن يقطر وقد وقع هذا الرسول بيد الحصين أيضاً ونقل إلى عبيد الله بن زياد، وكان مصيره كمصير من سبقه[٣].

ووصل خبر أسر الرسول واستشهاده إلى الإمام الحسين عليه السلام في موضع يدعى زبالة[٤]، وهكذا راحت تتوارد على الإمام الحسين عليه السلام أنباء الإنتكاسة ولاحت له بوادر النكوص الخطير، وشعر بالخذلان ونقض العهد، فوقف في أصحابه وأهل بيته وأخبرهم بمقتل رسوله، وأنّ من أحبّ منهم أن ينصرف فلينصرف في غير حرج ليس عليه ذمام[٥]، فتفرّق الناس عنه يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من مكة، ونفرٌ يسير ممن انضمّوا إليه وإنما فعل ذلك لأنّه عليه السلام عَلِمَ أنّ الناس الذين اتّبعوه إنما اتّبعوه وهم يظنون أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ماذا يَقدِمون[٦].

---

(١) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية وأسفل منها ماء يقال له الضويجعة وسميت الثعلبية نسبه إلى ثعلبة بنت عمرو، وقيل بثعلبة بن دودان. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٢، ص٧٨.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٩٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٠.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٩٨؛ المقرم، مقتل الحسين: ص١٧٩؛ سعيد أيوب، معالم الفتن: ج٢، ص٢٧١.

(٤) زبالة: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة، بها أسواق بين واقصة والثعلبية، وقيل: سميت زبالة بزبلها الماء، أي بضبطها له وأخذها منه. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم، البلدان: ج٣، ص١٢٩.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٩٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٠.

(٦) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٤٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٩٩، ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٠ـ١٧١؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٧٤.

وأشار عليه عمر بن لوذان من بني عكرمة بالرجوع إلى المدينة، لما علم من غدر أهل الكوفة، فقال الحسين عليه السلام: «**ليس يخفى عليَّ الرأي وإنَّ الله لا يخلي على أمره**»[١].

ثم سار الإمام الحسين عليه السلام حتى نزل شراف[٢] وعند السحر أمر فتيانه أن يستقوا من الماء ويكثروا، وفي نصف النهار سمع رجلاً من أصحابه يكبّر، فقال الحسين عليه السلام: لم كبرت، قال: رأيت النخل، فأنكر من معه أن يكون بهذا الموضع نخل، وإنما هي الخيل وأسنّة الرماح وقد كانوا ألف فارس بقيادة الحر[٣] ابن يزيد الرياحي أرسلهم ابن زياد؛ لقطع الطريق على الإمام الحسين عليه السلام[٤]، ولما اقتربوا من ركب الحسين عليه السلام سألهم عن المهمة التي جاؤوا من أجلها، فقال لهم الحر: «**لقد أُمرنا أن نلازمكم ونصحبكم حتى ننزلكم على غير ماء ولا حصن، أو تدخلوا في حكم يزيد وعبيد الله بن زياد**»[٥]، وقد وقف الحر الرياحي وأصحابه مقابلاً الحسين عليه السلام في حر الظهيرة[٦]، ولما رأى الحسين عليه السلام ما بالقوم من العطش أمر أصحابه أن يسقوهم ويرشفوا الخيل، فسقوهم وخيولهم عن آخرهم[٧] «**وكان هذا لُطفاً وحناناً من أبي**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٩٩.

(٢) شراف: مكان بين واقصة والقرعاء، على ثمانية أميال من الإحساء، ومن شراف إلى واقصة ميلان، وفي شراف ثلاث آبار كبار وماؤها عذب كثير. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٣، ص٣٣١.

(٣) الحر بن يزيد الرياحي التميمي، من الشخصيات البارزة في الكوفة، وأحد قواد الجيش الأموي الخارج لحرب الحسين عليه السلام، وكان يقود ربع تميم وهمدان، وقد انحاز الحر إلى الإمام الحسين بعد أن قُتل عدد من أصحابه، واستشهد بعد أن قاتل قتالا شديدا. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٢٧ـ٤٢٨؛ الصدر، محمد محمد صادق، أضواء على ثورة الحسين، تح: كاظم العبادي، ط١، (النجف، ١٩٩٧م): ص٩٢.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٣٢٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٤.

(٥) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٤٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٢.

(٦) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٤٦؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٣٢٩.

(٧) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٤٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٤.

الضيم على هذا الجمع في تلك البيداء المقفرة التي تعزّ فيها الجرعة الواحدة»[١].

وقد جرى حوارٌ طويل بين الإمام الحسين عليه السلام والحر بن يزيد الرياحي حيث أبى الحرّ أن يُمكّن الحسين عليه السلام من الرجوع إلى الحجاز، أو سلوك الطريق المؤدية إلى الكوفة، وأبى الحسين عليه السلام أن يستسلم ليزيد وابن زياد[٢]، فقام الإمام الحسين عليه السلام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إنّها معذرة إلى الله عز وجل وإليكم، وإنّي لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت بها عليَّ رسلكم أن أقدم علينا، فإنّه ليس لنا إمام ولعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فأعطوني ما أطمئنّ به من عهودكم ومواثيقكم، وإن كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم**»[٣]، فسكتوا جميعاً، وأذّن الحجّاج بن مسروق الجعفي لصلاة الظهر، فقال الحسين عليه السلام للحرّ: أتصلي بأصحابك قال: لا، بل نصلي جميعاً بصلاتك، فصلّى بهم الحسين عليه السلام[٤]، وبعد الصلاة خاطبهم بقوله: «**أمّا بعد، فإنّكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله تكونوا أرضى لله عنكم، ونحن أهل بيت محمد، وأولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن أبيتم إلا الكراهية لنا والجهل بحقّنا، وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به**

---

(١) المقرم، مقتل الحسين: ص١٨٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٤؛ إنطوان بارا، الحسين في الفكر المسيحي، ط١، مطبعة فدك، (قم، ٢٠٠٤م): ص٢٧٤.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠١؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٧٧؛ الشيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج٢، ص٧٩؛ مسكوية، تجارب الأمم: ج٢، ص٣٨ـ٣٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٣٣٠.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٤٦؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٧٦؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٧٦؛ الطبسي، مقتل الحسين: ص٢٧٦.

كتبكم، وقدمت به عليَّ رسلكم انصرفت عنكم»[١]، فقال الحرّ: ما أدري ما هذه الكتب التي تذكرها، فأمر الحسين عليه السلام عقبة بن سمعان، فأخرج خرجين مملوئين كتباً، فقال الحر: إنّي لست من هؤلاء الذين كتبوا إليك وإنّي أُمرتُ أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد، فقال الإمام الحسين: ثكلتك أمّك فردّ عليه الحرّ: «**أما لو غيرك من العرب يقولها لي وعلى مثل حالك ما تركت ذكر أمّه بالثكل كائناً من كان، والله مالي إلى ذكر أمّك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه**»[٢].

ثم خاطب الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «**إنّي أذكّرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتُقتلنّ**»[٣]، فقال الحسين عليه السلام: «**أفبالموت تخوّفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وسأقول ما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله**

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وخالف مجرما
فإن عشت لم أندم وإن مُتُّ لم ألم ... كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما»[٤].

فلما سمع الحرّ كلامه تنحّى عنه، فكان الحسين عليه السلام يسير بأصحابه في ناحية، والحر ومن معه في ناحية[٥]، ثم إنّ الإمام الحسين عليه السلام خطب في أصحاب الحرّ، فقال بعد الحمد لله والثناء عليه: «**أيها الناس إنّ رسول الله قال: من رأى سُلطاناً جائراً**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٢؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٧٨.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٢؛ ابن اعثم: ج٥، ص٧٨؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٧٧؛ الطبسي، مقتل الحسين: ص٢٧٨.
(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٤٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٤.
(٤) المصدر السابق؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٥.
(٥) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٤٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٤.

مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيّر، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم أنّكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن أتممتم عليَّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، ولكم فيَّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر؛ لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، فالمغرور من أغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[١].

وعندما وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى عذيب[٢] الهجانات وافاه أربعة نفر خارجين من الكوفة هم: عمرو بن خالد الصيداوي، وسعد مولاه، ومجمع بن عبد الله المذحجي، ونافع بن هلال، ودليلهم الطرماح الطائي وقد أنضمّ هؤلاء إلى ركب الإمام الحسين عليه السلام[٣]، وسار الإمام الحسين عليه السلام من عذيب الهجانات حتى نزل قصر

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٠؛ المقرم، مقتل الحسين: ص١٨٩؛ الحسيني، عبد الكريم، الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين، ط١، منشورات سعيد بن جبير، (قم، ٢٠٠٥م) ص١٣٢.

(٢) العذيب: هو تصغير العذب، وهو الماء الطيب، ويقع بين القادسية والمخيتة، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وقيل: هو وادٍ لبني تميم، وهو من منازل حاج الكوفة، وقيل: هو حدّ السواد، ويسمى عذيب الهجانات، وبالقرب منه عذيب القوادس، وهذا يدلّ على أنّ هناك عذيبين. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٤، ص٢٩١.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٤٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٤؛ الحسيني، عبد الكريم، الوثائق الرسمية: ص١٣٤.

بني مقاتل[١] فرأى فسطاطاً مضروباً، ولما سأل عنه قيل لعبيد الله بن الحر الجعفي، فدعاه الإمام لنصرته فرفض ذلك قائلاً: إني إنما خرجت من الكوفة خوفاً أن أكره على قتالك، فتركه الإمام الحسين عليه السلام وأرتحل عنه[٢]، وندم ابن الحر على ما فاته من نصرة الإمام الحسين عليه السلام فأنشأ يقول:

أيا لك حسرة ما دمت حيّاً ... تردّد بين صدري والتراقي
غداة يقول لي بالقصر قولاً ... أتتركنا وتعزم بالفراقِ
حُسين حينَ يطلب بذلَ نصري ... على أهل العداوة والشقاقِ
فلو فلقَ التلهف قلبَ حُرٌ ... لَهَمَ اليوم قلبي بانفلاقِ
ولو واسيته يوماً بنفسي ... لنلت كرامته يوم التلاقِ
مع ابن محمد تفديه نفسي ... فودّع ثم أسرع بانطلاقِ
لقد فاز الألى نصروا حسيناً ... وخاب الآخرون ذوو النفاقِ[٣].

ثم سار الحسين عليه السلام حتى وصل الطف[٤]، وكانت هناك مجموعة قرى عامرة، ثم

---

(١) قصر بني مقاتل، وهو موضع بين عين التمر والشام، بالقرب من القطقطانة، ومنسوب إلى مقاتل ابن حسان بن ثعلبة. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٤، ص٣٦٤.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٤٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٢؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٧٩؛ سعيد أيوب، معالم الفتن: ص٢٧٨.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٤٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٧٩؛ سعيد أيوب، معالم الفتن: ص٢٧٨.

(٤) الطف: وهو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق؛ قال الأصمعي: وإنما سمّي طفّاً؛ لأنه دانٍ من الريف، وقيل سُمّي الطفّ؛ لأنه مشرف على العراق، من أطفّ على الشيء بمعنى أطلّ، والطفّ طفّ الفرات؛ أي الشاطئ، والطفّ أرض من ناحية الكوفة في طريق البرية، وفيها استشهد الإمام الحسين عليه السلام، وفيها عدّة عيون ماء جارية، منها الصيد، والقطقطانة، والرهيمة، وعين جمل. ينظر: ياقوت، معجم البلدان: ج٤، ص٩١؛ الحميري، محمد بن عبد ←

جاء كتابٌ إلى الحرّ أن ضع الحسين في موضعٍ ليس فيه ماء[١]، فساروا جميعاً حتى وصلوا كربلاء[٢].

ثالثاً: فاجعة كربلاء

نزل الإمام الحسين عليه السلام أرض كربلاء في الثاني من المحرم سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م[٣]، فجمع أهل بيته ونظر إليهم وقال: «**اللهمّ إنّا عترة نبيك محمد صلى الله عليه وآله، وقد أُخرجنا وطُردنا وأُزعجنا عن جدّنا، وتعدّت بنو أمية علينا، اللهمّ فخذ لنا بحقّنا وانصرنا على القوم الظالمين**»[٤]، ثم أقبل على أصحابه فقال: «**...الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون**»[٥].

→

المنعم (ت بحدود ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط٤، مكتبة لبنان، (بيروت، ١٩٨٤م): ص٣٩٦.

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٥٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٨؛ ابن طاووس، اللهوف: ص٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٢؛ الحسيني، عبد الكريم، الوثائق الرسمية: ص١٣٩؛ أنطوان، بارا، الحسين في الفكر المسيحي: ص٢٤٨.

(٢) كربلاء: وهو الموضع الذي استشهد فيه الحسين بن علي عليهما السلام في طرف البرية عند الكوفة، وقيل: إنّ الإمام الحسين عليه السلام لما انتهى إلى هذا الموضع قال: ما اسمها قيل: هي العقر، فقال: نعوذ بالله من العقر، وقال: ما اسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا: كربلاء، فقال: أرض كرب وبلاء. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٤، ص٤٤٥. وذكر أيضاً: إنها موضع بالعراق من ناحية الكوفة فيه قُتِل الحسين بن علي عليهما السلام وقال الشاعر:

فَسِبطٌ سبطُ إيمانٍ وبرّ وسبطٌ غيبته كربلاءُ

الحميري، الروض المعطار: ص٤٩٠.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٩؛ ابن طاووس، اللهوف: ص٥١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٢.

(٤) الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٣٣٧؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٨٣؛ المقرم، مقتل الحسين: ص١٩٨.

(٥) المصدر السابق؛ الحسيني، عبد الكريم، الوثائق الرسمية: ص١٤٥.

ثم حمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد وآله، وقال: «**أما بعد، فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، ولم يبقَ منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله فإنّي لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً**»[١]، فقال له أصحابه: «**لقد سمعنا يا ابن رسول الله مقالتك، ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنّا فيها مخلّدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها**»[٢].

وقال أحد أصحابه: «**يا ابن رسول الله لقد مَنَّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة**»[٣].

ثم أمر عبيد الله بن زياد عمر بن سعد بن أبي وقاص بالخروج إلى كربلاء في أربعة آلاف رجل[٤]، وكان ابن زياد قد كتب له عهداً بولاية الري[٥]، فاستعفاه ابن سعد، ولما استردّ منه العهد استمهله ليلته، وجمع عمر بن سعد نصحاءه، فنهوه عن

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٣ـ٤٠٤؛ إن هذه الخطبة كانت قرب جبل ذي حسم، وقد وجهها الحسين عليه السلام إلى أصحابه عندما كان الحر بن يزيد يُسايره. ابن طاووس، اللهوف: ص٥٠، إنّ الخطبة كانت في عذيب الهجانات. ابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤، ص٣٣٣؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٢، ص٣١٢، إنه خطب في يوم عاشوراء وفي سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٣، ص٢٠٩، لما نزل عمر بن سعد خطب الحسين بأصحابه.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٤؛ ابن طاووس، اللهوف: ص٥٠؛ الحسيني، عبد الكريم، الوثائق الرسمية: ص١٤٦.

(٣) ابن طاووس، اللهوف: ص٥١؛ الحسيني، عبد الكريم، الوثائق الرسمية: ص١٤٦.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٥٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٩؛ ابن طاووس، اللهوف: ص٥٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٦؛ الحسيني، عبد الكريم، الوثائق الرسمية: ص١٤٨.

(٥) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محطّ الحاج على طريق السابلة، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً، وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٣، ص١٢٩.

المسير لحرب الحسين، وقال له ابن أخته حمزة بن المغيرة بن شُعبة الثقفي: «**أنشدك الله أن لا تسير لحرب الحسين؛ فتقطع رحمك، وتأثم بربك فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كله، لو كان لك، خيراً لك من أن تلقى الله بدم الحسين**»[١]، ولم ينثنِ عمر بن سعد عن قتال الحسين عليه السلام، وكان يردّد هذه الأبيات:

أأتـرك ملـك الـريَ والـريُ رغبتـي أم أرجـع مـذموماً بقتـل حسـينِ

وفي قتلـه النـار التـي لـيس دونهـا حجاب وملـك الـري قـرة عينـي[٢]

ثم جاء عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد، وقال: إنّي سائرٌ لحرب الحُسين[٣]، فأقبل في أربعة آلاف، وانضمّ إليه الحرّ فيمن معه وكانوا ألف فارس، فأصبح تحت قيادته خمسة آلاف فارس[٤]، ونزل ابن سعد على الفرات في اليوم الثالث من المحرم، ثم أرسل عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس ونزلوا الشريعة في اليوم السابع من المحرم، أي قبل استشهاد الحسين عليه السلام بثلاثة أيام[٥].

وذكر المسعودي: «**لما أصبح الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وصلّى بأصحابه صلاة الصبح قام خطيباً فيهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّ الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم؛ فعليكم بالصبر والقتال**»[٦].

ثم صفّهم للقتال، وكانوا اثنين وثمانين فارساً وراجلاً، وأعطى رايته أخاه

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٥٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٠٩.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٣.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٥٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤١٠.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤١٠؛ الحسيني، عبد الكريم، الوثائق الرسمية: ص١٥٠.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤١٠، أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٣.

(٦) المسعودي، علي بن الحسين، إثبات الوصية، المطبعة الحيدرية، (النجف ـ بلات) ص١٣٩.

العباس[١]، أما عمر بن سعد فقد جعل على الميمنة عمرو بن الحجاج الزبيدي وعلى الميسرة شمر بن ذي الجوشن العامري، وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي وعلى الرجّالة شبث بن ربعي، والراية مع مولاه ذويد[٢].

خُطب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء

لما نظر الإمام الحسين عليه السلام إلى جمعهم كأنه السيل رفع يديه بالدعاء وقال: «**اللهمّ أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقةً وعدة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبة مني إليك عمن سواك فكشفته وفرّجته، فأنت وليّ كلّ نعمة، ومنتهى كلّ رغبة**»[٣].

ثم وقف خطيباً ونادى بصوت سمعه أغلب العسكر حيث قال: «**أيّها الناس أسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حقٌّ لكم عليَّ، وحتى اعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدّقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم أقضوا إليّ ولا تنظرون إنّ وليّ الله الذي نزَّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين**»[٤].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٢٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٦، الحسيني، عبد الكريم، الوثائق الرسمية: ص١٦٢.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٢٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٦. وأعطى رايته مولاه دريد.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٢٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٧.

(٤) المصدر السابق؛ الحسيني، عبد الكريم، الوثائق الرسمية: ص٢٠٠.

وذكر الطبري أنه لم يُسمَعْ متكلّم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه[١]، ثم قال: **«أيّها الناس أنبؤني من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي؟ أو ليس جعفر الطيار عمي؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحقّ، والله ما تعمدّتُ الكذب منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به من اختلقه، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم من إن سألتموه ذلك أخبركم...»**[٢]، ثم قال عليه السلام: **«فإن كنتم في شكّ من هذا القول أفتشكّون أني ابن بنت نبيكم، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري لا فيكم ولا في غيركم، ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته! أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحه، فأخذوا لا يكلمونه»**[٣].

ثم إنّ الحسين عليه السلام ـ في خطبة أخرى ـ استشهدهم على نفسه المقدسة وما عليه من سيف النبي صلى الله عليه وآله وعمامته، فأجابوه بالتصديق، فسألهم عما أقدمهم على قتله، قالوا: طاعة للأمير عبيد الله بن زياد[٤]، فقال عليه السلام: **«تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحاً، أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلّا لكم الويلات، تركتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لمّا يستحصف، ولكن أسرعتم**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٢٤؛ الطبسي، مقتل الحسين: ص٣٢٥.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٢٤ـ٤٢٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٧.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٢٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٨٧.

(٤) ابن طاووس، اللهوف: ص٥٥؛ المقرم، مقتل الحسين: ص٢٤٣.

كطيرة الدّبا، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ثم نقضتموها، فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذّاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرّفي الكَلِم، وعصبة الإثم، ونفثه الشيطان، ومطفئ السُنن! ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنّا تتخاذلون؟ أجل والله غدرٌ فيكم قديم وشجت عليه أصولكم وتأزرت فروعكم فكنتم أخبث ثمرة، شجى للناظر وأكلة للغاصب»[1].

ثم قال عليه السلام: **«ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذّلّة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحفٌ بهذه الأسرة، على قلة العدد، وخذلان الناصر»**[2].

ثم أنشد قائلاً:

فإن نُهزم فهزّامون قدماً ... وإن نهزم فغير مهزّمينا
وما إن طبّنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا
إذا ما الموت رُفع عن أُناسٍ ... بكلكلهِ أناخَ بآخرينا[3].

ثم قال عليه السلام: **«أما والله لا تلبثون بعدها إلا ريثما يركب الفرس، حتى تدور بكم دوران الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إليّ أبي عن جدّي رسول الله، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم أقضوا إليّ ولا تنظرون إنّي**

---

(١) ابن طاووس، اللهوف: ص٦١ـ٦٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤، ص٣٣٣؛ الحسيني، عبد الكريم، الوثائق الرسمية: ص٢٠٩ـ٢١٠.

(٢) ابن طاووس، اللهوف: ص٦٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص١٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤، ص٣٣٣.

(٣) ابن طاووس، اللهوف: ص٦٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص١٠.

توكّلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إنّ ربي على صراطٍ مستقيم»[١].

ولما سمع الحر بن يزيد الرياحي كلام الإمام الحسين عليه السلام وعَلِمَ أنّ القوم مقاتلوه لا محالة انعطف إلى جانب الحسين عليه السلام، وأصبح مع أصحابه[٢]، ثم دارت معركة الكرامة بين فئتين غير متكافئتين عسكرياً، عدداً وعدّة، والتي أبدى فيها أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته شجاعةً وصبراً عند اللقاء وقد كانت شعلة في طريق الأجيال التي تنازع الظالمين من أجل الحرية.

وكان استشهاد الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه يوم العاشر من المحرّم سنة ٦١هـ/ العاشر من تشرين الأول سنة ٦٨٠م[٣].

ولما التفت الإمام عليه السلام في اليوم العاشر يمينا وشمالا فلم يجد أحدا من أهل بيته وأنصاره أخذ يناديهم بأسمائهم ثمّ أنشأ يقول:

قومٌ إذا نودوا لدفع ملمّةٍ ... والخيل بين مدعّس ومكردسِ
لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا ... يتهافتون على ذهاب الأنفس
نصروا الحُسين فيا لها من فتيةٍ ... عافوا الحياة وألبسوا من سندسِ[٤].

---

(١) ابن طاووس، اللهوف: ص٦٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص١٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤، ص٣٣٤.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٨٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٢٧.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٧٠؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧١، الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٢٢، المسعودي، التنبيه والإشراف، تح: لجنة تحقيق التراث، ط١، دار ومكتبة الهلال، (بيروت ـ١٩٩٣م): ص٢٧٨؛ القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ط٢، دار القارئ للطباعة، (بيروت، ٢٠٠٤م): ص١٧٠ـ١٧٣.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٩٣؛ ابن طاووس، اللهوف: ص٧١.

المبحث الثاني

ردود الفعل بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ووقعة الحرة

أولاً: تحميل يزيد مسؤولية قتل الحسين عليه السلام وردود الفعل على ذلك

إنّ من القضايا التي أثبتها التاريخ واعترف بها اعترافاً جازماً غير مكترث بأية قوة تعارضه، هي قضية يزيد بن معاوية وقتله الإمام الحسين عليه السلام، وسروره بسفك ذلك الدم النبوي الزكي، حتى صارت من بديهيات التاريخ، وصار اسم يزيد كعلم لقاتل الحسين عليه السلام، وكعلم للظلم والقسوة، واسم الحسين عليه السلام كعلم للعدالة والإباء والنهضة[1]، وفي ذلك قال الشاعر المصري أحمد شوقي هاجياً الزعيم التركي مصطفى كمال آتاتورك:

هذا الذي كان الحسين عدالةً في المسلمين قد استحال يزيدا [2]

وذكر ابن عبد ربه أنّ يزيد بن معاوية كتب كتاباً إلى عبيد الله بن زياد، وهو واليه على العراق، جاء فيه «**أنّه قد بلغني أنّ حسيناً سار إلى الكوفة، وقد ابتلى الله به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليت به من بين العمال وعندها تعتق أو**

---

(١) الزين، محمد حسين، الشيعة في التاريخ، ط٢، مطبعة العرفان، (صيدا، ١٩٣٨م): ص١٢٥.
(٢) المصدر السابق: ص١٢٦.

تعود عبداً»[١].

وقد اعترف ابن زياد بمغزى كلام يزيد وتهديده إياه بالقتل فقال: «**أما قتلي الحسين فإنّه أشار إلى يزيد بقتله أو قتلي، فاخترت قتله**»[٢]، وذكر السيوطي قائلاً: «**خرج الحسين من مكة إلى العراق، فكتب يزيد إلى واليه في العراق عبيد الله بن زياد بمقاتلته، فوجّه إليه جيشاً... عليه عمر بن سعد فقتله، وجيء برأسه في طست حتى وضع بين يدي ابن زياد لعنه الله ولعن قاتله ويزيد أيضاً، ثم إنّ ابن زياد بعث برأس الحسين وأهله إلى يزيد، فسرّ بقتلهم أولاً، ثم ندم لمّا مقته المسلمون على ذلك وأبغضه الناس، وحقّ لهم أن يبغضوه**»[٣].

ووضع رأس الحسين عليه السلام بين يدي عبيد الله بن زياد فجعل ينكت بالقضيب ثنايا الحسين عليه السلام، فقال له زيد بن أرقم[٤]: «**ارفع القضيب عن هاتين الشفتين فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت فم رسول الله صلى الله عليه وآله على هاتين الشفتين يقبلهما ثم بكى، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك فو الله لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فنهض وخرج وقد سمعه الناس يقول: ملك عبدٌ عبداً، فاتخذهم تلداً، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمّرتم بن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذلّ، فبعداً لمن رضي بالذل**»[٥].

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٥، ص١٣٠.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٢٤.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص٢٠٧.

(٤) زيد بن أرقم بن زيد الخزرجي، كنيته أبو عامر استصغر يوم أحد وغزا مع الرسول صلى الله عليه وآله سبع عشرة غزوة، وله حديث كثير ورواية، شهد صفين مع الإمام علي عليه السلام، مات بالكوفة أيام المختار سنة ٦٦هـ/ ٦٨٦م. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج١، ص٥٦٠.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٥٦؛ القلقشندي، ابو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٧م)، مآثر الانافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، ←

وذكر الطبري: «**أنّه عندما دخلت زينب**[١] **بنت علي عليهما السلام على عبيد الله ابن زياد قال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحكم، وأكذب أحدوثتكم، فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وآله وطهرنا تطهيرا، لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، قال: فكيف رأيتِ صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّون إليه، وتخاصمون عنده... ثم قال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك، فبكت ثم قالت: لعمري لقد قتلت كهلي وأبرت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي فإن يشفك هذا فقد اشتفيت...**»[٢].

وأمر ابن زياد أن ينادى بالصلاة جامعة، فاجتمعوا في الجامع الأعظم، وارتقى ابن زياد المنبر فقال: «**الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذّاب بن الكذّاب الحسين بن علي وشيعته**»[٣].

فلم ينكر عليه أحدٌ من ذلك الجمع إلا عبد الله بن عفيف الغامدي الأزدي وكان أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام، وقد ذهبت عيناه في الجمل وصفين فقال: «**يا ابن مرجانة، الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك، والذي ولّاك وأبوه، يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيّين، وتتكلّمون بكلام الصدّيقين**»[٤]، وبعد هذا الكلام أمر عبيد الله

→

(بيروت، ١٩٨٠): ج١، ص١١٨؛ ابن حجر العسقلاني، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، (لا م، لا ت): ص٢٣٠.

(١) زينب بنت علي عليهما السلام، أمّها فاطمة الزهراء، ولدت في عهد النبي صلى الله عليه وآله، وقد تزوجت من عبد الله ابن جعفر، وكانت مع الحسين عليه السلام حيث استشهد في كربلاء، حملت إلى دمشق وحضرت عند يزيد وكلامها مع يزيد يدل على عقل وقوة جنان. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٤، ص٣٢١.

(٢)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٥٩؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٤٧.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٥٨؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢٣.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٥٩؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٩٦.

ابن زياد بالقبض على عبد الله بن عفيف وضُرِبت عنقه[١].

ولما جاءت الرؤوس إلى الشام كان يزيد جالساً فلما نظر إليها أنشأ يقول:

نفلق هاماً من رجالٍ أعـزّةٍ علينـا وهـم كـانوا أعـقّ وأظلـما[٢]

وذكر الطبري «**أنّ ابن زياد أمر بنساء الحسين وصبيانه، وأمر علي بن الحسين فَغُلّ بغلٍّ إلى عنقه، ثمّ سرّح بهم إلى يزيد في الشام، ولمّا وصلوا جلس يزيد ودعا أشراف الشام فأجلسهم حوله، ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه فأدخلوا عليه، والناس ينظرون، وجاء برأس الحسين، فوضعه بين يديه، وأخذ ينكث ـ بقضيب كان معه ـ ثنايا الحسين وثغره حتى قام إليه أبو برزة الأسلمي، وقال: أتنكت بقضيبك ثغر الحسين وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يرشفه**»[٣]؟ وكان يزيد يردّد هذه الأبيات:

ليـت أشـياخي ببـدر شـهدوا جزع الخـزرج مـن وقـع الأسـل

لأهلّـوا واسـتهلّوا فرحـاً ثـم قـالوا يـا يزيـد لا تشـل

قـد قتلنـا القـرم مـن سـاداتهم وعـدلنا ميـل بـدر فاعتـدل

لعبـت هاشـم بالملـك فـلا خـبر جـاء ولا وحـي نـزل

لسـتُ مـن خنـدف إن لم انـتقم مـن بنـي أحمـد مـا كـان فعْـل[٤]

وعندما سمعت زينب بنت علي عليهما السلام هذه الأبيات انبرت إلى يزيد قائلةً:

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٥٩؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٩٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٦٠؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢٨؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٦٤.

(٣)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٦٥؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٦٤.

(٤) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢٩؛ ابن طاووس، اللهوف: ص١١٦؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٦٥ـ٦٦.

«أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تساق الأسارى، أنّ بنا هواناً على الله، وبك عليه كرامة وغنى ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان فرحاً، حتى رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور عليك متسقة... فكد كيدك، وأسع سعيك، وناصب جهدك، فو الله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أحدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين»[١].

أضف إلى ذلك كلّه أنّه لما وصل رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده، وزاده ووصله وسرّه ما فعل، **«وبالغ في رفعته حتى أدخله على نسائه»**[٢]، **«وجلس بعد قتل الحسين عليه السلام وعن يمينه ابن زياد، فأقبل على ساقيه وقال:**

اسقني شُربة تروي مشاشي ثم مل واسقِ مثلها ابن زياد

صاحب السرّ والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي»[٣].

هذا فعل ابن زياد الذي سرّ يزيد، وأوجب أن يحسن حاله، ويزيد في عطائه وصلته ويبالغ في رفعته، ويدخله على نسائه[٤].

ويؤيّد ذلك كلّه ما كتبه عبد ولتسديد مغنمي وجهادي»[٥]. الله بن عباس في

---

(١) ابن طاووس، اللهوف: ص١١٦ـ١١٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٧١ـ٧٣؛ القزويني، زينب الكبرى، ص٢٩٧ـ٣٠٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٠٠؛ الزين، محمد حسين، الشيعة في التاريخ: ص١٢٩.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٧٧.

(٤) محمد حسين، الشيعة في التاريخ، ص١٣٠.

(٥) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٧٧.

جواب كتاب كتبه إليه يزيد بن معاوية يشكره فيه على ترك البيعة لابن الزبير؛ حيث قال ابن عباس: «... **وإن أنس فما أنسى طردك حسيناً من حرم جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وكتبت إلى ابن مرجانة بالخيل والرجال والأسنّة والسيوف، وأمرته بمعاجلته وترك مطاولته بالإكمام عليه، حتى قتلته ومن معه من بني عبد المطلب، أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فنحن أولئك لسنا كآبائك الجفاة الأحلاف... فطلب الحسين عليه السلام المواداعة وسألكم الرجعة، فأبيتم عليهم فقتلتموهم، كأنما قتلتم أهل بيت من ترك أو كابل، فلا شيء أعجب عندي من طلب ودّي وقد قتلت بني أبي، وسيفك يقطر من دمي...**»[1]، وزاد في ذلك أيضاً «**ألا ومن أعجب الإعجاب عندي، وما عسيت أن أرى في الدهر من عجب، حملك بنات عبد المطلب وأغلمة صغاراً من ولد أبيه إلى الشام، كالسبي المجلوبة، ترى الناس أنّك قد قهرتنا وأنك تمنّ علينا، ولعمري لئن كنت تُمسي وتُصبح آمناً من جراحة يدي أني لأرجو أن أعظم جراحك من لساني وتقضي وإبرامي وأني لا أرجو أن يمهلك الله بعد قتل أهل بيته صلى الله عليه وآله إلا قليلاً، حتى يأخذك أخذاً وبيلاً، ويخرجك من الدنيا مذموماً مخذولاً، فاعتبر لا أبالك ما استطعت، فقد والله زادك الله بما اقترفت إثماً... والسلام على أهل طاعة الله**»[2].

ولقد أقرّ معاوية بن يزيد بن معاوية بأنّ أباه قد نازع الحسين عليه السلام وقتله حيث يقول: «**إنّ هذه الخلافة حبل الله، وإنّ جدي معاوية نازع الأمر أهله، ومن هو أحقّ به منه علي بن أبي طالب عليه السلام، وركب بكم ما تعلمون، حتى أتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثم قلّد أبي الأمر، وكان غير أهل له، ونازع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقصف**

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧٣ـ١٧٤.
(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٨٦ـ٨٧.

عمره، وصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثم بكى وقال: إنّ من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء منقلبه، وبؤس مصرعه، وقد قتل عترة رسول الله ﷺ، وأباح الخمرة وضرب الكعبة»[1].

وذكر بن حجر «**ولما فعل يزيد برأس الحسين ما مرّ كان عنده رسول قيصر، فقال متعجباً: إنّ عندنا في بعض الجزائر في دير حافر حمار عيسى، فنحن نحجّ إليه كلّ عام من الأقطار، وننذر النذور، ونعظّمه كما تعظّمون كعبتكم، فأشهد أنكم على باطلٍ. وقال ذمي آخر: بيني وبين داود سبعون أباً، وأنّ اليهود تُعظّمني وتحترمني، وأنتم قتلتم ابن نبيكم**»[2]، وذكر المسعودي قائلاً: وفي قتيل الطف يقول سليمان بن قتّة:

فإنّ قتيل الطفّ من آل هاشم ... أذلّ رقاباً من قريش فذلّتِ
فأن يتبعوه عائذ البيت يصبحوا ... كعادٍ تعمت عن هداها فضلتِ
ألم تر إن الأرض أضحت مريضةً ... بقتل حسين والبلاد أقشعرت
فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وإن أصبحت منهم برغمي تخلتِ»[3].

ويقول الدكتور طه حسين: «**وأدخل السبي على يزيد فأغلظ لهم أول الأمر، ثم لم يلبث أن رفق بهم، وبرّهم وأدخلهم على أهله، ثم جهزهم بعد ذلك إلى المدينة وردهم إليها كراماً. والرواة يزعمون أنّ يزيد تبرّأ من قتل الحسين على هذا النحو، وألقى عبء هذا الإثم على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد، ولكنّا لا نراه لام ابن زياد ولا عاقبه، ولا عزله عن عمله كله أو بعضه، ومن قبله قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه، ثم ألقى عبء قتلهم على زياد، وقال: حملني ابن سمية فاحتملت**»[4].

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧٧.
(٢) ابن حجر العسقلاني، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: ص٢٣١.
(٣) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٧٤.
(٤) طه حسين، الفتنة الكبرى: ج٢، ص٢٦٠.

ثانياً: أثر استشهاد الحسين عليه السلام على أهل المدينة

لقد كان لاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه أثراً واضحاً في قلوب المسلمين، فقد بدأت بوادر الثورة تظهر في المجتمع الإسلامي، وبدأ الناس يرقبون زعيماً يقودهم، وهم مستعدون للتمرّد والثورة على الأمويين في أية لحظة، ولكنهم بحاجة إلى ثائر يقودهم[١].

وقد كان لثورة الإمام الحسين أثر في منهاج وحركة الثورات التي جاءت بعدها »إنّ كلّ تمرّد كان يحظى بعطف المجتمع الإسلامي كله من شارك ومن لم يشارك... ولم يتمكّن الحكام الأمويون من قمع هذه الثورات بجيوش من سكان المناطق الثائرة، فقد كانوا يعرفون أنّ ثمة تجاوباً نفسياً بين الثائرين وبين القاعدين، فاضطروا إلى قمع هذه الثورات بجيوشٍ أجنبية عن مناطق الثائرين«[٢].

ومن أولى الحركات التي جاءت كرد فعلٍ لاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام هي ثورة أهل المدينة أو ما تسمى بموقعة الحرة[٣].

لم تتميز هذه الثورة بالطابع الانتقامي من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، بل كانت ثورة

---

(١) محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، تح: سامي الغريري، ط١، دار الكتاب الإسلامي، (بيروت، ٢٠٠٦م): ص٢٣٧.

(٢) المصدر السابق: ص٢٣٨.

(٣) الحرّة: أو ما تسمّى حرّة واقم: هي إحدى حرّتي المدينة، وهي الشرقية سمّيت برجل من العماليق كان قد نزلها، وقيل واقم: اسم أطم من آطام المدينة، إليه تضاف الحرّة، وفي هذا المكان كانت وقعة الحرّة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ/ ٦٨٣م، وأمير الجيش مسلم بن عقبة المرّي، وسموه لقبيح فعله «مسرفاً»، قدم المدينة، فنزل حرّة وأقم، وخرج إليه أهل المدينة يحاربونه، فكسرهم ودخل جنده المدينة، فنهبوا الأموال، وسبوا الذرية، واستباحوا الفروج، ثم أحضر الأعيان لمبايعة يزيد بن معاوية فلم يرض إلا أن يبايعوه على أنهم عبيد ليزيد ابن معاوية، فمن تلكأ ضُربت عنقه. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٢، ص٢٤٩ـ٢٥٠.

تستهدف القضاء على سلطان الأمويين[١].

وذكر المسعودي أنه «**لما شمل الناس جور يزيد وعماله، وعمّهم ظلمه، وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله ﷺ وأنصاره، وما أظهر من شرب الخمور، وسيره سيرة فرعون، بل كان فرعون أعدل منه في رعيته، وأنصف منه لخاصته وعامته، أخرج أهل المدينة عامله عليهم، وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، وسائر بني أمية...**»[٢].

ويقول الدكتور طه حسين: «...**لقد انتهت محنة الحسين إلى الحجاز، فكانت صدمة لأهله وللصالحين منهم خاصة، وجعل الناس يتحدثون بها، فيكثرون الحديث وجعلوا يعظمون أمرها، ما أكثر ما تحدّثت قلوبهم إليهم، وما أكثر ما تحدّث بعضهم إلى بعض حيث كانوا يخلون، بأن، سلطان يزيد قد أمعن في الخلاف عن أمر الله، فلم تصبح طاعته لازمة، بل أصبح الخروج عليه واجباً، حيث يمكن الخروج عليه**»[٣].

وقد كان مروان بن الحكم يرى في قتل الحسين عليه السلام هياجاً للرأي العام، جاء ذلك في كتابه الذي بعث به إلى عبيد الله بن زياد: «...**فإياك أن تهيّج على نفسك ما لا يسدّه شيء، ولا تنساه العامة، ولا تدع ذكره آخر الدهر والسلام**»[٤].

وقد قامت زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام بعد واقعة كربلاء ورجوعها إلى

---

(١) محمد مهدي، ثورة الحسين: ص٢٤٥.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٧٨.

(٣) طه حسين، الفتنة الكبرى: ج٢، ص٢٤٦.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٦٧، وقد أنفرد ابن كثير في ذكر هذه الرواية، ويذكر المؤرخون أنّ الذي بعث بالرسالة إلى عبيد الله بن زياد هو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، فضلاً عن ذلك فإنّ مروان كان من المحرّضين على قتل الحسين عليه السلام. الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٠؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٧٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٤.

المدينة بتعبئة النفوس، وتأليب الناس على حكم يزيد، وقد خاف عمرو بن سعيد الأشدق والي يزيد على المدينة انتفاض الأمر، فكتب إلى يزيد كتاباً يقول فيه: «**إنّ وجودها بين أهل المدينة مهيج للخواطر، وإنها فصيحة عاقلة، لبيبة، وقد عزمت هي ومن معها للأخذ بثأر الحسين، فأتاه كتاب يزيد بأن يفرّق بينها وبين الناس**»[١].

وكانت زينب عليها السلام تقصّ عليهم ما جرى عليها من المصائب في الكوفة والشام، يقول المجلسي: «...**كان التحدث بأيّ مشهد من تلك المشاهد المؤلمة يكفي لأن تمتلئ القلوب حقداً وغيضاً على يزيد ومن يدور في فلكه**»[٢]. وقد كان السبب المباشر لاشتعال الثورة هو وفد أهل المدينة إلى يزيد بن معاوية، فقد أوفد عثمان بن محمد بن أبي سفيان والي المدينة وذلك في أواخر سنة ٦٢هـ/ ٦٨١م[٣].

وفداً من أهلها إلى يزيد، فيهم عبد الله بن حنظلة الأنصاري[٤] غسيل الملائكة وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، والمنذر بن الزبير بن العوام، ورجالاً من أشراف أهل المدينة[٥].

وقد أكرمهم يزيد وأجازهم، فرجعوا إلى المدينة، إلى المنذر بن الزبير الذي ذهب إلى عبيد الله بن زياد في البصرة[٦]، ثم رجع إلى المدينة، وقد صرّحوا جميعاً إلى أهل المدينة بقولهم: «**إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير،**

---

(١) النقدي: جعفر، زينب الكبرى، منشورات المكتبة الحيدرية، (قم، ١٩٩٦م): ص١٢٠ـ١٢٢.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٢٤.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٠٧.
(٤) عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري، استشهد أبوه يوم أحد، حفظ عن النبي وروى عنه، وفد على يزيد بن معاوية ورجع إلى المدينة، وذكر فسق يزيد، خرج بالناس يوم الحرة واستشهد. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٢، ص٢٨٦ـ٢٨٧.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٠٧.
(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٠٧.

ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الحرّاب والفتيان، وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه فتابعهم الناس»[١]، وقال المنذر بن الزبير: «**إنّ يزيد والله لقد أجازني بمائة ألف درهم، وإنّه لا يمنعني ما صنع إليّ أن أخبركم خبره، وأصدقكم عنه، والله إنّه ليشرب الخمر، وإنّه ليسكر حتى يدع الصلاة، وعابه بمثل ما عابه أصحابه الذين كانوا معه وأشدّ**»[٢].

وقال عبد الله بن حنظلة: «**جئتكم من عند رجل لو لم أجد إلا بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم، وقد أعطاني وأكرمني، وما قبلت عطاءه إلا لأتقوّى به**»[٣]، وقال أيضاً: «**والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء**»[٤].

ثم قام أهل المدينة بخلع يزيد، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل[٥] فبلغ ذلك يزيد، فكتب إليهم: «**أما بعد، فإنّ الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال، وإنّي والله قد لبستكم فاخلقتكم، ورفعتكم على رأسي، ثم على عيني، ثم على فمي، ثم على بطني، وأيم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنّكم وطأةً أقلّ بها عددكم، وأترككم بها أحاديث، تنتج أخباركم مع أخبار عادٍ وثمود**»[٦].

وثار أهل المدينة على الحكم الأموي وطرد الثائرون عامل يزيد على المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وباقي بني أمية، ومواليهم، ومن كان على رأيهم من، فنزلوا

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٠.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٠٧.
(٤) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، ٢٠٠٣م): ج٥، ص٢٧؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص٢٠٩.
(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٠.
(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٤، ص١٣٧.

دار مروان بن الحكم وقام أهل المدينة بمحاصرتهم في دار مروان[١]. ولم ينفع الوعد والوعيد الذي نادى به يزيد أهل المدينة، وسار الثائرون في حركتهم، فكتب بنو أمية كتاباً إلى يزيد جاء فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنّا قد حصرنا في دار مروان بن الحكم، ومنعنا العذب، ورمينا بالجيوب، فياغوثاه، يا غوثاه**»[٢].

وكان الذي بعث الكتاب مروان بن الحكم وعمر بن عثمان بن عفان، وكان مروان هو الذي يدبّر أمرهم، حيث إنّ عثمان بن محمد بن أبي سفيان كان غلاماً حدثاً لم يكن له رأي[٣].

وكان ورود هذا الكتاب على يزيد منتصف سنة ٦٣هـ/ ٦٨٣م فتمثل قائلاً:

لقد بدّلوا الحلم الذي من سجيّتي فبدّلت قومي غلظةً بليانِ[٤].

ولم يكن يزيد بالرجل الحليم، إنّما كانت هذه أبياتاً ردّدها قولاً لا فعلاً: «**ولم يكن يزيد يحتمل أن يلتوي عليه أحد بطاعته، وإنّما كان يرى أنّ طاعته حقّ على الناس جميعاً، فمن التوى بها عليه فليس له عنده إلا السيف**»[٥]، ونتيجة ذلك أن بعث يزيد إلى عمرو بن سعيد الأشدق فأقرأه الكتاب، وأمره بالمسير في الناس، فرفض عمرو غزو الحجاز، وردّ على يزيد قائلاً: «**قد كنت ضبطت لك الأمور والبلاد فأمّا الآن إذا**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٠؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ص١١٥.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٢؛ يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها: ص١٦٤ـ١٦٥؛ فلها وزن، الدولة العربية وسقوطها: ص١٢٦.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٢.

(٤) المصدر السابق: ص٤٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٠؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ص١١٦.

(٥) طه حسين، الفتنة الكبرى: ج٢، ص٢٣٢.

صارت دماء قريش تهراق بالصعيد فلا أحبّ أن أتولّى ذلك»[١].

وقيل: إنّ يزيد قد كتب إلى عبيد الله بن زياد أن يغزو الحجاز، فقال ابن زياد: «**لا أجمعها للفاسق أبداً، اقتل ابن بنت رسول الله ﷺ وأغزو البيت**»[٢]. وذكر الطبري: «**وكانت مرجانة –أم عبيد الله ـ امرأة صدق، فقالت لعبيد الله حين قتل الحسين عليه السلام: ويلك! ماذا صنعت؟! وماذا ركبت**»[٣]؟

ثم بعث يزيد إلى مسلم بن عقبة المري، وكان شيخاً كبيراً ومريضاً[٤] فأخبره بالخبر، فقال مسلم: «**يا أمير المؤمنين، لا تنصر هؤلاء فإنّهم الأذلاء، أما استطاعوا أن يقاتلوا يوماً واحداً أو شطره أو ساعة منه! دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوّهم، وعزّ سلطانهم وسيتبين لك من يقاتل منهم على طاعتك ويصبر عليها أو يستسلم**»[٥]. فأنكر يزيد هذا القول، وردّ عليه قائلاً: «**ويحك إنّه لا خير في العيش بعدهم، فاخرج فأنبئني نبأك، وسر بالناس**»[٦]، فنادى في الناس بالتجهز إلى الحجاز، وأن يأخذوا عطاءهم ومعونة مائة دينار لكلّ رجل، وانتدب لذلك أثني عشر ألف رجل[٧].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ص١١٦.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٣ـ٤٨٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١١؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ص١١٦.

(٣)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥،، ص٤٨٤.

(٤) ابن قتيبة: الأمامة والسياسة: ج٢، ص٢٣٠؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٥٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٣.

(٥)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١١.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق. ويذكر ابن قتيبة أنّ عدد الجيش الذي وجّهه يزيد إلى أهل المدينة كان ثلاثين ألفاً. ينظر: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: ج٢، ص٢٣٠.

وودّعه يزيد، وأمره أن حدث بك حادث فاستخلف الحصين بن نمير السكوني وقال له: «**أدع القوم ثلاثاً، فإن أجابوا وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً بما فيها من مالٍ أو سلاح أو طعام، فهو للجند فإن انقضت الثلاث فاعف عن الناس، وانظر علي بن الحسين عليهما السلام فأكفف عنه، واستوص به خيراً**»[١]، وقد كان علي بن الحسين عليهما السلام لما خرج بنو أمية نحو الشام آوى إليه ثقل مروان بن الحكم وامرأته عائشة بنت عثمان بن عفان، وهي أمّ أبان بن مروان[٢].

وفي رواية أخرى: أنّ أهل المدينة لما ثاروا على بني أمية كلّم مروان بن الحكم علي بن الحسين عليهما السلام، وقال: يا أبا الحسن إنّ لي رحماً، وحرمي تكون مع حرمك فقال: أفعل، فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين عليهما السلام، فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم في ينبع[٣]. وكان مروان شاكراً لعلي بن الحسين عليهما السلام[٤]، فلما بلغ أهل المدينة خبر الجيش اشتدّ حصارهم لبني أمية[٥]، وقالوا: «**والله لا نكفّ عنكم حتى نضرب أعناقكم، أو تعطونا عهد الله وميثاقه أنّكم لا تبغون غائلة، ولا تدلوا لنا على عورةٍ، ولا تظاهروا علينا عدونا، فنكفّ عنكم ونخرجكم، فعاهدوهم على ذلك وأخرجوهم من المدينة**»[٦]. وساروا بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة في وادي القرى[٧].

وقد سأل مسلم بن عقبة عمرو بن عثمان بن عفان عن مواضع الخلل عند أهل المدينة فأخبره عمرو أنه قد أخذ علينا العهود والمواثيق ألا ندلّ على عورةٍ ولا

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١١.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٥.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١١.
(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٥.
(٥) المصدر السابق؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢١.
(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٢.
(٧) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص٢١١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٥.

نظاهر عدواً فانتهره مسلم وقال: والله لولا أنّك ابن الخليفة عثمان لضربت عنقك[١]. ثم قال مروان لابنه عبد الملك أدخل عليه قبلي لعله يكتفي بك عني[٢]، فدخل عبد الملك على مسلم بن عقبة، وكان أسرعهم إلى نقض العهد، فقال له: «**أرى أن تسير بمن معك، فإذا انتهيت إلى أدنى نخل نزلت، فاستظل الناس في ظله وأكلوا من صقره**[٣]**، فإذا أصبحت من الغد مضيت وتركت المدينة ذات اليسار، ثم أدرت بها حتى تأتيهم من قبل الحرّة مشرّقاً، ثم تستقبل القوم، فإذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم الشمس طلعت من أكتاف أصحابك، فلا تؤذيهم ويصيبهم أذاها ويرون من ائتلاف بيضكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه أنتم عنهم، ثم قاتلهم واستعن عليهم بالله تعالى**»[٤].

ثم ارتحل مسلم من مكانه، وفعل بما أشار عليه عبد الملك، ودعا أهل المدينة إلى طاعة يزيد، وأجّلهم ثلاثاً[٥]، ولما أنقضت الثلاث قال مسلم: «**يا أهل المدينة ما تصنعون أ تسالمون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب**»[٦]، وكان أهل المدينة قد اتخذوا خندقاً وعليه جمع منهم، وكان مسلم بن عقبة مريضاً فوضع له كرسي بين الصفّين فكانت وقعة الحرّة في يوم الأربعاء من ذي الحجة، لليلتين بقيتا منه سنة ٦٣هـ/

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٢؛ محمود شاكر، الدولة الأموية في الشام، مطبعة شبر، (لا م، ١٩٣٨م): ص١٣١.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٢.

(٣) صقره، الصقر يعني الدبس عند أهل المدينة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٣، ص٤١٥.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٢؛ عمر أبو النصر، معاوية بن أبي سفيان وعصره، ٢٦٠.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٢.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٢.

٦٨٣م[١]، وقد رتّب أهل المدينة قواتهم؛ فكان عبد الله بن مطيع على قريش من أهل المدينة، وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار، ومعقل بن سنان[٢] الأشجعي على المهاجرين، وكان الأمير عليهم جميعاً عبد الله بن حنظلة[٣]، وحرّض مسلم أهل الشام على القتال، فقاتلوا قتالاً شديداً. وانهزم أهل المدينة، ودعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد[٤].

ثم طلب الأمان لرجلين من قريش، هما: يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود وجدته لأمّه أمّ سلمة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله، ومحمد بن[٥] أبي الجهم بن حذيفة العدوي، وقد أتي بهما بعد الوقعة بيوم، فقال لهما مسلم: بايعا فقال القرشيان نبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فقال: لا والله لا أقبل منكما هذا أبداً، وقدّمهما فضرب أعناقهما[٦]، وأحضر معقل بن سنان الأشجعي، فضربت عنقه، وجيء بيزيد بن وهب بن زمعة فقال: أبايعك على سنة عمر فقتل[٧]، ثمّ دعا مسلم بن عقبة لبيعة يزيد بن معاوية؛ حيث يذكر الطبري: «**فدعا الناس للبيعة على أنّهم خول ليزيد بن**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٧.

(٢) معقل بن سنان الأشجعي: ذكر أنه وفد على النبي صلى الله عليه وآله وكان معه راية أشجع يوم حنين، قاتل يوم الحرة، وقد جيء به إلى مسلم بن عقبة فضرب عنقه صبراً. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٣، ص٤٤٦.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٢.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٨٨ـ٤٩٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٣؛ عمر أبو النصر، معاوية بن أبي سفيان وعصره، ص٢١٦.

(٥) محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي: ولد في عهد النبي صلى الله عليه وآله، أمّه خولة بنت القعقاع التميمية، استشهد في الحرّة سنة ٦٣هـ/ ٦٨٣م. ينظر: ابن حجر، الإصابة: ج٣، ص٤٧٣.

(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج٢، ص٢٣٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٤.

(٧) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج٢، ص٢٣٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ص٤٩٣.

معاوية، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء»[١].

«وأباح مسلم المدينة ثلاثاً؛ يقتلون الناس، ويأخذون المتاع والأموال، فأفزع ذلك من بها من الصحابة»[٢]، وذكر المسعودي: **«وسمّاها ـ مسلم ـ نتنة، وقد سمّاها رسول الله ﷺ طيبة، وقال: (من أخاف أهل المدينة فقد أخاف الله)، أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)؛ لذا سمّي مسلما هذا بمجرم ومسرف»**[٣]، وقال ابن كثير: **«وقد اخطأ يزيد خطأ فاحشاً في قوله لمسلم أن يبيح المدينة ثلاثة أيام، وهذا خطأ كبير فاحش، مع ما انضمّ إلى ذلك من قتل خلقٍ من الصحابة وأبنائهم ـ وقد تقدم أنّه قتل الحسين وأصحابه على يد عبيد الله بن زياد ـ وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحدّ ولا يوصف مما لا يسلمه إلى الله عز وجل... فقصمه الله قاصم الجبابرة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر»**[٤]، وبلغ عدد قتلى الحرّة من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ألفاً وسبعمائة، وسائر الناس عشرة آلاف[٥].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٩٣؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٧٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٣؛ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٠م): ج١، ص٧٠ـ٧١.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٧٨.

(٤) البداية والنهاية: ج٨، ص٢٣٥.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص٢١٦؛ البسوي، المعرفة والتاريخ، ص٣٢٦.

المبحث الثالث

حركة التوابين[1]

إنّ أول ردّ فعلٍ مباشر لاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام هو حركة التوّابين في الكوفة، فحين استشهد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، ورجع عبيد الله بن زياد من معسكره بالنخيلة[2] تلاقت الشيعة بالتلاوم والندم، وقد رأوا أنّهم أخطأوا خطأً كبيراً، بدعوة الحسين عليه السلام إلى النصرة وتركهم إجابته، ومقتله إلى جانبهم ولم ينصروه[3]، وكان رأيهم أنّه لن يغسل عارهم ولن يزيلوا الإثم الذي وقعوا فيه إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه[4]، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة أشخاص كانوا من زعماء المعارضة، وممن راسل الإمام الحسين عليه السلام؛ وهم سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجية الفزاري، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله ابن وال البكري، ورفاعة بن شداد البجلي[5].

وقد اجتمع هؤلاء النفر في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، وأول من بدأ الكلام فيهم المسيب بن نجية، فتكلم فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله، ثم قال:

---

(١) التوّابون: هم الذين ندموا على خذلانهم الإمام الحسين عليه السلام بعد أن راسلهم واستدعاهم. ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ص١٢٠.

(٢) النخيلة: موضع بالكوفة، وقد كان الإمام علي عليه السلام يخرج إليها إذا أراد أن يخطب بالناس. ينظر: البكري، أبي عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، معجم ما استعجم، تح: مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والنشر، (القاهرة، ١٩٥١م): ج٤، ص١٣٠٥.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٥٢؛ محمد مهدي، ثورة الحسين: ص٢٣٩.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٥٢؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٠٣.

(٥) المصدر السابق؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٢.

«أما بعد، فإنا قد ابتلينا بطول العمر، والتعرض لأنواع الفتن فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غداً: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[1]، فإنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس فينا رجلٌ إلا وقد بلغه، وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا، وتقريظ شيعتنا، حتى بلى الله أخيارنا فوجدنا كاذبين في موطنين من مواطن ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وآله، وقد بلغنا قبل ذلك كتبه، وقدمت علينا رسله، وأعذر إلينا يسألنا نصره عوداً وبدءاً، وعلانيةً وسرّاً، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلنا عنه بألسنتنا، ولا قوّيناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا، فما عذرنا إلى ربنا وعند لقاء نبينا صلى الله عليه وآله وقد قتل فينا ولده وحبيبه وذريته ونسله...؟ أيّها القوم، ولّوا عليكم رجلاً منكم؛ فإنّه لابدّ لكم من أمير تفزعون إليه، وراية تحفّون بها أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم»[2].

ثم قام رفاعة بن شداد فخطب فيهم قائلاً: **«...أما بعد، فإنّ الله قد هداك لأصوب القول، ودعوت إلى أرشد الأمور، بدأت بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على نبيه صلى الله عليه وآله، ودعوت إلى جهاد الفاسقين، وإلى التوبة من الذنب العظيم، فمسموع منك، مستجابٌ لك مقبول قولك، قلت أولوا أمركم رجلاً منكم تفزعون إليه، وتحفّون برايته، وذلك رأيٌ قد رأينا مثل الذي رأيت، فإن تكن أنت ذلك الرجل فعندنا مرضياً، وفينا متنصّحاً، وفي جماعتنا محباً، وإن رأيت رأي أصحابنا ذلك ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وذا السابقة والقِدم، سليمان بن صرد المحمود في**

---

(١) فاطر: آية٣٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٥٢ـ٥٥٣؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٠٣ـ٢٠٤.

بأسه ودينه، والموثوق بحزمه، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم»[١]، ثم تكلّم عبد الله بن وال، وعبد الله بن سعد فحمدا الله وأثنيا عليه، وتكلما بكلامٍ مشابه إلى كلام رفاعة بن شداد، فذكرا فضل المسيب بن نجية، وذكرا سليمان بن صرد بسابقته، ورضاهما بتوليته[٢].

ثم تكلم سليمان بن صرد الخزاعيّ فقال: «**أثني على الله خيراً، وأحمد آلاءه وبلاءه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسوله، أما بعد، فإنّي والله لخائف ألّا يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة، وعظمت فيه الرزية، وشمل فيه الجور أولي الفضل من الشيعة لما هو خير، إنّا كنّا نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل نبينا، ونمنّيهم النصر، ونحثّهم على القدوم، فلما قدموا ونينا وعجزنا وادّهنا، وتربّصنا، وانتظرنا ما يكون، حتى قُتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعته من لحمه ودمه، إذ جعل يستصرخ فلا يُصرخ، ويسأل النصف فلا يعطاه، اتخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودرية للرماح، حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه، ألا أنهضوا، قد سخط ربكم فلا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله، والله ما أظنّه راضياً دون أن تناجزوا من قتله، أو تبيروا...**»[٣]، ثم قال اشحذوا السيوف، واركبوا الأسنّة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ . . .﴾[٤]، حتى تدعوا حين تدعون وتستنفرون[٥].

وبعد ذلك قام جماعة من أصحاب سليمان بن صرد الخزاعي، ووضعوا كلّ ما

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق.
(٤) الأنفال: آية٦٠.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٥٤؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٣.

يملكون تحت تصرف الثائرين؛ ومن هؤلاء خالد بن سعد بن نفيل، فأمر سليمان بن صرد الخزاعي أن توضع هذه الأموال عند عبد الله بن وال التيمي، لتزويد كلّ من لا يستطيع أن يجهّز نفسه للحرب[١].

اجتمعت الناس حول سليمان بن صرد، وكثر متبعوه من أهل الكوفة، ثم بدأ سليمان بالكتابة إلى الشيعة في الأمصار[٢]، فكتب إلى سعد بن حذيفة بن اليمان وكان في المدائن كتاباً يقول فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين سلام عليكم، أما بعد، فإنّ الدنيا دار قد أدبر منها ما كان معروفاً، وأقبل منها ما كان منكراً، وأصبحت قد تشنأت[٣] إلى ذوي الألباب، وأزمع[٤] الترحال منها عباد الله الأخيار، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بجزيل مثوبة عند الله لا يغنى، إنّ أولياء الله من إخوانكم وشيعة آل نبيكم نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم؛ دُعي فأجاب، ودعا فلم يُجَبْ، وأراد الرجعة فَحبُس، وسأل الأمان فَمُنع، وترك الناس فلم يتركوه، وعدوا عليه فقتلوه ثم سلبوه وجرّدوه ظلماً وعدواناً وغرة بالله وجهلاً، وبعين الله ما يبلون، وإلى الله ما يرجعون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون...**»[٥]، فرد سعد بن حذيفة على سليمان بن صرد كتاباً جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، إلى سليمان بن صرد من سعد بن حذيفة ومن قبله من

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٥٥؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٠٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٣.

(٢) الراوي، العراق في العصر الأموي، ص١٦٨.

(٣) تشنأت: أي مكروهة مبغضة. ينظر: أحمد زكي، صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصوره العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، (بيروت، لا.ت) ج٢، ص١٠٣.

(٤) وأزمع، أي أثبتت. أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب: ج٢، ص١٠٣.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٥٥ـ٥٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٣.

المؤمنين، سلام عليكم، أما بعد، قد قرأنا كتابك وفهمنا الذي دعوتنا إليه، من الأمر الذي عليه رأي الملأ من إخوانك، قد هديت لحظّك ويسرت لرشدك، ونحن جادّون مجدّون معدّون مسرجون ملجمون ننتظر الأمر ونستمع للداعي، فإذا جاء الصريخ أقبلنا ولم نعرج إن شاء الله والسلام»[١].

وكتب سليمان بن صرد إلى أهل البصرة، وكان كتابه موجّهاً إلى المثنى بن مخربة العبدي وكان الكتاب نسخةً من الكتاب الذي وجّهه إلى سعد بن حذيفة وأهل المدائن[٢]، فردّ المثنى بن مخربة على كتاب سليمان فقال: «**أما بعد، فقد قرأت كتابك، وأقرأته إخوانك فحمدوا رأيك واستجابوا لك، فنحن موافوك إن شاء الله للأجل الذي ضربت، وفي الموطن الذي ذكرت والسلام عليك**»[٣]، وأرفق مع الكتاب هذه الأبيات:

تبصّر كأنّي قد أتيتك معلماً ... على اتلع الهادي أجشّ هزيمِ
طويل القرى فهو السواء تقلّص ... ملحٌ على فأس اللجام أزومِ
بكل فتىً لا يملأ الروع نحره ... محسٍّ لعطن الحرب غير سئومِ
أخي ثقةٍ ينوى الإله بسعيه ... ضروبٍ بنصلِ السيف غير أثيمِ[٤]

ويجب أن نشير إلى أن المكان الذي كان متفقاً عليه أن تجتمع به وفود التوابين هو النخيلة في ربيع الآخر سنة ٦٥هـ/ ٦٨٦م[٥].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٥٧؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٠٦؛ زكي، أحمد، جمهرة رسائل العرب: ج٢، ص١٠٥.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٥٨؛ محمد مهدي، ثورة الحسين: ص٢٤٠.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٤.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٤٠.

وقام عبد الله بن يزيد الأنصاري[١] ـ وكان أميراً على الكوفة[٢] من قبل عبد الله ابن الزبير ـ بتشجيع التوابين على الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام، وفي هذه الأثناء أظهر التوابون أمرهم علانية للناس، وأخذوا يشترون السلاح ويتجهزون ظاهرين لا يخافون أحداً[٣]، لكن عبد الله بن يزيد طلب منهم تأخير الخروج؛ وذلك لغرض الاشتراك معهم في قتال عبيد الله بن زياد، وأخبرهم أنه سيرسل معهم جيشاً لمساعدتهم، فرفض سليمان بن صرد وقدّر الخروج في الموعد الذي كانوا قد اتفقوا عليه[٤].

وفي هذه الأيام وتحديداً في النصف من رمضان سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م، قدم المختار ابن أبي عبيد الثقفي الكوفة[٥]، وقد أخذ يدعو الناس لقتل قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وكان يقول: «**قد جئتكم من عند المهدي محمد بن الحنفية وزيراً أميناً**»[٦]، وكان يحرّض الناس على عدم الخروج مع سليمان بن صرد، ويقول لهم: «**إنما يريد سليمان أن يخرج بكم ليقتل نفسه ويقتل أنفسكم، ليس له بصر في الحرب ولا علم له بها**»[٧]، أما أمير

---

(١) عبد الله بن يزيد الأنصاري الأوسي، بايع بيعة الرضوان وعمره سبع عشرة سنة، شَهِد مع الإمام علي عليه السلام صفين والنهروان، ولي أمر الكوفة لابن الزبير، ثم عزله عنها، مات قبل السبعين للهجرة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٤٢١.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٦٠.

(٣) المصدر السابق: ص٥٦٢؛ الراوي، العراق في العصر الأموي، ص١٦٩.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٨٦؛ الراوي، العراق في العصر الأموي، ص١٦٩.

(٥) كان قدوم المختار بن ابي عبيد الثقفي الكوفة قبل قدوم عبد الله بن يزيد الانصاري والي الكوفة من قبل عبد الله بن الزبير بثمانية ايام. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٦٠؛ الراوي، العراق في العصر الاموي، ص١٦٩.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٦١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٩؛ الراوي، العراق العصر الأموي، ص١٦٩.

(٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٦١؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص١٠١.

الكوفة عبد الله بن يزيد الأنصاري فخطب قائلاً: «...**إنّ هؤلاء القوم يطلبون بدم الحسين**عليه السلام**، فرحم الله هؤلاء القوم آمنون فليخرجوا ظاهرين وليس إلى من قاتل الحسين أقبل إليهم ـ يعني ابن زياد ـ وأنا لهم ظهير هذا ابن زياد قاتل الحسين**عليه السلام**، وقاتل أخياركم وأمثالكم قد توجه إليكم، وقد فارقوا على ليلة من جسر منبج، والقتال والاستعداد إليه أولى من أن تجعلوا بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضاً، فيلقاكم عدوكم وقد ضعفتم وتلك أمنيته، وقد قَدِم عليكم أعدى خلق الله لكم، من ولّي عليكم هو وأبوه سبع سنين، لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين، هو الذي من قبله أتيتم والذي قتل من تنادون بدمه...**»[1].

ولما استهلّ هلال ربيع الآخر سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م خرج سليمان بن صرد في أصحابه إلى النخيلة، وبلغ ذلك عبد الله بن يزيد أمير الكوفة، فخرج هو وإبراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله وكان إبراهيم على خراج الكوفة من قبل ابن الزبير فحاولا أن يثنيا سليمان على عدم الخروج، والتمهّل في هذا الأمر، فرفض سليمان إلا قتال عبيد الله بن زياد، فكتب عبد الله بن يزيد كتاباً قال فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن يزيد إلى سليمان بن صرد ومن معه من المسلمين، سلام عليكم، أما بعد، فإنّ كتابي هذا إليكم كتابٌ ناصحٌ ذو إرعاء[2]، وكم من ناصح مستغش، وكم من غاشٍّ مستنصح محب، أنه بلغني أنكم تريدون المسير بالعدد اليسير إلى الجمع الكثير، وأنه من يرد أن ينقل الجبال عن مراتبها تكلّ معاوله، وينزع وهو مذموم العقل والفعل، يا قومنا لا تطمعوا عدوكم في أهل بلادكم، فإنكم خيار كلكم، ومتى ما يصيبكم عدوّكم يعلموا أنّكم أعلام مصركم، فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم...**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٥.
(٢) إرعاء: أرعى على أخيه أي أبقى عليه. زكي، أحمد، جمهرة رسائل العرب: ج٢، ص١٠٧.

يا قومنا إنّ أيدينا وأيديكم اليوم واحدة، وإنّ عدونا وعدوكم واحد ومتى تجتمع كلمتنا نظهر على عدونا، ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا...»[١].

لقد كان خروج سليمان بن صرد إلى معسكره بالنخيلة سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م، وعسكر بالنخيلة قرب الكوفة، فلما استهل هلال شهر ربيع الآخر من هذه السنة خرج في وجوه أصحابه، وكان قد واعدهم في تلك الليلة، وعندما دار بين أصحابه لم يعجبه العدد الذي خرج[٢]، ثم قام سليمان بن صرد بإرسال حكيم بن مفقذ الكندي في خيل وبعث الوليد بن غصين الكناني في خيلٍ أيضاً، وأمرهما أن يدخلا الكوفة وهما يناديان «**يا لثارات الحسين**»[٣].

وذكر الطبري «...**وكانا أول خلق الله دعوا: يا لثارات الحسين**»[٤]، ثم دخلوا المسجد ونادوا بشعارهم، واستجاب لهم أناس ممن لم يكن مع سليمان بن صرد ولم يكن في سجل الديوان[٥]، ويبدو أنّ الهتاف بهذا الشعار كان له وقعٌ كبير في نفوس الناس فبادروا متلهفين، ويذكر أنّ رجلاً من أهل الكوفة سمع النداء: يا لثارات الحسين ولم يكن هذا الرجل ممن كان يأتي جماعة ابن صرد ولا ممن سجل اسمه، فوثب وقد دعا بسلاحه وفرسه، فمنعته زوجته أن يلحق بالقوم، فردّ عليها قائلاً: «**إني سمعت داعي الله، فأنا مجيبه، أنا طالب بدم هذا الرجل حتى أموت، أو يقضي الله**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٩١ـ٥٩٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٥٥؛ زكي أحمد، جمرة رسائل العرب: ج٢، ص١٠٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٨٣؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٠٩.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٨٣؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢١٠.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٨٣.

(٥) المصدر السابق: ص٥٨٤؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢١٠؛ الراوي، العراق في العصر الأموي، ص١٦٩.

من أمري ما هو أحبّ إليه»[١]، وكان الناس على هذه الحال من بغضهم لبني أمية وانقيادهم لأخذ الثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام حتى اجتمع عند سليمان بن صرد أكثر ممن كان في عسكره[٢].

وعلى الرغم من هذه الاستجابة من الناس إلا أنّ عدد ما أصبح من الرجال في النخيلة كان أربعة آلاف، في حين أنّ الديوان كان قد أثبت على ستة عشر ألفاً[٣]، ولم يأتِ أصحابهم من البصرة، والمدائن في الموعد الذي كان قد اتفق عليه[٤].

تنفيذ الثورة.

بدأ سليمان بن صرد وأصحابه التهيؤ للمسير؛ لملاقاة جيش الشام الذي كان بقيادة عبيد الله بن زياد، وقد بدأ سليمان بإلقاء خطبة في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد، أيها الناس، فإنّ الله قد علم ما تنوون، وما خرجتم تطلبون، وإن للدنيا تجاراً، وللآخرة تجاراً، فإما تاجر الآخرة فساعٍ إليها، متنصبٌ يتطالبها، لا يشتري بها ثمناً، لا يُرى إلا قائماً وقاعداً، وراكعاً وساجداً، لا يطلب ذهباً ولا فضة، ولا دنيا ولا لذة، وإما تاجر الدنيا فمكبٌّ عليها، راكع فيها، ولا يبتغي بها بدلاً، فعليكم يرحمكم الله في وجوهكم هذا بطول الصلاة في جوف الليل، وبذكر الله كثيراً على كلّ حال...**»[٥]، ثم سار الثائرون عشية الجمعة لخمسٍ مضين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م[٦].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٨٣.
(٢) المصدر السابق: ص٥٨٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٤٠.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٨٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٤٠.
(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٨٨.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢١٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٥٥.

وتوجّه الجمع المقاتل إلى قبر الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء، وقد تخلّف عنهم أصحاب الهمم الواهنة، فلما وصل التوابون إلى القبر الشريف، صاحوا صيحة واحدة «**يا ربّ إنا قد خذلنا ابن بنت نبينا، فأغفر لنا ما مضى منّا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وأرحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين، وإنا نشهدك يا ربّ إنا على ما قد قتلوا عليه، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين**»[١]، ثم إنّهم أقاموا عند قبر الحسين عليه السلام يوماً وليلة، يصلون ويبكون، وقد زادهم ذلك حنقاً على من قتل الحسين عليه السلام[٢]، ثم فارق التوابون قبر الحسين عليه السلام بعد أن جدّدوا عهداً به، وساروا يقدمهم رؤساؤهم نحو الشام وعوف ابن عبد الله بن الأحمر شاعر الثورة يرتجز بالجيش الزاحف:

خـــرجن يلمعـــن بنـــا أرســـالاً عوابســـاً يحملننـــا أبطـــالا
نريـــد أن نلقـــى بهـــا الأ قيـــالا القاســـطين الخـــدر الطـــلالا
وقـــد رفضـــنا الأهـــل والأمـــوالا والخفـــرات البـــيض والحجـــالا
نرضي بها ذا النعم المفضالا[٣].

ويبدو أنّ هذه الثورة قد بلغت من النضج السياسي ذروته، إذ اتجهت بجيوشها المقاتلة نحو الشام، ولم تقصد أشخاص قتلة الحسين عليه السلام في الكوفة، فقد اعتبرت النظام الأموي، هو المُطالَبْ بدم الحسين عليه السلام لا القتلة أنفسهم[٤]، يقول محمد مهدي

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٨٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٤١؛ الريس، محمد ضياء الدين، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، ط٢، مطابع سجل العرب، (القاهرة، ١٩٦٩م): ص١١٢.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٩٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٥٦.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٩١؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢١٥ـ٢١٦؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص١٠١.
(٤) محمد حسين، الإمام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٢٨٩ـ٢٩٠.

شمس الدين: «**ولقد اعتبر التوابون أنّ المسؤول الأول والأهمّ عن قتل الحسين عليه السلام هو النظام وليس الأشخاص، وكانوا مصيبين في هذا الاعتقاد، ولذا توجّهوا إلى الشام، ولم يلقوا بالا إلى من في الكوفة من قتلة الحسين عليه السلام**»[١].

سار التوابون حتى وصلوا قرقيسيا[٢]، وكان بها زفر بن الحارث[٣] الكلابي، فبعث سليمان المسيب بن نجية فقال: «**ائت ابن عمك هذا فقل له: فليخرج إلينا سوقاً، فإنّا لسنا إيّاه نريد، إنما صمدن لهؤلاء المحلّين**»[٤]، فدخل المسيب بن نجية، على زفر بن الحارث وقال له: «**ممن تتحصّن؟ إنا والله ما إياكم نريد، وما اعترينا إلى شيء إلا أن تُعيننا على هؤلاء القوم الظلمة المحلّين، فاخرج لنا سوقاً، فإنّا لا نقيم بساحتكم إلا يوماً أو بعض يوم**»[٥]، ثم إنّ القوم تزوّدوا بما يصلح أمرهم، وارتحلوا عن قرقيسيا، وقد شيّعهم زفر بن الحارث بعض الطريق وأشار عليهم أن يصلوا مدينة عين الوردة[٦] قبل أن يصل إليها عدوهم، وإنّ ما بين قرقيسيا وعين الوردة فهو

---

(١) ثورة الحسين: ص٢٤٢.

(٢) قرقيسيا: وهي بلد على نهر الخابور، وعندها مصبّ الخابور في الفرات، فهي في ذلك مثلث بين الخابور والفرات. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٤، ص٣٢٨.

(٣) زفر بن الحارث بن عمرو بن معاذ الكلابي، أبو الهذيل أمير، من التابعين من الجزيرة كان كبير قيس في زمانه شهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان، أصبح أمير على أهل قسرين، شهد مرج رهط مع الضحاك بن قيس، وبعد قتل الأخير هرب إلى قرقيسيا، مات في خلافة عبد الملك بن مروان. ينظر: الزركلي، خير الدين، الإعلام، ط٣، (لا م، ١٩٦٩م): ج٣، ص٤٥.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٩٣؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٢٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٥٦.

(٥) المصدر السابق.

(٦) عين الوردة أو ما يسمى رأس العين: وهي مدينة مشهورة بالجزيرة، وكانت بها واقعة عين الوردة بين التوابين من أهل العراق والجيش الأموي من الشام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٤، ص١٨٠.

أمان لهم[١].

ثم سار القوم حتى وصلوا عين الوردة واستراحوا بها أياماً[٢]، وقد كان جيش الشام يسير باتجاههم، وكان عليه عبيد الله بن زياد، وهو أمير الجيش فضلاً عن أبرز قادة أهل الشام؛ وهم شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري، والحصين بن نمير السكوني[٣]، وكان عسكر شرحبيل يتقدم القوم، وكان المسيب بن نجية يتقدم جيش التوابين فالتقى المسيب بجيش شرحبيل بن ذي الكلاع وتقاتلوا حتى انهزم شرحبيل وأصحابه[٤].

وقد وصل الخبر إلى عبيد الله بن زياد، فسرّح لهم الحصين بن نمير في اثني عشر ألفاً، وكان ذلك يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى سنة ٦٥هـ/ ٦٨٦م[٥]، وعندما التقى الطرفان قام أصحاب الحصين فدعوا التوابين إلى الجماعة على مروان ابن الحكم، وقيل: عبد الملك بن مروان[٦]، وذكر الطبري أنهم التقوا أول خلافة عبد الملك بن مروان، فدعوهم لبيعته والدخول في طاعته، وقد دعاهم التوابون إلى

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٩٥؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٤٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٥٦؛ الريس، محمد ضياء الدين، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية: ص١١٢ـ١١٣.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٩٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٤٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٥٦.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٩٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٥٦.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٩٧؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٤٣.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٩٨؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٢٢ـ٢٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٤٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٥٣١؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٥٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب: ج١، ص٧٣.

(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧٩.

أن يدفعوا لهم عبيد الله بن زياد، وخلع عبد الملك بن مروان، ورفض كلّ طرف طلب الآخر، وحدث القتال بينهم وانتصر أصحاب سليمان بن صرد[١]، وفي اليوم الثاني قام عبيد الله بن زياد بإرسال شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري في ثمانية آلاف مدداً للحصين بن نمير، واستمرّ القتال بين الطرفين، ولم يكن حاجزاً بينهم سوى الصلاة[٢]، وفي اليوم الثالث وكان يوم الجمعة قدم أدهم بن محرز الباهلي مدداً للحصين وكثر القتل في أصحاب سليمان، وأحاط أهل الشام بالتوابين من كلّ جانب[٣]، فاستماتت التوابون وكسروا أجفان السيوف، وقتل قادتهم سليمان بن صرد، والمسيب بن نجية، وعبد الله بن سعد بن نفيل، وأخوه خالد بن سعد، وعبد الله بن وال البكري[٤]، وقد رأى رفاعة بن شداد ما أصبح عليه إخوانه فقاتلهم حتى المساء، ثم سار بأصحابه راجعاً[٥]، أما سعد بن حذيفة فقد جاء مع أصحابه من أهل المدائن، فلما عرف خبرهم رجع واستقبل أهل البصرة الذين يقودهم المثنى ابن مخربة، فأخبرهم وانتظروا وصول رفاعة بن شداد فاستقبلوهم، ثم رحل كلّ منهم إلى أهله[٦].

---

(١)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٩٨؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٢، ص٢٢٢.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٥٧.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٩٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٥٧.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٩٩؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٢٢ـ٢٢٣؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١١١؛ صائب عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص٥٣٦.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٦٠٥؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٢٤؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص١٠٣.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٦٠٥؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص١٠٣؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج٦، ص٣٥؛ صائب عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص٥٣٦.

«لقد كانت ثورة التوابين ثورةً استشهادية، ولم تكن لها أهداف اجتماعية واضحة إلا أنّها أثّرت في مجتمع الكوفة تأثيراً عميقاً؛ فقد عبّأت خطب قادة الثورة وشعاراتهم الجماهير في الكوفة للثورة على الحكم الأموي»[1].

(١) محمد مهدي، ثورة الحسين: ص٢٤٢؛ محمد حسين، الإمام الحسين عملاق الفكر الثوري، ص٢٩١.

الفصل الثالث

حركات المعارضة منذ حركة المختار الثقفي حتى عام (١٣٢هـ)

المبحث الأوَّل: حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي

المبحث الثاني: حركة عبد الله بن الزبير

المبحث الثالث: حركات المعارضة بعد عام الجماعة الثاني

المبحث الأوَّل

حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي

أولاً: خروج المختار وسيطرته على الكوفة

لقد سبقت الإشارة إلى بروز شخصية المختار الثقفي عندما نزل مسلم بن عقيل في داره، آخذاً البيعة للإمام الحسين عليه السلام من أهل الكوفة[1].

وتشير الروايات إلى أنّ المختار عمل جاهداً لأخذ البيعة للإمام الحسين عليه السلام وأنّه ناصح مسلماً ودعا إليه[2]، وأنّه تعاطف معه، وغضب لمصيره، فقد صرّح عند باب الفيل لأنصار الأمويين بقوله: «**أصبح رأيي مرتجناً لعظم خطيئتكم**»[3]، ويذكر الطبري أنّ عبد الرحمن بن أبي عمر الثقفي، وزائدة بن قُدامة الثقفي كانا في مجلس ابن زياد عندما وشى هانئ[4] بن أبي حية الوداعي بالمختار وقد أصرّ ابن زياد على

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٦١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف:ج٥،ص٢١٥؛الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٦٥ـ٥٧٠.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٧٠.

(٤) هانئ بن أبي حية، من أكثر المتشدّدين ضدّ الشيعة من أصحاب ابن زياد، يذكر أنّه كان فيمن شهد على حجر بن عدي، وفيمن حمل رأس مسلم بن عقيل إلى دمشق. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٧٠.

معاقبة المختار، وخاطبه بقوله[١]: «**أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل**»[٢]؟ وضربه بقضيبٍ كان بيده فشتر عينه، وسجنه مع وجوه الناس والذي أخلى سبيله وساطة صهره عبد الله بن عمر بن الخطاب، ويبدو أنّ ابن زياد أطلق سراحه مرغماً بعد أن وصلته رسالة من يزيد بن معاوية، فأمهله ثلاثة أيام ليترك الكوفة منفياً[٣]، وقد نقل أسماء بن خارجة الفزاري، وعروة بن المغيرة بن شعبة الثقفي أنّ المختار توعّد ابن زياد، فادّعى أنّه سيقتله، فعلّق أسماء على ذلك بقوله: «**يا أبا إسحق، فقد كانت تبلغنا عنك أشياء، فأما أن سمعنا منك هذا القول فما فيك مسمع**»[٤]، وبدأت بذلك مرحلة جديدة من حياة المختار.

وتوجّه المختار إلى مكة مباشرة، فقابل ابن الزبير؛ ليعرض عليه تعاونه وكان اللقاء الأول بينهما قد كشف للمختار رغبة ابن الزبير في العمل بسرّيةٍ وكتمان[٥]، وقد شهد المختار مع ابن الزبير الحصار الأول وأبلى فيه[٦].

وشهد له معاصروه بالشجاعة والإقدام[٧]، فوصفوه بأنه: «**من أحسن الناس بلاء وأعظمهم غناء**»، وأنه: «**لم ير أشد منه قط في قتاله**»، حتى أنّ ابن الزبير قال فيه: «**والله ما أبالي إذا قاتل معي المختار من لقيت**»، وظلّ على حاله تلك يحارب أمام أصحاب ابن

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٧٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٥ـ٢١٦؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٨٠.
(٤) الدينوري، الأخبار: ص٢٩٦.
(٥) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢١٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٧٣.
(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٧٥ـ٥٧٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٨.
(٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٧٥.

الزبير حتى رفع الحصار[١]، ثم أتصل المختار قبل خروجه من الحجاز بمحمد بن الحنفية، وحرص على استئذانه، وأشعره باتجاهه للطلب بدم الحسين عليه السلام، وتشير الروايات إلى أنّ ابن الحنفية لم يأمره ولم ينهه، وأنّ المختار فهم من ذلك أنّه أذن له، وتأكّد ظنّه حينما ودّعه ابن الحنفية وأوصاه بتقوى الله[٢]، وفي رواية أخرى أنّ ابن الحنفية قال للمختار: «**إنّي لأحبّ أن ينصرنا ربّنا ويهلك من سفك دماءنا، ولست أأمر بحرب ولا إراقة دم، فإنّه كفى بالله لنا ناصراً، ولحقّنا آخذاً، ولدمائنا طالباً**»[٣].

ويفهم من كلّ هذا، أنّ المختار فهم من مقابلته لابن الحنفية أنّه لا يمانع في الأخذ بثأر الحسين عليه السلام، وفي هذا تفسير لدعوة المختار المباشرة فور وصوله الكوفة، ولثقته بدعم ابن الحنفية له، وهذا يبرّر ما دار بين الوفد الكوفي وابن الحنفية فيما بعد[٤].

ثم ترك المختار الحجاز بعد موت يزيد بن معاوية بخمسةِ أشهر، أو بعد ذلك بأيام[٥]، فوصل الكوفة في ١٥ رمضان سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م[٦]، وبدأ المختار نشاطه ساعة وصولهِ[٧]، ثم أخذ يمرّ بالمساجد القبلية ليقابل الشيعة، فمرّ بمسجد السكون وكندة، ثمّ مرّ بالهمدانيين المعروفين بشدّة تشيعهم[٨]، وبلّغهم جميعاً تحيات (المهدي) محمد بن الحنفية، وبشرّهم بالنصر واليسر والفرج، وقد أوضح المختار أنّه قادم

---

(١) المصدر السابق: ص٥٧٥ـ٥٧٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٨.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٧٦، قال ابن الحنفية: «وقد أمرته بطاعة الله، وطاعة الله تجمع الخير كله وتنهى عن الشر كله».

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٣.

(٤) الساعدي، حيدر جعفر، محمد بن الحنفية حياته وحركته السياسية والدينية، ط١، مطبعة سرور، (قم، ٢٠٠٦م): ص٨٦.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٧٧.

(٦) المصدر السابق: ص٥٦٠.

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٧.

(٨) حيث قال: «إنّهم على رأي تستتر معه العيوب وتغفر الذنوب». أنظر: المصدر السابق.

«**لقتال المحلّين والطلب بدم أولاد النبيين**»، واختار أن يبدأ بالدعوة لدى أحد بني بداء من كندة والمعروفين بشدة تشيعهم، واسمه عبيدة بن عمر البدي[١]، وقد أدّت هذه الدعوة إلى إثارة مخاوف أشراف الكوفة من المتهمين بقتل الإمام الحسين عليه السلام[٢]، فحرّضوا عامل ابن الزبير في الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي على المختار، فألقى القبض عليه بعد خروج التوابين إلى عين الوردة، ومكث في السجن ثلاثة أشهر كاملة[٣]، ويبدو من أخبار المختار في السجن أنه لم تثبت عليه أية تهمة مباشرة[٤]، فقد كان الأمير يراه بريئاً، وأنه أخذ على الظنّة، وفي هذا تفسيرٌ لموقفه منه، فقد رفض اقتراح عامل الخراج إبراهيم بن محمد بن طلحة أن يشدّه كتافاً ويمشّيه حافياً، وكان المختار على ثقةٍ من تكتّم أصحابه على دعوته: فوالله بعد ما ظفرت أكفكم، ومن التزامهم به فقد ظلوا على اتصالٍ دائم به طوال مدة سجنه، فكانوا يزورونه ويعاهدونه[٥]، وقد كاتب المختار أصحاب سليمان بن صرد الخزاعيّ العائدين من عين الوردة، فأمتدحهم وحيّا جهدهم، وقد كاتب رفاعة بن شداد عارضاً عليه أمره: «**إنّي أنا الأمير المأمور، والأمير المأمون، وأمير الجيش وقاتل الجبارين، والمنتقم من أعداء الدين... أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وإلى**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٨.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٨٠ـ٥٨١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٩.

(٣) سجن المختار بعد خروج سليمان بن صرد إلى عين الوردة، وخرج من سجنه قبل وصول الأمير الجديد عبد الله بن مطيع العدوي في رمضان سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٩.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٨٠ـ٥٨١.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٨١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٣٩.

الطلب بدماء آل البيت، والدفع عن الضعفاء، وجهاد المحلّين»[١]، ويبدو أنّ الاستجابة بينهم كانت كبيرة، فقد ساندوه وأخذوا البيعة له، وهو في السجن[٢].

حاولت الشيعة إخراج المختار من السجن[٣]، لكنّه كره الخروج على وجه القهر لنواب الكوفة، واختار الطريقة التي تناسبه؛ إذ بعث غلامه (زربيا) بكتاب إلى صهره عبد الله بن عمر، أخبره فيه أنّه حُبس مظلوماً، وطلب منه أن يتوسط له ففعل، وكان خروج المختار هذه المرة مرهوناً بكفلاء يضمنونه، ويمين حلفها فكفله ثلاثة عشر كفيلاً من رؤوس أصحابه[٤]، وعندما عزل ابن الزبير عبيد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد، وأرسل عبد الله بن مطيع العدوي على الكوفة، عاود المختار نشاطه[٥].

وكان وصول ابن مطيع الى الكوفة في رمضان سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م، فأكرم الأمير السابق عبيد الله بن يزيد، وخيره بين البقاء في المصر أو الالتحاق بابن الزبير في الحجاز، فالتحق بابن الزبير[٦]، وقد اتبع ابن مطيع الشدّة مع الشيعة، وكان هذا سبباً لخروج المختار عليه[٧]، ثم واجه المختار الشكّ بدعوته، وكاد هذا الموقف أن يتسبب في انشقاق أصحابه، إذ إنّ جماعة من أصحابه شكّوا في أنه مرسل من ابن الحنفية، واتفقوا على الخروج إليه ليتأكدوا من صدق الدعوة وهم: عبد الرحمن بن شريح الشبامي، وسعيد بن منقذ الثوري، وسعر بن أبي سعر الحنفي، والأسود بن

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٦٠٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٤٤ـ٣٤٥.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٦٧.
(٣) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢١٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٦٧.
(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٥٦.
(٥) ابن سعد، الطبقات: ج٥، ص١٤٤ـ١٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٥٧.
(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٥٧.
(٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٨٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٠.

قراد الكندي، وقدامة بن مالك الجشمي[١]، وكان خروج هذه الجماعة من دون علم المختار؛ إذ خرجوا دون أن يشاوروه أو يستأذنوه، وتسرّب أمرهم إلى بقية أصحابه، فأخذوا ينتظرون عودتهم مما أضعف موقف المختار[٢].

وإنّ الوفد أستأذن ابن الحنفية بالدخول، وطلبوا الاختلاء به حال وصولهم[٣]، ففاتحه عبد الرحمن بن شريح بشكّهم في دعوة المختار؛ «**قد قدم علينا المختار بن أبي عبيد يزعم أنه قد جاءنا من تلقائكم، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، والطلب بدماء أهل البيت، والدفع عن الضعفاء، فبايعناه على ذلك... فإن أمرتنا بإتباعه اتبعناه، وإن نهيتنا اجتنباه**»[٤]، وأيّده أعضاء الوفد في ذلك فكان ردّ ابن الحنفية مُبهماً: «**فوالله لوددت أنّ الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه**»[٥].

كانت عودة الوفد إلى الكوفة قد دعمت مركز المختار، ورسّخت دعوته بين أصحابه، فجمعت صفوفهم، وصارت المجابهة بينهم وبين الأمير قريبة، وقد تطلب هذا استعداداً عسكرياً خاصاً، وإنّ رؤوس أصحابه اقترحوا عليه ضمّ إبراهيم بن مالك الأشتر؛ لأنه شاب مندفع[٦]، وابن رجل شريف، يمتاز بعشيرة ذات عزّ وعدد، فوالده من رؤوس أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام حتى أنّ الأخبار

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢٢١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٢ـ١٣؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٢٧.

(٢) المصدر السابق: ص٢٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٥٨.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢٢١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٣؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٢٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات: ج٥، ص٩٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص١٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٣٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٥٧.

(٥) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٢٨؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٣٥؛ ابن الأثير: ج٣، ص٣٥٨.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٩.

تسير إلى مشاركة إبراهيم بن الأشتر مع والده في صفين، وهو غلام[١]، ويذكر أنّ المختار أتفق مع أصحابه على الخروج في الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٦٦هـ/ ٦٨٥م[٢].

وقد اضطرّ المختار للخروج قبل الموعد المحدّد بليلتين؛ إذ إنّ صاحب الشرطة أخذ المختار وأقبل نحو القصر، فلحقته الشيعة واستنقذوه من أيديهم، واضطروا للخروج[٣]، فجمع المختار أصحابه، وطلب منهم أن يتنادوا بثارات الحسين، وبشعار «**يا منصور أمتْ**»[٤].

ويبيّن بعض من خرج مع المختار أنّه صلّى الفجر، فقرأ «**النازعات وعبس وتولى**»[٥]، وقد التقى المختار وأصحابه بقوات الأمير عبد الله بن مطيع العدوي، وكان النصر حليف المختار؛ حيث فرّ الأمير إلى القصر، وذلك في ١٦ ربيع الأول سنة ٦٦هـ/ ٦٨٥م، ودخل المختار الكوفة بعد ثلاثة أيام من القتال، وبدأ حصار القصر، ويذكر أنّ الأمير التجأ إلى القصر ومعه وجوه أهل الكوفة، وفيهم شبث بن ربعي التميمي، وأسماء بن خارجة الفزاري، وعبد الرحمن بن مخنف وعمرو بن حريث[٦]، وبعد أن شدّد عليهم الحصار اقترح شبث بن ربعي على الأمير أن يأخذ

---

(١) المنقري، أبو الفضل نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ/ ٨٢٧م)، وقعة صفين، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٤٥م): ص٤٤١.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٠؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٣١.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ج٥، ص١٤٧ـ١٤٨.

(٤) وهو الشعار الذي سبق لمسلم بن عقيل أن تنادى به مع أصحابه بالكوفة. الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٦٨ـ٣٦٩؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٠.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٣؛ والآيات الكريمات هي النازعات: الآيات١ـ٤٦، وعبس وتولى: الآيات ١ـ٤٢.

(٦) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٢٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٩ـ٣١.

الأمان لنفسه، ويلحق بعدها بابن الزبير، فوافقه أسماء بن خارجة الفزاري وعبد الرحمن بن مخنف، ثم خطب ابن مطيع بأصحابه عندما قرّر العودة لابن الزبير، وقد بيّن فيها موقف الأشراف بقوله: «**فقد علمت الذين صنعوا هذا... وقد علمت أنّما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغامكم واخساؤكم، ماعدا الرجل أو الرجلين، وأنّ أشرافكم وأهل الفضل فيكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين، وأنا مبلّغ ذلك صاحبي، ومعلّمه طاعتي**»[١].

ثانياً: الموقعة الأولى (بين أصحاب المختار وعبيد الله بن زياد)

لقد حاول الأمويون إعادة سيطرتهم على العراق بعد موقعة عين الوردة مع التوابين، وقد بقي قائدهم عبيد الله بن زياد عاماً كاملاً يحاول قمع عصيان زعيم القيسيين، زفر بن الحارث الكلابي الذي كان متحصّناً في قرقيسيا[٢]، وفي رمضان سنة ٦٦هـ/ ٦٨٦م جمع عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن زياد ثمانين ألفاً من أهل الشام، وطلب منه أن يسير إلى العراق والجزيرة[٣]، وذكر الطبري أنّ عبيد الله بن زياد نزل نصيبين[٤]، وأرسل مقدمته إلى الموصل، وعددها عشرون ألف رجل، فانسحب عاملها للمختار، عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني مع أصحابه وعددهم ألف رجل، منحازاً إلى تكريت، وكتب إلى المختار بذلك، فوافقه على ما قام به: «**قد أصبت في تنحّيك من بين يديه، إذ كنت لا تقوم لجيشه، فانظر لا تبرحن**

(١) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٢٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٩ـ٣١.

(٢) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٨ـ٣٩؛ المسعودي، التنبيه والإشراف: ص٢٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٤.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٣؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٥٦؛ المسعودي، التنبيه والإشراف: ص٢٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٤.

(٤) نصيبين: مدينة في ديار ربيعة، وهي من بلاد الجزيرة بين دجلة والفرات، تمّ فتحها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، وكانت مدينة رومية. الحميري، الروض المعطار: ص٥٧٧.

من موضعك ذلك حتى يأتيك أمري والسلام»[١].

فوقع اختيار المختار على يزيد بن أنس بن كلاب الأسدي؛ ليوجهه لملاقاة ابن زياد، ويزيد هو أحد سادات الكوفة وشجعانهم، وقد اشترط يزيد بن أنس على المختار أن يتركه لينتخب أصحابه بنفسه: «**أيها الأمير أضمم إليّ ثلاثة آلاف فارس انتخبهم أنا، وخلّيني والوجه الذي توجهني**»[٢]، ويبيّن الطبري أنّ يزيد بن أنس تخيّر سادات فرسان العرب، وفيهم رؤوس الأرباع، وعدد من قرّاء الكوفة، وأنّه عبّأهم على النحو التالي: النعمان بن عوف الأزدي على ربع المدينة، وعاصم بن قيس بن حبيب الهمداني على ربع تميم وهمدان، وورقاء بن عازب الأسدي على مذحج وأسد وسعر بن أبي سعر الحنفي على ربع كندة وربيعة[٣].

وقد اعتمد جيش ابن زياد على الإشاعات فأوهموا أهل الشام أن جيش المختار هم الموالي والعجم، وقد كان ربيعة بن المخارق يعبئ أصحابه من جيش ابن زياد مدعياً أنهم يقاتلون: «**العبيد الآباق، وقوماً قد تركوا الإسلام وخرجوا منه، ليست لهم تقية ولا ينطقون بالعربية**»[٤]، ويذكر عمرو بن مالك بن كثبة القيني ـ وكان في معسكر أهل الشام ـ أنّه دهش عندما اكتشف أنّ أصحاب المختار هم فرسان العرب من الكوفيين[٥]، وأنّ أصحاب يزيد بن أنس لم يتجاوزوا الثلاثة آلاف فارس، وأنّ ابن زياد أبدى استهانته بعددهم، ويبدو ذلك من استعداد المختار

---

(١)الطبري، تاريخ الأمم والملوك:ج٦، ص٣٣.

(٢) المصدر السابق: ص٣٩؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٤.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٩.

(٤) المصدر السابق: ص٤١ـ٤٢.

(٥) المصدر السابق: ص٤٢، ويعلق قائلاً: فوالله إنّي كنت أحسب ذلك كذلك حتى قاتلناهم.

لإرسال المدد ليزيد بن أنس[١]، وتتلخص الخطبة التي شرحها المختار ليزيد بن أنس بقوله: «**يا يزيد بن أنس، أنظر إذا لقيت العدوّ نهاراً، فلا تنظرهم إلى الليل، وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخّرها، وليكن خبرك عندي في كلّ يوم إنّي ممدّك، وإن لم تستمدّ؛ لأنه أشدّ لعضدك وأرعب لعدوك**»[٢]، وقد زوّد المختار يزيد بن أنس بكتاب إلى عامله على الموصل، عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني، يأمره فيه أن يطيع يزيد ابن أنس ويسمع منه، ويبين الطبري أن يزيد بن أنس وصل أرض الموصل في التاسع من ذي الحجة سنة ٦٦هـ/ ٦٨٦م، وأنه نزل على خمسة فراسخ من الموصل، ثم التقى بعبد الرحمن بن سعيد في ألف فارس، فأصبح مجموع ما معه أربعة آلاف، عبّأهم على الأرباع[٣]، أما عبيد الله بن زياد فقد عبّأ أصحابه متأخراً، فبعث ربيعة بن المخارق الغنوي في ثلاثة آلاف، وعبد الله بن حملة الخثعمي في ثلاثة آلاف، وجعل السابق منهما أميراً يتسلّم القيادة، فوصل ربيعة بن المخارق الغنوي مبكراً ونزل بأصحابه إزاء أصحاب يزيد بن أنس، وأمضى الجمعان الليل في التعبئة، وقد تصادف أن صبيحة ذلك اليوم كانت يوم الأضحى المبارك، العاشر من ذي الحجة سنة ٦٦هـ/ ٦٨٦م[٤].

وتبين الأخبار أن يزيد بن أنس اشتكى طوال الليل من علّة ألّمت به، لكنه ظلّ يطوف على أصحابه ويعبئهم، وأعلمهم أنّ أميرهم ورقاء بن عازب الأسدي إن حدث له حادث، وأنّه إن قتل ورقاء، فعبد الله بن ضمرة العذري يكون الأمير، فإن

---

(١) المصدر السابق: ص٣٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٥٨.

(٢) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٠؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٤.

(٣)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤١.

(٤) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٢؛ ابن خلدون، تاريخ: ج٣، ص٢٤.

قتل فسعر بن أبي سعر الحنفي، وجعل عبد الله بن ضمرة على ميمنته، وسعر بن أبي سعر على ميسرته، وورقاء بن عازب على خيله[١]، ويذكر الطبري عن رواية لأبي مخنف أحداث القتال عن شهودٍ عيان، وتبدو رواياته أقرب إلى تصوير الواقع إذ يبيّن أن القتال بدأ عند الفجر[٢]، وكان هجوم ميسرة أهل الكوفة على ميمنة أهل الشام عند الظهر مؤثراً، فأنهزم أهل الشام، وقتل ربيعة بن المخارق الغنوي، وأن مقتل ربيعة بن المخارق قد أضعف أهل الشام[٣]، وقد بدأ القتال في فجر اليوم التالي، فدارت الدائرة على أهل الشام، وقتل عبد الله بن حملة الخثعمي بيد خثعمي آخر من أصحاب يزيد بن أنس، وانتهب الكوفيون معسكر أهل الشام وأسروا ثلاثمائة منهم[٤]، وقد كان مصير الأسرى القتل حيث يذكر أن يزيد بن أنس أمر بقتلهم جميعاً.

وتذكر الأخبار أنّ العلّة اشتدّت عليه، وأنه كان يومئ بيده عاجزاً عن الكلام آمراً أصحابه بقتل الأسرى، وأنه توفي في آخر النهار، فصلّى عليه ابن عمه ورقاء بن عازب الأسدي، ثم سُوّي قبره بالأرض؛ لئلا يُعرف موضعه، وتولى ورقاء الإمارة حسب وصيته[٥]، ويبدو أن موت يزيد بن أنس كان نكبةً لجيش الكوفة[٦]، ويذكر

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٢؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٥٨؛ ابن خلدون، تاريخ: ج٣، ص٢٤.

(٢)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٢. ويذكر أنه كان على ميسرة أهل الشام عبد ربه السلمي.

(٣) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٥؛ ابن خلدون، تاريخ: ج٣، ص٢٤.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٢؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٥٨.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٢ـ٤٣؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٧٢.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٣؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٥٨.

الطبري أنّ ورقاء بن عازب الأسدي رأى تخوف أصحابه من عدد أهل الشام، ولاحظ تخلّف جماعة منهم فاستشارهم قائلاً: «**إنا إن لقيناهم اليوم كنا مخاطرين، فإن هُزمنا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا**»[١]، فوافقه أصحابه وأجمعوا على العودة، واتجهوا من فورهم إلى الكوفة عند الليل، أما ما يورده الدينوري من أنّ عبد الملك بن مروان سار بنفسه إليهم، وقابل يزيد بن أنس فهزمه وقتله وقتل معه أصحابه[٢]، فلا نجد ما يوثقه، ولا يناسب أحداث وأخبار الشام والعراق في تلك الحقبة.

وقد أدّى انقطاع أخبار يزيد بن أنس عن المختار إلى إضعاف موقفه بين أصحابه[٣]، فقد راجت إشاعات في الكوفة تتحدث عن مقتله وهزيمة أصحابه، لكن ذلك لم يدمْ طويلاً إذ وصله مبعوث من قبل والي المدائن فهدأ حاله، وأعاد لأصحابه ثقتهم به، وقرّر متابعة المواجهة مع أهل الشام، ويذكر الطبري أنّ المختار استدعى إبراهيم بن الأشتر وولاه الموصل، وعقد له على فرسان أهل الكوفة ورجالاتها وعددهم سبعة آلاف فارس[٤]، وطلب منه أن يضمّ أصحاب يزيد بن أنس، وأوصاه بجملة وصايا منها: «**طالعني بأخبارك في ليلك ونهارك، وإن رأيت أمراً لا طاقة لك به، فلا تلق بيدك إلى التهلكة، وأكتب إليّ حتى أمددك بالخيل والرجال**»[٥]، وقد عسكر ابن الأشتر عند حمام أعين[٦]، لكنه أضطر للعودة إلى الكوفة عندما استدعاه المختار على وجه السرعة، للقضاء على الحركة التي قادها

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٥.
(٢) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٩٣.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٣.
(٤) المصدر السابق: ص٥٧؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٥٩.
(٥) المصدر السابق؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٦١.
(٦) حمام أعين: موضع بالقرب من الكوفة منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص. ينظر: الحموي، معجم البلدان: ج٢، ص٢٩٩.

المتهمون بدم الإمام الحسين عليه السلام[١].

ثالثاً: موقعة جبّانة السبيع[٢].

ترتبط دراسة إدارة المختار بعلاقته بأشراف الكوفة، واصطدامه بهم فيما عرف بموقعة جبّانة السبيع، وهي أول احتجاج قاده أشراف الكوفة الموالون لعبد الله بن الزبير، والمتهمون بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وترتب على هذه الموقعة تغيّرٌ كبير في علاقات المختار بالكوفيين، تذكر الأخبار أنّ المختار قرب أشراف الكوفة، وأنهم كانوا «**جلساءه وحداثه**»[٣]، لقد أحس زعماء الكوفة بتدهور مصالحهم، وخاصّة من كان قد شارك في قتل الحسين عليه السلام وبدأوا يتجمعون في منزل زعيم قبيلة تميم شبث ابن ربعي الرياحي[٤]، يتذاكرون أمر المختار، مبدين احتجاجهم وغضبهم، ومن هؤلاء الأشراف عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني، وشمر بن ذي الجوشن الضبابي، وكعب بن أبي كعب الخثعمي وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي، وزحر بن قيس، ومحمد بن الأشعث بن قيس الكندي[٥].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥٧؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٥٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٧٢.

(٢) جبّانة السبيع: الجبّان في الأصل الصحراء وأهل الكوفة يسمون المقابر جبّانة، وبالكوفة محالّ تسمى بهذا الاسم، وتضاف إلى القبائل، ومنها جبّانة كندة، وجبّانة السبيع. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٢، ص٩٩

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٣.

(٤) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥٧؛ المسعودي، التنبيه والأشراف: ص٢٤٨.

(٥) أنظر كيف حاول المختار استرضاءه، بإعادته إلى المصر، وانتدب ابنه عبد الرحمن بن محمد الأشعث للتوسط بينهما. ينظر: البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٩ـ٤٠؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٤٨ـ٢٤٩.

وقد كانت دوافع هؤلاء الزعماء ومحاولاتهم للخروج على المختار ليست مشتركة[١]، فزحر بن قيس مثلاً هو أحد الذين حاربوا المختار مع عبد الله بن مطيع انتصاراً لابن الزبير[٢]، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني كان عاملاً للمختار على الموصل، وقد عزله المختار وجعله تحت إمرة يزيد بن أنس، فنقم على المختار لذلك[٣]، أما بقية المتآمرين من أهل الكوفة فقد عرفوا بولائهم لابن الزبير، وبقائهم مع ابن مطيع في القصر حينما حاصره المختار[٤].

وتعرض المصادر أكثر من سبب لاستيائهم وخروجهم؛ إذ توجد إشارة على أنهم احتجوا عليه لأنه كما قالوا: «**تآمر علينا بغير رضانا**»[٥]، ولشكّهم في صدق دعوته بأنه مبعوث ابن الحنفية إليهم ولموقفه من الموالي والعبيد: «**أطعم موالينا... وأخذ عبيدنا فحارب بهم يتامانا وأراملنا**»[٦]، ويعطي الدينوري لاستياء الأشراف صفة عرقية فبيّن أنّ المختار قَرَبَ أبناء العجم، وفرض لهم ولأولادهم الأعطيات، وقرّب مجالسهم، وباعد العرب وأقصاهم وحرمهم[٧]، ولم يعتمد المختار بالدرجة الأولى على الموالي والعبيد، وهذا ما بينه نصّ كلام عبد الرحمن بن مخنف الأزدي لأشراف الكوفة: «**مع الرجل والله شجعانكم من أنفسكم... ثم معه عبيدكم ومواليكم، وكلمة هؤلاء واحدة، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب وعداوة العجم**»[٨].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٣.
(٢) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٩١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢١.
(٣) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٣.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٤.
(٦) المصدر السابق: ج٦، ص٤٤.
(٧) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٩٩ـ٣٠٠.
(٨) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٣.

وقد خرج زعماء أهل الكوفة مغتنمين فرصة خروج إبراهيم بن الأشتر مع جيشه لملاقاة ابن زياد، وذلك يوم الأربعاء لست ليالٍ بقين من ذي الحجة، سنة ٦٦هـ/ ٦٨٦م[١]، وتشير المصادر إلى أنّ القبائل التي خرجت عليه هي: همدان وأكثرهم من الوداعيين، والأزد وكندة وبجيلة وخثعم وسلول ومضر وربيعة ومذحج وطيء وقد بدأ خروجهم في قطائع اليمن[٢]، فقد خرجت القبائل اليمانية في جبانة السبيع، فلما علم المختار بأمرهم أرسل رجلاً اسمه عمر بن ثوبة إلى ساباط المدائن، حيث يعسكر ابن الأشتر، وطلب إليه العودة في الحال، حيث وصل ابن ثوبة عند العِشاء وسلم ابن الأشتر الرسالة، فسار من ليلته حتى وصل الكوفة في اليوم الثالث لخروجه[٣].

وقد تجمعت القبائل اليمانية في جبانة السبيع عدا مذحج، إذ بقي عمرو بن الحجاج الزبيدي في جبانة مراد، لأنّه لا يأمنهم[٤]، وأتضح التفكك في التجمع اليمني مبكراً، فقد اختلف رؤوسهم فيمن يؤمّهم في جبانة السبيع[٥]، فاقترح عليهم سيد الأزد عبد الرحمن بن مخنف أن يؤمهم رفاعة بن شداد الفتياني، سيد قراء أهل المصر، فتراضوا على ذلك، واختلفوا أيضاً في خطّة القتال، فقد رأى شمر بن ذي

---

(١) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٥.

(٢) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٢؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٩٩ـ٣٠٠. أنظر كيف شفع المختار لعدي بن حاتم في قومه طي يوم الجبانة. ينظر: البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧١.

(٣) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٦١ـ٢٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٧٢.

(٤) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٥.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٦.

الجوشن أن يكون قتالهم مجتمعين تحت راياتهم، لكنهم لم يوافقوه، فأنفصل بقومه عنهم «**والله لا أقاتل في هذا المكان في سككٍ ضيقة ونقاتل من غير وجه**»[١].

وأما المختار فقد كان موقفه ضعيفاً، واعتمد على تسقط أخبارهم عن طريق عيونه[٢]، وعلى محاولة لكسب الوقت بانتظار وصول ابن الأشتر[٣]، فتحوّل إلى مفاوضتهم، وكانوا قد سدوا عليه أفواه السكك، ومنعوا الماء عنه وعن أصحابه وهم أربعة آلاف فقط[٤]، وكانت خطة المختار الاستفادة من تجمعهم في مكان واحد، ومن اختلافهم فيما بينهم، وبعد وصول إبراهيم بن الأشتر إلى الكوفة بدأ قمع الحركة، وكان معه سبعة آلاف فصار مجموع ما معهما أحد عشر ألفاً[٥]، فسير المختار إبراهيم بن الأشتر إلى مضر وربيعة في موضع الكناسة، وسار المختار إلى أهل اليمن بجبانة السبيع، خوفاً من أن يتعاطف ابن الأشتر مع قومه من اليمانية، ويبدو أنّ المختار حاول السيطرة على السكك التي تقود إلى جبانة السبيع، فأخذ معه أحمر بن شميط البجلي، وعبد الله بن كامل الشاكري، وطلب من قبيلة شبام أن تهاجم الجبانة من الخلف، ثم أحكم الحصار على أهل اليمن، فجعل أحمر بن شميط على السكة الموصلة إلى دور قومه، وجعل عبد الله بن كامل على السكة التي تلي الفرات[٦]، وقد كان لقبيلة نهد دور كبير في دعم أصحاب المختار المنهزمين أمام

---

(١) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٦.

(٢) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٦ـ٤٧.

(٣) الدينوري، الأخبار: ص٣٠٠؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٦٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٧٢.

(٤) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٦.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٧؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٦.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٨.

أهل اليمن[١]، وقد تنادت قبيلة شبام بثارات الحسين(عليه السلام) وتدافعت لقتال المحلّين من أهل اليمن، وإنّ هذا الشعار كان سبباً في إثارة مشاعر العثمانية[٢]، فتنادى يزيد بن عمير بن ذي مران الهمداني بثارات عثمان، فانفصل رفاعة بن شداد الفتياني عن قومه، والتحق بالمختار، وكانت نتيجة الهجوم على جبانة السبيع لصالح المختار، فقد قُتل عددٌ كبير من اليمانية وجُلّهم من همدان[٣]، وقتل من رؤوسهم عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني، وفرات بن زحر بن قيس، وعمرو ابن مخنف[٤].

أما محمد بن الأشعث الكندي فلا يذكر في الموقعة؛ لأنه كان خارج الكوفة في قصرٍ له مما يلي القادسية[٥]، وكان شبث بن ربعي يتزعم هجوم مضر وربيعة في الكناسة، ومعه حسان بن فائد العبسي[٦].

وذكر الطبري أنّ ابن الأشتر سار إليهم فلم يبدأهم بالقتال، ومنحهم فرصةً للتراجع[٧]، فلم يتجاوز قتلاهم بضعة عشر رجـلاً، ويُفهم من مجرى القتال أنّ

---

(١) المصدر السابق: ص٤٩.
(٢) المصدر السابق: ص٥١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٧.
(٣) لاحظ كيف تختلف الروايات بشأن رفاعة بن شداد، وهو من رؤوس أصحاب المختار إذ يذكر أنه قاتل مع أهل اليمن ضد المختار، وقُتل في الجبانة. ينظر: ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة ابن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، ط١، المجمع العلمي العراقي، مطبعة الآداب، (النجف، ١٩٦٧م) ج١، ص٢٣٢؛ وقيل ان رفاعة ابن شداد كان مع المختار. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥١.
(٤) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥٦ـ٥٧.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧١.
(٦) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٧٢.
(٧) الطبري، تاريخ الطبري: ج٦، ص٥٦ـ٥٧.

ربيعة لم تصمد، ولم يكن لهم دور كبير في الخروج على المختار[١]، وقد أمر المختار مناديه أن يبلغ أهل اليمن أن: «**من أغلق بابه فهو آمن، إلا من شرك في دماء آل محمد**»، ثم بعث لاستخراج الوداعيين من همدان، فأخذوا منهم مائتين وخمسين رجلاً ممن اتهموا بدم الحسين عليه السلام، فقتلوا عن آخرهم[٢].

لا ترد أية إشارة إلى عدد قتلى أصحاب المختار، وتختلف الروايات في مجموع مَنْ قُتِل من الخارجين عليه، حيث ذكر البلاذري أنهم سبعمائة وثمانون قتيلاً من همدان[٣]، وذكر الدينوري أنهم خمسمائة رجل، ومائتان من الأسرى[٤]، أما ابن اعثم فيذكر أنهم ستمائة وأربعون رجلاً[٥]، ويذكر الطبري أنّ السبب في تتبع المختار لقتلة الحسين عليه السلام يعود إلى غضب محمد بن الحنفية من تأخره في الأخذ بالثأر[٦]، أما ابن اعثم فذكر أنّ ابن الحنفية غضب من تقريب المختار لعمر بن سعد بن أبي وقاص وابنه حفص، وصرح بذلك لجلسائه[٧].

رابعاً: تتبع المختار لقتلة الإمام الحسين عليه السلام

لقد بدأ المختار تتبع قتلة الإمام الحسين عليه السلام بعد موقعة جبانة السبيع مباشرة[٨]،

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٠٠.

(٢) ينظر: قصيدة أعشى همدان، الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٠١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥٦ـ٥٧.

(٣) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٤.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٠١.

(٥) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٦٣.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٥٧.

(٧) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٦٣.

(٨) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥١؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٦٣.

فقد قتل مائتين وخمسين من الهمدانيين الذين اُتهموا بدم الحسين عليه السلام، ويبدو أنّ أصحاب المختار استغلوا هذا الموقف للانتقام من عداوات شخصية لهم، حتى قُتل ناس كثير ولم يشعر بهم المختار، ويبدو أنّ أكثرهم من الموالي[١]، وقد كلّف المختار أصحابه بطلب المتهمين، ويذكر البلاذري أنه قال لأصحابه: «**أطلبوا لي قتلة الحسين عليه السلام، فإنّه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم وأنقي المِصرَ منهم**»[٢]، وقد أشار المختار على أنّه ناصر آل محمد «**ما في ديننا تركُ قَومٍ قتلوا الحسين عليه السلام يمشون أحياء آمنين فبأس ناصر آل محمد أنا، أنا إذاً الكذاب كما تسموني**»[٣]، وقد أخذ المتهمون بقتل الحسين عليه السلام يفرّون من الكوفة خوفاً على دمائهم، وإن المختار كان يتوعدهم بأسمائهم؛ ومنهم[٤] عمرو بن الحجاج الزبيدي الذي كان قد نزل شريعة الفرات يوم عاشوراء، فقد هرب بعد جبانة السبيع مباشرة إلى الصحراء، فمات من العطش[٥]، وهرب أيضاً شمر بن ذي الجوشن الضبابي مع عدد من أصحابه وكان شمر المتهم الأول بقتل الحسين عليه السلام، وقد كان هدفاً لأصحاب المختار وإن المختار بعث غلامه (زربيا) مولى بجيلة مع عدد من أصحابه، لكن شمر احتال عليه وقتله، وألتحق بقريةٍ على شاطيء الفرات يُقال لها

---

(١) قُتل الموالي على يد شبث بن ربعي عند خروج المختار. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٥ـ٢٦.

(٢) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٧.

(٣) المصدر السابق؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥١؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٦٤.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٠٨.

(٥) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٦٩؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٠٣ـ٣٠٤؛ أنظر: عند مقتل الامام الحسين كيف حال عمرو بن الحجاج دون الحسين عليه السلام والماء. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤١٢.

(الكلتانية)، أهلها من النبط[١]، وإن شمر بن ذي الجوشن ضرب نبطياً من أهلها، وأمره بحمل كتاب منه إلى البصرة لمصعب بن الزبير، فأمتثل النبطي لأمره، لكنه أعترف لأبي عمرة كيسان صاحب حرس المختار بمكان شمر بن ذي الجوشن، ففاجأه أبو عمرة مع أصحابه وقتلوه، قتله أبو الكنود الهمداني، فأمر له المختار بعشرة آلاف درهم وولاه أرض حلوان[٢]، وقد تتبع أصحاب المختار قتلة الحسين عليه السلام خارج الكوفة، ذكر الطبري أنّ عبد الله بن أُسيد بن نزال الجهني، ومالك بن النسر البدي ـ وكانا متّهمين بسلب برنس الحسين عليه السلام ـ في القادسية ومعهما حمل بن مالك المحاربي، وإن المختار بعث إليهم بأبي النمران مالك بن عمرو النهدي فجاءه بهم، فحكم المختار على مالك بن النسر بقطع يديه ورجليه وهو ينظر إليها وحرقوه بالنار وقام سعر بن أبي سعر الحنفي، وعبد الله بن كامل الشاكري بقتل الجهني والمحاربي[٣]، ومن الذين قُتِلوا عبد الله بن شداد الجهني، وأبو عثمان بن خالد بن أسيد، وزيد بن رقاد وكان مُتهماً بقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل، وكان يتفاخر بين الكوفيين بأنه رمى عبد الله بن مسلم بسهم في جبهته، فأتى عبد الله بن كامل داره وأمر أصحابه أن يرموه بالنبل[٤]، ويذكر الطبري أن سعر بن أبي سعر الحنفي دل المختار على أصحاب الحلل؛ الذين نهبوا معسكر الحسين عليه السلام وهم: زياد بن مالك من بني ضبيعة، وعمران بن خالد القشيري، وعبد الرحمن بن

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٨.
(٢) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥٢ـ٥٣؛ ابن خلدون، تاريخ: ج٣، ص٢٥. لاحظ كيف يؤخر الدينوري مقتل شمر حتى خروج أحمر بن شميط إلى المذار لملاقاة مصعب بن الزبير. ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٠٥.
(٣)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥٧.
(٤) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧١.

أبي خشكارة البجلي، وعبد الله بن قيس الخولاني، فقُتِلوا في السوق[١]، وضربت أعناق عبد الله وعبد الرحمن أبنا صلخب، وعبد الله بن وهب بن عمرو الهمداني، ابن عم الشاعر أعشى همدان[٢]، ولاحق أصحاب المختار قتلة عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب؛ وهما خالد بن أُسيد الجهني، وأبو أسماء بشر الهمداني فقالوهما[٣].

ومن الذين قتلوا خولّي بن يزيد الأصبحي، الذي احتزّ رأس الحسين عليه السلام، وذكر الدينوري أنّ المختار بعث أبا عمرة كيسان مع معاذ بن هانئ بن عدي الكندي إلى دار خولّي بن يزيد وكان مختبئاً، فدلته امرأته على مكان زوجها بإشارة من يدها؛ لإنّها كانت تنقم عليه اشتراكه في قتل الحسين عليه السلام فقتله أمام بيته[٤]، وقد طلب أصحاب المختار قيس بن الأشعث الكندي، وكان ممن شارك في قتال الحسين عليه السلام وسلب خيام أهل البيت عليهم السلام، فاستجار بعبد الله بن كامل الشاكري، إلا أنّ المختار أضمر قتله، فاحتال على ابن كامل، وبعث أبا عمرة كيسان فأحضر قيس بن الأشعث من بيت ابن كامل، وقتله ثم استرضى ابن كامل[٥]، ومن الذين قتلهم المختار أيضاً حبيب بن صهبان الأسدي[٦]، وحكيم بن الطفيل الطائي وكان متهماً بقتل الحسين، إذ يذكر البلاذري أنه رمى الحسين عليه السلام بسهم في جبينه، وسلب ثياب

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥٨.

(٢) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧٠.

(٣) الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٥٥. في مقتل عبد الرحمن بن عقيل، ينظر: الخوارزمي: ج٢، ص٣٠.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٠٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧٠، ان كثير، البداية والنهاية: ج٢، ص٢٧٥.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٠٢.

(٦) خليفة بن خياط، طبقات خليفة، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (مصر، لا ت) ص٣٢٥.

العباس بن علي عليهما السلام وإنّ أصحاب المختار أخذوه، فتشفّع فيه عدي بن حاتم الطائي عند عبد الله بن كامل الشاكري، فقال له ابن كامل: «**أمره إلى الأمير المختار**»[١]، ويبدو أنّ أصحاب المختار قد خشوا أن يشفع فيه المختار؛ لمكانة عدي ابن حاتم عنده فقتلوه بالنبال قبل أن يصل إلى المختار، وقد طلب أصحاب المختار بعض المتهمين فلم يقدروا عليهم، ومنهم الشاعر مسكين بن عامر الدارمي، الذي لجأ إلى آذربيجان عند عاملها محمد بن عمير بن عطارد[٢]، كذلك فقد فَرَ منقذ بن مُرة العبدي إلى البصرة، وكان متهماً بقتل علي بن الحسين عليهما السلام، حيث لجأ إلى مصعب ابن الزبير وكان جريحاً فحماه[٣]، ولم يقدر أصحاب المختار على موسى بن طلحة وكان ممن شارك في قتال الحسين عليه السلام[٤]، كذلك الحال مع سنان بن أنس النخعي، وكان من المتهمين بقتل الحسين عليه السلام؛ إذ التجأ إلى مصعب بن الزبير في البصرة[٥]، وإنّ كلاً من عبد الله بن عروة الخثعمي، وحرملة بن كاهل الأسدي والذي كان متهماً بقتل عبد الله بن الحسين عليهما السلام، قد هربا إلى البصرة، لكنهما ماتا في الطريق من شدة العطش، فهدم المختار داريهما[٦]، واستطاع عبد الله بن عقبة

---

(١) أنساب: ج٥، ص٢٣٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٦٣ـ٦٤؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٥١.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٧٠.

(٣) المصدر السابق: ص٦٤. في استشهاد علي بن الحسين عليهما السلام. ينظر: الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٣٥.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص١٥٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧١، في استشهاد الحسين عليه السلام. ينظر: ابن طاووس، اللهوف: ص٧٩ـ٨٠.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧١، في استشهاد عبد الله بن الحسين عليه السلام وهو علي الأصغر، ينظر: ابن طاووس، اللهوف: ص٧٤؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٣٧.

الغنوي، والذي كان متهماً بقتل أبي بكر بن علي عليهما السلام أن يهرب إلى الجزيرة، فهدم المختار داره[١]، كذلك هرب شبث بن ربعي التميمي إلى البصرة، وكان ممن اشترك في قتال الحسين عليه السلام والتحق بمصعب بن الزبير، واستصرخه للقضاء على المختار[٢]، وطلب أيضاً عمرو بن الصبيح الصائدي، وكان يقول لقد طعنت بهم وما قتلت أحداً، فأخذه المختار وقتله[٣]، وطلب المختار محمد بن الأشعث الذي كان في قريته التي تقع جانب القادسية، فبعث إليه المختار بمائة فارس، عليهم عبد الله بن قراد الخثعمي وقيل حوشب البرسمي، فأحس بهم ابن الأشعث وهرب إلى البصرة عند ابن الزبير، فهدم المختار داره، وبنى بحجارتها دار حجر بن عدي الكندي[٤]، ومن الفارّين أيضاً من الكوفة أسماء بن خارجة الفزاري، وكان قد وقف إلى جانب عبيد الله بن زياد في مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة[٥]، ويبدو أن مكانته في المصر منعت المختار من قتله؛ تحرجاً من القيسيين من أهل الكوفة، فكان المختار يحتال ليتدبر أمره من دون أن يغضبهم، لكن أسماء بن خارجة خاف على دمه فاستخفى، وتذكر الروايات أنّ المختار قال يوماً لجلسائه ساجعاً إن ناراً ستحرق دار أسماء[٦]،

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧١، في استشهاد أبو بكر بن علي عليهما السلام. ينظر: الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٣٦ـ٣٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٩٤ـ٩٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧١.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٦٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧١ـ٣٧٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٢، ٢٧٢.

(٥) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٤١، وفي اشتراك أسماء بن خارجة في قتل مسلم بن عقيل وهانئ ابن عروة، ينظر: الاصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٦٦ـ٦٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٢٩٤ـ٣٠٠.

(٦) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٤١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٥٦.

فلما بلغ أسماء بن خارجة كلامه قال: «**أو سجع بي أبو إسحاق، لا قرار على زأر من الأسد**»[١]، ثم فرّ هارباً من الكوفة، فهدم المختار داره، وتبين الأخبار أن المشاعر القبلية كان لها الأثر الكبير في أمر أسماء، فقد تحرج القيسيون من أصحاب المختار عن هدم دار أسماء بن خارجة، فتولت ربيعة واليمن ذلك[٢]، وتشير الأخبار أنّ أسماء بن خارجة قد هلك بعد مدةٍ قصيرة من ترك الكوفة[٣]، وقد كانت قمة انتقام أصحاب المختار في مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص وابنه حفص بن عمر، ويذكر أنّ عمر بن سعد خشي على دمه عندما سيطر المختار على الكوفة، فاستجار بعبيد الله بن جعدة بن هبيرة؛ لمعرفته بأنّ المختار يقرّبه[٤]، فأجاره وحصل له على أمان من المختار هذا نصه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمان من المختار بن أبي عبيد لعمر بن سعد بن أبي وقاص، إنك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدك، لا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً ما سمعت وأطعت ولزمت رحلك وأهلك ومصرك، فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد ومن غيرهم من الناس فلا يعرض لهم إلا بخير، وقد شهد على الأمان السائب بن مالك الأشعري، وأحمر بن شميط، وعبد الله بن شداد، وعبد الله بن كامل الهمداني ويزيد بن أنس الأسدي، شهدوا على المختار بن أبي عبيد بالعهد والميثاق والأمان لعمر بن سعد وولده ألا يحدث حدثاً، وكفى بالله شهيداً والسلام**»[٥].

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٠٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٥٦.
(٢) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٤١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٥٦.
(٣) خليفة بن خياط، تاريخ: ج١، ص٢٦٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٣٥١.
(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٦٠ـ٦١.
(٥) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٤٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٥٣.

أما ما ذكره ابن اعثم من أنّ المختار يرتبط بصلة القرابة بعمر بن سعد، وأنّ عمر بن سعد هو زوج أخت المختار[١]، فهو خبر غير موثوق به، والأفضل استبعاده[٢]، ويبدو أنّ أصحاب المختار لم يكونوا راضين عن الأمان[٣]، وهذا سببٌ كافٍ لتجرد أصحاب المختار لقتله[٤].

ذكر البلاذري أنّ المختار قال يوماً لجلسائه: «**لأقتلنّ غداً رجلاً عظيم القدمين، غائر العينين مشرف الحاجبين، يَسرُّ مقتله المؤمنين والملائكة المقربين**»[٥]، ويبيّن الطبري أنّ المختار بعث أبا عمرة كيسان ليأتيه بعمر بن سعد، وسمح له بقتله إن هو قاوم[٦]، ويبدو أن عمر بن سعد حاول خداع أبي عمرة، فقتله، وأحضر رأسه إلى المختار، في حين يُبيّن الدينوري أنّ أبا عمرة أحضر عمر بن سعد وهو حي ثم قتله عند المختار[٧]، والخبر يخلط بينه وبين ابنه حفص بن عمر، لأنّ حفصاً كان عند المختار عندما أحضر أبو عمرة رأس أبيه[٨]، فلما رأى الرأس توجع لأبيه فقتله المختار ووضع رأسه إلى جنب رأس أبيه وقال: «**هذا بالحسين**عليه السلام، **وهذا بعلي بن الحسين**عليهما السلام **ولا سواء، فوالله لو قتلت ثلاثة أرباع قريش لما وفّوا بأنملة واحدة من**

---

(١) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٤٦.

(٢) يذكر أن عمر بن سعد كان متزوجاً من أخت عميرة بن شهاب الكندي وأنها ولدت له حفص ابن عمر. ينظر: البلاذري، أحمد بن يحيى الكندي وأنها ولدت له حفص بن عمر، فتوح البلدان، تعليق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٧٨): ص٢٨٣.

(٣) كان أصحاب المختار إذا مر بهم عمر بن سعد قالوا: هذا قاتل الحسين. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧١.

(٤) ذكر ابن عبد ربه أنّ المختار استأجر نوائح يبكين الحسين عند باب عمر بن سعد. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٥، ص١٥٣.

(٥) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢٣٧.

(٦)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٦٠.

(٧) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٠١.

(٨) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٦١.

أنامل الحسين عليه السلام»[١].

ثم صلب الجسدين منكّسين، ثم أحرق داري عمر بن سعد وابنه حفص، وبعث برأسيهما إلى مكة ومعهما ثلاثون ألف دينار[٢]، وكتب إلى محمد بن الحنفية: «**بسم الله الرحمن الرحيم، للمهدي محمد بن علي عليه السلام من المختار بن أبي عبيد الثقفي، سلام عليك، أمّا بعد، فإنّ الله تبارك وتعالى جعلني نعمة لأوليائكم ونقمة على قاتليكم وأعدائكم، فهم من فضل الله العزيز الحكيم بين قتيلٍ وأسيرٍ وشريد وطريد، فنحمد الله على ذلك أيها المهدي حمداً يستوجب منه المزيد في العاجلة، والمغفرة والرحمة في الآجلة، وقد وجّهت إليك برأسي عمر بن سعد وحفص بن عمر، وقد قتلت ممن شرك في دم الحسين عليه السلام، وأهل بيته من قَدِرت عليه ولن يعجز من بقي منهم، ولستُ ألتذّ بالمنام، ولا يسوغ لي الطعام، ولا يطيب لي الشراب ويبقى أحدٌ ممن شرك في دماء أهل بيتك، وأنا أرجو أن يقتل الله عبيد بن زياد وأصحابه المحلّين على يدي...**»[٣]، وعندما وصل الكتاب إلى محمد بن الحنفية قال: «**اللهمّ لا تنس هذا للمختار، واجزه عن أهل بيت نبيك أفضل الجزاء**»[٤].

وقد ذكر الإمام محمد بن جعفر الباقر عليهما السلام نقض المختار للعهد بقوله: «**أما أمان المختار لعمر بن سعد إلا أن يحدث، فإنّه أراد أن يدخل الخلاء فيحدث**»[٥].

ولا نجد ذكراً لمشاركة إبراهيم بن مالك الأشتر في تتبع قتلة الحسين عليه السلام، فقد

---

(١) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٤٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧٠؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ص١٢١.

(٢) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٤٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٧٦.

(٣) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٤٦؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٥٤.

(٤) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٤٧؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٥٥.

(٥) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٣٧٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٧٦.

بعثه المختار لملاقاة جيش عبيد الله بن زياد بعد يومين من موقعة جبانة السبيع[١]، وكان لكلٍ من عبد الله بن كامل الشاكري، وسعر بن أبي سعر الحنفي دورٌ كبير في ذلك، وترتبط أحداث تتبع قتلة الحسين عليه السلام بأبي عمرة كيسان، ويذكر أنه كان في مسلحة للمختار ضدّ أهل البصرة، فاستدعاه المختار ليشارك في المهمة[٢]، ومع أن أبا عمرة لم يشارك إلا في تتبع وقتل ثلاثة من القتلة، لكن هذه العملية ارتبطت به بشكلٍ كبير[٣]، فيذكر ابن منظور أنه كان إذا نزل البلاء ببعضهم قالوا: نزل بهم أبو عمرة، وفي هذا إشارة للبلاء من القتل والحرب، وكانت العرب تتشاءم به، فأبو عمرة في اللغة تعني الإقلال والجوع[٤].

خامساً: موقعة الخازر[٥] ومقتل عبيد الله بن زياد

بعد أن تمّ للمختار بن أبي عبيد الثقفي القضاء على حركة المناوئين له في موقعة جبّانة السبيع قام بإرسال إبراهيم بن مالك الأشتر لملاقاة جيش الشام والذي كان قد توجه نحو الموصل بقيادة عبيد الله بن زياد، وكان خروج إبراهيم بن الأشتر بعد موقعة (جبانة السبيع) بيومين، أي في اليوم السادس والعشرين من ذي الحجة سنة

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٨١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧٧.

(٢) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٣٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥٣.

(٣) شارك في قتل شمر بن ذي الجوشن الضبابي وخولّي بن يزيد الأصبحي، وعمر بن سعد بن أبي وقاص. ينظر: البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٥٧ـ٢٥٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٥٣ـ٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦٨ـ٣٧٠.

(٤) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب المحيط، تح: عبد الله العلايلي، دار لسان العرب، (بيروت، لا ت): ج٢، ص٨٨٤.

(٥) الخازر: وهو النهر بين الزاب الأعلى والموصل، ويصب في دجلة، وكانت عنده الوقعة بين عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن مالك الأشتر، وقد قُتِل فيها ابن زياد. ينظر: ياقوت، معجم البلدان: ج٢، ص٣٣٧.

٦٦هـ/ ٦٨٥م[١]، وقد وصل أرض الموصل في أوائل شهر محرم من سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م[٢]، وتختلف الروايات في تاريخ الموقعة، ففي رواية الطبري أنّها حدثت في أوائل سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م[٣]، في حين حدّدها المسعودي في العاشر من محرم سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م[٤]، ولا تتفق الأخبار أيضاً على عدد جيش ابن الأشتر، فأقل الأعداد اثنا عشر ألفاً[٥]، وأكثرها ثلاثون ألف رجل[٦]، في حين يذكرهم ابن اعثم على أنهم أقل من عشرين ألفاً[٧]، وإن العدد الأقرب إلى الصحة الذي كان يذكر أنّ جيش إبراهيم كان اثني عشر ألفاً، لأنه ينسجم مع المعلومات التي وصلتنا لعدد جيش إبراهيم بن الأشتر، وهو سبعة آلاف[٨]، مضافاً إليه ثلاثة آلاف هم مجموع جيش يزيد بن أنس الأسدي[٩]، ويبدو أن المختار أنتدب مع ابن الأشتر ألفين فقط من أصحابه، وكان أصحاب إبراهيم بن الأشتر جميعاً من العرب ومن مجرّبي الحرب[١٠]، وكان أكثر أصحابه من القبائل اليمانية حسب ما يفهم من التعبئة، كذلك الحال مع يزيد بن أنس، فهم أيضاً من العرب، من الفرسان المجرّبين الذين

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٨١.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧٩.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٨١.
(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف: ص٢٧٠.
(٥) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٤٨؛ المسعودي، التنبيه والإشراف: ص٢٧٠.
(٦) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٩٣.
(٧) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٧٧.
(٨) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٣.
(٩) المصدر السابق.
(١٠) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٤٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٨١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧٧.

انتخبهم بنفسه[١]، وبهذا يكون جيش ابن الأشتر من العرب المعروفين بفروسيتهم، وتبدو في أخبار الدينوري محاولة لإقحام الموالي وإعطائهم دوراً كبيراً في حركة المختار، وينسجم هذا مع ما أورده لموقعة الخازر، حيث أدّعى أنّ جيش ابن الأشتر من الموالي[٢]، وهي محاولة لتشويه أخبار أصحاب المختار، وقد خرج مع ابن الأشتر أمراء الأرباع في الكوفة، وكان قادته من العرب رتّبهم على النحو التالي: قيس بن طهفة النهدي على ربع أهل المدينة، وعبد الله بن حية الأسدي على ربع مذحج وأسد، والأسود بن قراد الكندي على ربع كندة وربيعة، وحبيب بن منقذ الهمداني على ربع تميم وهمدان[٣].

وكان لخروج إبراهيم بن الأشتر أهمية خاصة عند المختار، فقد سار معه مسافة طويلة خارج الكوفة ليودّعه[٤]، وقد أوصى ابن الأشتر بثلاث وصايا هي: «**خف الله في سرك وعلانيتك وجِدَّ السير، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم**»، وهذه الوصايا تدلّ على نظرة المختار العسكرية، وقد التزم بها ابن الأشتر، فاعتمد التعبئة والاستعداد مبكراً[٥]، ابتداء بنزوله في حمام أعين، ثم موقع الكحيل[٦]، وحتى تمركزه على الخازر عند قرية تسمى (بارثيا)[٧]، وكان ابن الأشتر يُرسل طليعة أمامه، ويبدو أنّ وصوله مبكراً أكسبه ميزة هامة، فاختار الموقع بعناية وبدأ يعبئ أصحابه،

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٩.
(٢) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٩٣ـ٢٩٥.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٨٧.
(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٨١.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٨١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧٨.
(٦) الكحيل: مدينة كبيرة بين الزابين فوق تكريت من الجانب الغربي. ينظر: ياقوت، معجم البلدان: ج٤، ص٢٤٠.
(٧) وهي كورة بين الموصل وأربيل. ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٩٥.

وقد أعطى ابن الأشتر للإعداد النفسي أهمية خاصة، إذ كان هذا اللقاء الفرصة الحقيقية للانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وفرصة المختار نفسه لتطبيق أهم نصوص دعوته التي جاء بها إلى الكوفيين، ويبدو أنّ هذا الأمر كان مبعث حماسة كبيرة، فقد جاء شريك بن جدير التغلبي على خيل ربيعة، ومعه ثلاثمائة من أصحابه للانتقام لدم الحسين عليه السلام[١]، وينقل الطبري صورةً مفصّلة لنشاط ابن الأشتر، حيث أظهر دوره الكبير في التعبئة النفسية قبل المعركة، ونقل الكثير من الخطب التي وجه فيها ابن الأشتر أصحابه للانتقام من قتلة الحسين عليه السلام، فيذكر في إحدى خطبه قائلاً: «**يا أنصار الدين، يا شيعة الحق، يا شرطة الله، هذا قاتل الحسين عليه السلام، فما الذي تبقون له جدكم واجتهادكم بعد؟ هذا الذي حال بين الحسين عليه السلام وبين ماء الفرات...**»[٢].

ويبدو أنّ إبراهيم بن الأشتر بذل جهداً كبيراً في تعبئة أصحابه، وأظهر مقدرةً عسكرية فائقة في القتال، وكان أمراؤه على الكتائب هم: سفيان بن يزيد الأزدي على الميمنة، وعلي بن مالك الجشمي على الميسرة، وعبد الرحمن بن عبد الله أخو إبراهيم لأمه على الخيل، والطفيل بن لقيط النخعي على الرجالة، وجعل رايته مع مزاحم بن مالك السكوني، ثم وزّع الخيل في الميمنة والقلب، ووضع أمراء الأرباع في أماكنهم، وأخذ يبعث طلائعه مستطلعاً أخبار ابن زياد[٣]، أما جيش عبيد الله بن زياد فقد تميّز بكثرته، إذ يذكر الطبري[٤] أنهم ثمانون ألفاً أو يزيدون، ويبدو أنّ ابن زياد اعتمد على هذه الميزة، حتى أنه استهان بنصيحة عمير بن الحباب له بالعجلة بالسير لاختيار

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٩٠ـ٩١.

(٢) المصدر السابق: ص٨٨.

(٣) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٤٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٧٨.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٣، بينما ذكرهم الدينوري على أنهم أربعون ألفاً، الأخبار الطوال: ص٢٩٣.

الموقع[١]، ويبدو أنّ طبيعة الترتيب القبلي لجيش عبيد الله بن زياد، عملت على هزيمته، إذ إنّ قبائل قيس كانت تكره آل مروان بسبب موقعة مرج راهط، وكان لذكرى هذه الموقعة دورٌ حاسم في نتائج المعركة، التي انتهت لصالح المختار[٢].

ويبدو من مسار الموقعة مشاعر أصحاب ابن الأشتر ورغبتهم في الانتقام[٣]، مما أدى إلى انهزام أصحاب ابن زياد عند حلول الظلام فلاحقهم جيش ابن الأشتر حتى غرق أكثرهم في نهر الخازر[٤]، فغنموا معسكرهم وكانت ذروة النصر بمقتل عبيد الله بن زياد، قيل: إنّ الذي قتله إبراهيم بن الأشتر[٥]، وفي روايةٍ أخرى أنّ شريك بن جدير هو الذي قتله[٦]، وقد قتل باقي أمراء أهل الشام، وهم شرحبيل ابن ذي الكلاع الحميري، والحصين بن نمير السكوني[٧].

لقد حقّق هذا الانتصار للمختار أهم شعارات دعوته، وهي الثأر للإمام الحسين عليه السلام، وأبعد عن الكوفة خطر أهل الشام، ويبدو أنّ عامّة أهل الكوفة اعتبروا ذلك نصراً لمصرهم لا للمختار وأصحابه، وقد قيلت العديد من القصائد لشعراء الكوفة وكان بعضهم من المعادين للمختار[٨]، ثم بعث إبراهيم بن الأشتر

---

(١) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٣١٣.

(٢) المصدر السابق؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص١٠٥.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٨٨.

(٤) المصدر السابق: ص٩٠؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٨١.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٩٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٩٠؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٨١ـ٢٨٢.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٩٠ـ٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٠ـ٣٨١؛ وقيل أن شريك بن جدير قد قتل الحصين بن تمير. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٩١.

(٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٨١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ص٩١.

(٨) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨١ـ٣٨٢.

برأس عبيد الله بن زياد، ورؤوس أصحابه إلى المختار، والذي قام بدوره بإرسالها إلى الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في المدينة، ويذكر أنّ الإمام لم يُرَ ضاحكاً يوماً منذ يوم كربلاء إلا في ذلك اليوم[١].

سادساً: نهاية المختار الثقفي

ولما تمّ لإبراهيم بن مالك الأشتر القضاء على جيش الشام، وقتل قادته واستيلائه على أرض الجزيرة أقام هناك، وكان المختار يكاتبه فلا يُجيبه[٢]، وإنّ المختار قد بقي في عدد قليل من أصحابه[٣]، مما أدى إلى انتهاز مصعب بن الزبير (أمير البصرة لأخيه عبد الله بن الزبير) الفرصة، وكاتب المهلب بن أبي صفرة وكان يحارب الخوارج، وبعث الكتاب مع محمد بن الأشعث الكندي؛ ليعطي للأمر أهمية كبيرة، «**سُر إليه فليس أحدٌ سواك، فإنّه إذا نظر إليك رسولاً علم أنّ الأمر جدّ فلا يتخلّف، وأنظر أن لا تفارقه أو تشخصه معك**»[٤]، فدعا المهلب بأصحابه وقال: «**إن الأزارقة لا يريدون إلا ما في أيديهم، والمختار يريد ما في أيديكم فذاك أولى بالدفع والنفع**»[٥]، ثم سار إلى البصرة فقرّبه مصعب، ثم أمر أصحابه بالتأهّب لحرب المختار، ثم خرج مصعب وخرج الناس معه من البصرة، وجعل على كل قبيلة رئيساً يقتدون برأيه، فجعل على قريش عمرو بن عبيد الله التيمي، وعلى تميم الأحنف بن قيس، وعلى أهل العالية من البصرة قيس بن الهيثم السلمي، وعلى بكر ابن وائل مسمع الجحدري، وعلى عبد قيس مالك بن المنذر بن الجارود العبدي،

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٨١.
(٢) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٨٤.
(٣) المصدر السابق.
(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٢.
(٥) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٨٥.

وعلى كندة محمد بن الأشعث، وعلى مذحج عبيد الله بن الحر الجعفي، وعلى قبائل الأزد المهلب بن أبي صفرة[١].

وقد بلغ المختار ذلك فقام خطيباً في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد يا أهل الكوفة، فإنّ أهل مصركم بغوا عليكم، كما قتلوا ابن بنت نبيكم، فقد كانوا لجأوا إلى أمثالهم من الفاسقين الملحدين، فاستعانوا بهم عليكم، لما علموا أنّ ابن الأشتر قد خذلني، وقعد عن نصرتي، وقد بلغني أنهم خرجوا من البصرة يريدون قتلي ليضمحل الحق وينتعش الباطل، وليقتلوا أولياء الله، فانهدوا مع الأحمر بن شميط البجلي، فإني أرجو أن يهلكهم الله تعالى على أيديكم**»[٢]، فأجابه الناس بالسمع والطاعة، وخرج بهم الأحمر بن شميط حتى عسكروا بحمام أعين، ثم رحل حتى نزل المذار[٣] في ثلاثة آلاف فارس، وأقبل مصعب بن الزبير قريباً منه في سبعة آلاف فارس وراجل من أهل البصرة والأهواز، وممن فر من الكوفة خوفاً من المختار[٤]، وجرى القتال بين الطرفين وكانت الغلبة لأصحاب ابن الزبير، وقُتل العديد من أصحاب المختار، وعلى رأسهم قائده أحمر بن شميط[٥]، وقد نزل المختار همٌّ عظيم؛ لِما لَقيَ أصحابه في موقعة المذار، فكتب إلى إبراهيم بن الأشتر فلم يجبه[٦]، ثم سار مصعب حتى نزل حروراء[٧]، وخرج المختار من الكوفة حتى نزل بإزائهم وقال:

---

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٧٧ـ٢٧٨.

(٢) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٨٦؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٧٨.

(٣) المذار: موضع بين واسط والبصرة، وكانت فيها وقعة لمصعب بن الزبير والأحمر بن شميط قائد جيش المختار. ينظر: الحموي، معجم البلدان: ج٤، ص٢٣٢.

(٤) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٨٦.

(٥) المصدر السابق: ص٢٨٧؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٧٩.

(٦) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٨٧؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٧٩.

(٧) حروراء: وهي قرية قرب الكوفة بينهما نصف فرسخ وقد نزلها الخوارج بعد التحكيم. أنظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٣٢.

«**يا له من يومٍ لو حضرني فيه ابن الأشتر، ووالله ما من الموت بدّ**»[١]، وجرى القتال بينهم، وقال رجلٌ من أصحاب المختار اسمه عبد الله بن عمرو النهدي: «**ويحكم أروني الموضع الذي فيه محمد بن الأشعث فإنّه والله ممن قاتل الحسين عليه السلام وشرك في دمه، وقال له: أيُّ قرابة بينك وبين رسول الله صلى الله عليه وآله**»[٢]، وقد كان عبد الله هذا ممن شارك في صفين مع الإمام علي عليه السلام ثم قال: «**اللهمّ إنّي على ما كنت عليه بصفين، اللهم وإنّي أبرأ ممن قتل آل بيت نبيك محمد صلى الله عليه وآله، أو قاتلهم أو شرك في دمائهم**»[٣]، ثم حمل على أصحاب مصعب وقتل محمد بن الأشعث ثم قُتل[٤].

تُعدّ موقعة المذار أول هزيمة ساحقة لأصحاب المختار خارج الكوفة، فقد قُتل فيها رؤوس أصحابه، ومنهم أحمر بن شميط البجلي، وعبد الله بن كامل الشاكري[٥].

وذكر الطبري أنّ عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي كان جالساً عند المختار عندما وصلته أنباء الهزيمة، فتألم المختار وتمنّى ميتة كريمة مثل ميتة أحمر بن شميط، وبدا أنّه سيستميت بالقتال[٦]، حيث بدأ يستعدّ للحصار ويتقوى بالأموال والسلاح في الوقت الذي انفتحت فيه الطريق إلى الكوفة أمام قوات مصعب بن الزبير، الذي أتخذ احتياطاتٍ عسكرية ذكية، تمثلت في قطع الطريق النهري أمام أصحاب

---

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٧٩.

(٢) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٨٨؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٧٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٤.

(٣) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٨٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٤.

(٤) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٨٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٤.

(٥) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٨٧؛ الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٧٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٣.

(٦)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٩٨.

المختار[١].

ذكر الطبري أنّ أصحاب المختار الذين تحصّنوا معه كانوا ثمانية آلاف فقط، وأنّ غيرهم هرب إلى الدور عندما وصلت جيوش مصعب إلى الكوفة[٢]، وقد أحكم مصعب الحصار على القصر، فوزّع أصحابه على الجبّانات، حيث بعث عبد الرحمن ابن الأشعث وزحر بن قيس إلى جبّانة مراد، وبعث عبيد الله بن الحر الجعفي إلى جبّانة الصائدين، وعباد بن الحصين إلى جبّانة كندة[٣]، وكانت المؤونة تصل المختار وأصحابه عن طريق السبخة، تحضّرها النساء لهم، فندب مصعب بن الزبير عبيد الله بن الحر الجعفي لملاحقة السقائين، الذين استغلوا فرصة عطش أصحاب المختار، وأخذوا يبيعون شربة الماء بدينار أو دينارين[٤]، وتختلف الروايات في مدة الحصار فقيل: إنّها أربعة أشهر[٥].

ذكر الدينوري أنّ مدّة الحصار كانت شهرين[٦]، وفي موضع آخر أنّها أربعون يوماً[٧]، وبما أنّ عدد المحاصرين في القصر كان كبيراً ولا تكفيهم المؤونة مما يرجّح أنّ مدة الحصار كانت أربعين يوماً، وهو أقل الاحتمالات الواردة، وكان المختار يخرج أثناء الحصار مع أصحابه فيقاتلون قتالاً ضعيفاً ثم يعودون إلى القصر[٨].

---

(١) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٥٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٩٩.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١١٥.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٥.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١١٥.
(٦) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٠٧.
(٧) المصدر السابق.
(٨) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٨٠.

ويذكر أنّ صبيان الكوفة والبصرة كانوا يرمونه بالحجارة والماء القذر، وأنه شعر بعدم جدوى الحصار، فقرّر الخروج مستميتاً، إلا أنّه تراجع عندما تكاثر عليه أصحاب مصعب، وحاول إثارة أصحابه ببلاغة مؤثرة، حيث خطبهم بقوله: «**إنّي والله إن قتلت لم تزدادوا إلا ضعفاً وذلاً، ثم إن أخذتم ذبحتم كما تُذبح الغنم، يقولون هذا قاتل أبي وهذا قاتل أخي، وإن قتلتم فمتم كِراماً**»[١]، إلا أنّهم لم يستجيبوا له، وبدت النهاية أمام المختار واضحة، فتحنّط وتطيّب وخرج مستميتاً في عدد من أصحابه «**لا أقل من سبعة عشر رجلاً، ولا أكثر من تسعة وعشيون**»[٢]، وقد رفض المختار أن يحكم في نفسه، وأندفع يقاتل حتى ألجأه أصحاب مصعب بن الزبير إلى حائط في سوق الزياتين وقتلوه مع أصحابه جميعاً[٣].

وتختلف الأخبار فيمن قتله فقيل: قتله أخوان من عنزة؛ اسمهما طرفة وطريفة وقيل: إنّ تميماً تدّعي أنّ قاتله تميمي، في حين تدّعي ربيعة أنّ قاتله طراف بن يزيد الحنفي[٤]، والمتّفق عليه أنه قُتل في اليوم الرابع عشر من رمضان سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م، وله من العمر سبعة وستون عاماً[٥]، وقد أمر مصعب بن الزبير بقطع يد المختار اليُمنى، ثم سمرها على حائط المسجد، وبعث الرأس مع رؤوس وجوه أصحابه إلى مكة، وقيل: إنّ عبد الله بن الزبير نصب الرؤوس بالأبطح[٦]، أما بخصوص الأسرى فإنّ أغلبهم تعرّض للقتل صبراً، وبدأ الكوفيون الموتورون يثأرون لقتلاهم[٧].

---

(١) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٦٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٠٨.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٠٧.
(٣) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٩١.
(٤) المصدر السابق: ص٢٩٢، وقيل: إنّ قاتله عبد الرحمن بن أسد. المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص١٠٦.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١١٦.
(٦) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٩٤.
(٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٨١.

وتبيّن أخبار الأسرى أنّهم حاولوا التأثير على مصعب بن الزبير؛ ليستبقيهم، فأراد مصعب أن يقتل الموالي ويستبقي العرب[١]، لكنه رضخ أزاء تصلّب أشراف الكوفة ووافق على قتلهم جميعاً[٢]، وتختلف الروايات في عدد المقتولين، فبعضها يذكر أنهم ستة آلاف[٣]، وهناك رواية تشير أنهم سبعة آلاف[٤]، وأقلّ الأعداد التي رويت سبعمائة[٥]، ثمّ أخذ مصعب بن الزبير يبعث إلى رؤوس أصحاب المختار العرب المتخفين في دورهم، ويقتلهم صبراً[٦]، ومنهم عبد الرحمن وعبد ربه ابنا حجر بن عدي الكندي، وعمران بن حذيفة بن اليمان[٧]، وكان لهذه المجزرة الجماعية أثرٌ سلبي خارج الكوفة، فقد أبدى عبد الله بن عمر بن الخطاب غضبه واحتجاجه: «**والله ما كانوا غنماً من تراث الزبير**»[٨]، كذلك توجّع عبد الله بن عباس للمختار ولمن قُتل معه[٩]، وقد قتل مصعب بن الزبير زوجة المختار عمرة بنت النعمان بن بشير الانصاري، وهي أول امرأة ضُربت عنقها صبراً في الإسلام، فكان لمقتلها أثرٌ مفجع حتى ذكرها الشعراء وتوجعوا لها، ومنهم عمر بن أبي ربيعة المخزومي[١٠]، وقد انتقلت الكوفة بعد ذلك إلى الزبيريين وتفرق أصحاب المختار.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٥.
(٢) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٥ـ٣٨٦.
(٣) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٠٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١١٦.
(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٨٤؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص١٠٧.
(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام: ج٣، ص٣٤.
(٦) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٧٠ـ٢٧١.
(٧) خليفة بن خياط، طبقات: ص٣٥٠.
(٨) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص٢٦٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٨.
(٩) ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٨.
(١٠) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٨٤؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٩٣.

المبحث الثاني

حركة عبد الله بن الزبير

أولاً: رفض ابن الزبير لخلافة يزيد

من الحركات الكبيرة المناوئة لدولة بني أمية، والتي أحرزت نجاحاً كبيراً على مساحاتٍ واسعة من البلاد الإسلامية حتى أوشكت بعد موت معاوية بن يزيد سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م[١]، أن تنتزع من بني أمية كلّ شيء، وترجع حركة ابن الزبير إلى بداية خلافة يزيد بن معاوية، عندما رفض عبد الله بن الزبير مبايعة يزيد، وخرج إلى مكة قبل خروج الإمام الحسين عليه السلام بليلة، ولقد تناولنا ذكر ذلك سابقاً، ومن الواضح أنّ ابن الزبير كان يحدّث نفسه في الوصول إلى الخلافة قبل مدة ليست بالقصيرة، وذلك منذ أن تولى يزيد بن معاوية الخلافة، والظاهر أنّ المسلمين لم يُحبوا يزيد وأفعاله.

فنما الأمل في نفس عبد الله بن الزبير، وأصبح من المعارضين في مكة لخلافة يزيد، ولكن كيف الوصول إلى الخلافة مع وجود الإمام الحسين عليه السلام، فعمد بكلّ وسيلة أن يترك الحسين عليه السلام الحجاز ويتّجه نحو العراق، إذ يذكر الطبري كلام ابن الزبير للإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه إلى العراق «**أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها**»[٢]، وقد كان ابن الزبير حريصاً على أن يلبّي الإمام الحسين عليه السلام نداءات

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٠٢؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٥، ص١٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٠٩؛ أبي الفداء، تاريخ أبي الفداء: ج١، ص٢٦٧.

(٢)الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٨٣؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٦٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٥.

أهل الكوفة، لا أملاً في نجاح ثورة الحسين عليه السلام ولا تأييداً له، ولكن ليُقتل الحسين عليه السلام فيخلو الجوّ له وقد أشار عبد الله بن عباس بذلك لابن الزبير[١]، كما صرّح الإمام الحسين عليه السلام حول ذلك بقوله: «**إنّ هذا ليس شيئ يؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنه ليس له من الأمر معي من شيء، وأن الناس لا يعدلونه بي، فودّ أنّي خرجت منها؛ لتخلو له**»[٢].

وذكر ابن اعثم قائلاً: «**ودخل الحسين إلى مكة، ففرح به أهلها فرحاً شديداً وجعلوا يختلفون إليه بكرةً وعشية، واشتدّ ذلك على عبد الله بن الزبير؛ لأنه كان قد طمع أن يبايعه أهل مكة، فلما قدم الحسين شقّ ذلك عليه**»[٣]، ويذكر المسعودي: «**وبلغ ابن الزبير أنه يريد ـ يعني الحسين ـ الخروج إلى الكوفة، وهو أثقل الناس عليه، قد غمّه مكانه بمكة، لأنّ الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين عليه السلام، فلم يكن شيء يؤتاه أحبّ إليه من شخوص الحسين عليه السلام عن مكة**»[٤].

وبعد خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق بدأ عبد الله بن الزبير يجمع الناس حوله من الناقمين على بني أمية، فوجّه عامل يزيد على المدينة عمرو بن سعيد بن العاص جيشاً إلى مكة بقيادة عمرو بن الزبير، وكان هواه مع بني أمية وجرى القتال بين الأخوين، ودارت الدائرة على جيش عمرو بن الزبير، وتمّ أسره ثم اقتيد إلى السجن حيث مات هناك تحت ضرب السياط، وبعدها اشتدّت شوكة ابن الزبير،

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٨٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٦٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧٦.

(٣) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٣.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٦٥.

وأصبح المنافس الأول لسلطان الأمويين[١].

وقد اتخذ ابن الزبير من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام سبباً لتحقيق أهدافه، واستغلّ واقعة كربلاء ذريعةً في استمالة العديد من المسلمين الذين رأوا في ذلك انتهاكاً لحرمة الإسلام والمسلمين، إذ يذكر ابن الأثير قائلاً: «**إنّ عبد الله بن الزبير أظهر الخلاف على يزيد، وبويع بمكة بعد قتل الحسين عليه السلام فإنه لما بلغه قتل الحسين عليه السلام قام في الناس وعظّم قتله، وعاب أهل الكوفة خاصة، وأهل العراق عامة...**»[٢]، وبدأ يحرّض الناس في الخروج على يزيد وقام فخطب بهم قائلاً بعد حمد الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وآله: «**إنّ أهل العراق غدراء فجراء إلا قليلاً، وإنّ أهل الكوفة شِرار أهل العراق، وإنّهم دعوا الحسين عليه السلام لينصروه ويولّوه عليهم، فلما قَدِمَ عليهم ثاروا عليه فقالوا: إما أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سُمية فيمضي فيك حكمه، وإما أن تحارب، فرأى والله أنّه هو وأصحابه قليل في كثير فإن كان الله لم يطلِع على الغيب أحداً أنه مقتول، ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله الحسين عليه السلام وأخزى قاتله، لعمري لقد كان من خلافهم إياه وعصيانهم بما كان في مثله واعظ أو ناه عنهم، ولكنه ما قرر نازل، وإذا أراد الله أمراً لم يدفع أفبعد الحسين عليه السلام نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً؟ لا والله، لا نراهم لذلك أهلاً، أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أحقُّ بهاهم فيه منهم، وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يبدل بالقرآن غيّاً، ولا بالبكاء من خشية الله حداً، ولا بالصيام شرب الخمر، ولا بالمجالس في حَلَق الذكر بكلاب الصيد ـ يعرض بيزيد ـ**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣٤٤ـ٣٤٧؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٥٣ـ١٥٨؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٥، ص١٢٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٥١ـ١٥٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٠٥.

فسوف يلقون غيّاً»[١].

وهناك إشارة إلى أن يزيد قد هادن ابن الزبير، وحاول استمالته، وأرسل إليه وفداً أخبرهم أن يأخذوه بالرفق والتأني؛ إذ قال: «...**وعليكم بالرفق والتأني، فإن أجاب إلى ذلك فخذوا بيعته وانصرفوا عنه، وإن أبى إلا العداوة وشقّ العصا فخوّفوه وحذرّوه ما نزل بالحسين بن علي، وليس الزبير عندي بأفضل من علي بن أبي طالب، ولا ابنه عبد الله بأفضل من الحسين بن علي...**»[٢].

ونفهم من كلام يزيد أنه لا يبالي بعد قتل الحسين عليه السلام أن يقتل أي شخص، مهما كانت مكانته في المجتمع الإسلامي، حتى لو استوجب ذلك غزو مكة[٣]، وهذا ما حدث فعلاً، ويذكر الدكتور علي إبراهيم حسن أن يزيد كان مصمماً على أن يواجه ابن الزبير كما واجه الحسين عليه السلام من قبل[٤]، وبعد أن هدّد الوفد ابن الزبير بغزو مكة إن لم يبايع ردّ عليهم المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان حاضراً عند ابن الزبير بكلام موجز، أوضح فيه عدم انقيادهم لأمر يزيد، وأوضح بأن، خلافته غير شرعية «**والله ما كان أبوه أمير المؤمنين، وقد قتل وسفك دماء المؤمنين، وقد قتل ابن بنت رسول رب العالمين**»[٥].

وبعد أن تشاجر الطرفان وارتفعت الأصوات بينهم لم يُجبهم ابن الزبير إلى ما أرادوا، رجعوا إلى يزيد فأخبروه بامتناعه عن البيعة، فأمهله وأخذ يتأنّى في أمره[٦]،

---

(١) المصدر السابق.
(٢) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٥٠.
(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧٢.
(٤) التاريخ الإسلامي: ص٢٨٦.
(٥) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٥٢.
(٦) المصدر السابق ؛ علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام: ص٢٨٦.

ويقول لأصحابه: «**ويحكم! إني قتلت بالأمس الحسين بن علي، وأقتل اليوم عبد الله ابن الزبير! أخاف أن تشعث عليَّ العامة، ولا يحتمل ذلك لي ويستنغص عليَّ أمري**»[١]، ثم تحرجت الأحوال وثار أهل المدينة بتحريض من عبد الله بن الزبير[٢]، وقد تناولنا ذلك في أحداث موقعة الحرة وما جرى بعد ذلك من انتهاك الحرمات.

ثانياً: حصار مكة

ولما فرغ مسلم بن عقبة المرّي من قتال أهل المدينة ونهبها استخلف عليها روح ابن زنباغ الجذامي، وقيل: عمر بن محرز الأشجعي[٣]، وتوجّه نحو مكة، وقد بايع أهلها وأهل الحجاز عبد الله بن الزبير[٤].

وما كاد جيش الشام أن يصل إلى مكة حتى مات قائدهم مسلم بن عقبة المري في المشلل بالقرب من مكة[٥]، وقد استخلف على القيادة الحصين بن نمير السكوني، فسار الحصين حتى قدم مكة في ٢٦ محرم سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م[٦]، وقد اجتمع مع ابن

---

(١) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٥٢ـ١٥٣.

(٢) علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام: ص٢٨٦.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٩٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٧.

(٤) البسوي، المعرفة والتاريخ: ص٣٢٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٩٧؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٦٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٧؛ الريس، محمد ضياء الدين، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية: ص١٩.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٩٦؛ ويذكر ابن قتيبة أنه مات بقديد. ينظر: الإمامة والسياسة (منسوب إليه): ج٢، ص٢٢٣. وقديد موضع قرب مكة. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٤، ص٣٥٥.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٩٧؛ أبي حنيفة، المناقب والمثالب: ص٢٩٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٦؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: ج١، ص٣٣٤؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية: ص١٢٩.

الزبير الفارّون من المدينة بعد موقعة الحرة، وجماعة من الخوارج النجدية وكان عليهم نجدة بن عامر الحنفي، ولم يكن رأيهم مع ابن الزبير لكنهم جاءوا مدافعين عن البيت[١].

ثم حاصر أهل الشام مكة، وقاموا يقاتلون أهلها ومن أنضمّ إليهم بقية شهر محرم وصفر كله، وفي الثالث من ربيع الأول سنة (٦٤هـ/ ٦٨٤م) أخذوا يرمون البيت الحرام بالمجانيق المنصوبة على جبل أبي قُبيس، وأحرقوه بالنار[٢]، وذكر المسعودي: «...**فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت، ورمي مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات، وانهدمت الكعبة واحترقت الأبنية...**»[٣].

وظل أهل الشام يحاصرون مكة ويرمونها بالمجانيق حتى بلغهم نعي يزيد بن معاوية[٤]، فتوقّفوا عن القتال، وأرسل الحصين إلى عبد الله بن الزبير يطلب مهادنته[٥]، ويذكر الطبري بقوله: «**بينما الحصين بن نمير يقاتل ابن الزبير إذ جاء موت يزيد، فصاح بهم ابن الزبير، قائلاً: إنّ طاغيتكم قد هلك، فمن شاء منكم أن يدخل**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٩٧؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٦؛ علي إبراهيم، تاريخ الإسلام العام: ص٢٨٧ـ٢٨٨.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧٥؛ وقد سُمي هذا الحصار بالحصار الأول. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٩٨؛ ابن الوردي، تاريخ: ج١، ص٣٣٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٨؛ الشافعي، سمط النجوم العوالي: ج٣، ص٢٠٥ـ٢٠٦.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٨١.

(٤) مات يزيد بن معاوية بقرية من قرى حمص يقال لها حوارين في ١٤ ربيع الأول سنة (٦٤هـ/ ٦٨٤م). ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٩٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص٢٠٩.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٩.

فيما دخل فيه الناس فليفعل، ومن كره فليلحق بشآمه، فأخذوا عليه يقاتلونه»[١]، وعندما علم الحصين وأصحابه بموت يزيد طلبوا الدخول إلى المسجد ثم الانصراف ففتحت لهم أبواب المسجد ودخلوا إليه[٢]، وخاطب الحصين عبد الله بن الزبير هامساً فقال: «**إن يكُ هذا الرجل قد هلك فأنت أحقّ الناس بهذا الأمر، هلمّ نبايعك، ثم اخرج معي إلى الشام، فإنّ هذا الجند الذي معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان...**»[٣]. وطلب الحصين من ابن الزبير أن تُهدر الدماء التي كانت بينهم فقال ابن الزبير: «**أنا أهدر تلك الدماء أما والله لا أرضى أن أقتل بكل رجل عشرة**»[٤].

وكان الحصين يكلم ابن الزبير سرّاً ويكلّمه ابن الزبير جهراً، فقال الحصين: «**قبّح الله من يعدّك بعد هذه داهياً قط أو أديباً قد كنت أظنّ أنّ لك رأياً، ألا أراني أكلمك سِراً وتكلمني جهراً، وأدعوك إلى الخلافة وتعدني القتل والهلكة**»[٥]، وعلى أثر ذلك انصرف الحصين مع جنوده إلى الشام، وقد بويع معاوية بن يزيد بالخلافة وبويع عبد الله بن الزبير بالخلافة بالحجاز[٦].

وقد أشار الدكتور طه حسين إلى حصار ابن الزبير قائلاً: «**وكان في حصار ابن الزبير بمكة والمضي في هذا الحصار حتى يستسلم ابن الزبير مُقنع ليزيد وأصحابه،**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٠١.

(٢) المصدر السابق؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٦٦، وينفرد ابن قتيبة بقوله: «أن ابن الزبير لم يسمح لأهل الشام بدخول المسجد الحرام». أنظر: الإمامة والسياسة: ج٢، ص٢٣٢.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٠٢؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٦٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٠٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٩.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٠٢؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٥، ص١٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣١٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٩.

ولكن جيش يزيد أبى إلا أن ينتهك حرمة مكة كما انتهك حرمة المدينة، وأسخط يزيد على نفسه بذلك أهل الحجاز وعامة المسلمين، كما أسخطهم بقتل الحسين عليه السلام»[١].

ثالثاً: البيعة لابن الزبير

بعد وفاة يزيد بن معاوية استخلف ابنه معاوية بن يزيد وذلك في ربيع الأول سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م[٢]، فلبث فترة عن الناس، ثم خرج بعد ذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد، فإني قد نظرت في أمركم فضعفت عنه، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستةِ عمر، فلم أجدها، فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا له من أحببتم، ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس، وتغيّب حتى مات**»[٣]، وذكر المسعودي قائلاً: «**وملك معاوية ابن يزيد بن معاوية بعد أبيه، فكانت أيامه أربعين يوماً إلى أن مات، وقيل: شهرين وقيل: غير ذلك... ولما حضرته الوفاة اجتمعت إليه بنو أمية فقالوا له: أعهد إلى من رأيت من أهل بيتك، فقال: والله ما ذقت حلاوة خلافتكم فكيف أتقلد وزرها وتتعجلون أنتم حلاوتها وأتعجل مرارتها؟ اللهم أني بريء منها متخلٍّ عنها...**»[٤].

ويذكر أنه لم يقم بشيء من أمور الخلافة «**...ولما استخلف كان مريضاً إلى أن مات، ولم يخرج إلى الباب، ولا فعل شيئاً من الأمور، ولا صلى بالناس وكانت مدة خلافته أربعين يوماً، وقيل: شهرين، وقيل: ثلاثة أشهر... وقال ما أصبت من حلاوتها فَلِمَ أتحمل مراراتها؟**»[٥].

---

(١) طه حسين، الفتنة الكبرى: ج٢، ص٢٤٧.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٠١؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٥، ص١٤٠.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٣٠ـ٥٣١.
(٤) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٨٢.
(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص٢١١.

ومن هنا يتبين لنا أنّ معاوية بن يزيد، أراد إتباع المبدأ الإسلامي ولم يقبل بالوراثة والذي يدل على ذلك قوله حينما خطب الناس قائلاً: «**أيها الناس، فإنا بلينا بكم وبليتم بنا، فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وإنّ جدي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله، وأحق في الإسلام، سابق المسلمين وأول المؤمنين، وابن عمّ رسول رب العالمين وأبا بقية خاتم المرسلين...**»[١].

أما أهل الحجاز فقد بايعوا لعبد الله بن الزبير فور سماعهم بوفاة يزيد بن معاوية وتابعت الحجاز كلّ من اليمامة واليمن وبقية الجزيرة العربية في بيعتها لابن الزبير[٢]، وبعد خلو مركز الخلافة بوفاة معاوية الثاني[٣]، توجه جماعة من أهل مصر إلى الحجاز وبايعوا لابن الزبير، فأرسل إليهم عبد الرحمن بن جحدم الفهري[٤] والياً عليها فدخلها في شعبان سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م، ودخل معه مصر جماعة من الخوارج[٥]، من الذين كانت لهم علاقة حسنة بعبد الله بن الزبير؛ إذ كانوا يدافعون عن مكة ضد الجيش الشامي الذي كان محاصراً لها بقيادة الحصين بن نمير السكوني[٦].

أما في العراق فقد كان الوالي آنذاك عبيد الله بن زياد[٧]، وكان مقيماً في البصرة

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٠١.

(٣) كانت وفاة معاوية بن يزيد بعد أبيه بأربعين يوماً. أنظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٠٣.

(٤) هو عبد الرحمن بن عقبة بن أياس بن الحرث بن أسد بن جحدم الفهري، والي مصر من قبل عبدالله بن الزبير أخرجه منها مروان بن الحكم بعد مصالحته على أن يخرج إلى مكة بماله وأهله وكتاب أمان إلى أهل مصر. أنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج١، ص١٦٥.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٩٧.

(٧) المصدر السابق: ص٥٠٣، ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٦٦.

وخليفته على الكوفة عمرو بن حريث، وحين علم عبيد الله بن زياد بهلاك يزيد بن معاوية، نادى بالصلاة جامعة، وخطب في أهل البصرة قائلاً: «**وإن يزيد قد توفي واختلف الناس بالشام، وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً وأعرضهم فناءً وأغنى الناس وأوسعهم بلاداً فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترضونه لدينكم وجماعتكم... فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجة، وما يستغني الناس عنكم**»[١]. فأجابوه قائلين: «**نحن راضون بك حتى يجتمع الناس**»[٢]، فبسط عبيد الله بن زياد يده فبايعه أهل البصرة ثم انصرفوا عنه يمسحون أيديهم بالحيطان ويقولون: أيظنّ ابن مرجانة أنا ننقاد اليه في الجماعة والفرقة، ثم أرسل عبيد الله رسولاً إلى أهل الكوفة يطلب بيعتهم، فأبوا عليه[٣]، وحينما سمع أهل البصرة برفض أهل الكوفة لبيعة عبيد الله بن زياد خالفوه أيضاً ورفضوا بيعته، فخافهم على نفسه واستجار بمسعود بن عمرو سيد الازد في البصرة، فأجاره حتى هرب إلى الشام[٤]، واتفق أهل البصرة على اختيار عبد الله بن الحارث[٥] والياً عليهم[٦].

أما أهل الكوفة فعند سماعهم بهلاك يزيد بن معاوية قاموا بطرد عمرو بن حريث خليفة عبيد الله بن زياد عليهم[٧]، واتفقوا على تولية عامر بن مسعود

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٠٤.

(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة: ج١، ص٢٥٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٠٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٢٠.

(٤) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٦٧.

(٥) هو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب بن هاشم، أمه هند بنت أبي سفيان، ولد على عهد النبي صلى الله عليه وآله يكنى أبا محمد كان ثقةً كثير الحديث، ولاه ابن الزبير البصرة ثم عزله بعد سنة، وقد خرج عبد الله هارباً في أيام الحجاج إلى عمان، فمات فيها سنة ٧٩هـ/ ٦٩٩م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٢٩ـ٣١؛ الزركلي، خير الدين، الإعلام، ط٣، (لا م، ١٩٦٩م): ج٤، ص٧٧.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٢٢.

(٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٢٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٢٠.

القرشي[١]، حيث قام عامر بن مسعود بأخذ البيعة لعبد الله بن الزبير[٢].

وهكذا نرى أن عبيد الله بن زياد عجز عن ضبط أمور البصرة والكوفة عندما أختلّ الأمر في الشام، ونجا بنفسه هارباً من ثورة أعدائه الكثيرين، ثم كتب عبد الله ابن الزبير إلى أنس بن مالك أن يصلي بأهل البصرة والياً عليهم من قبله[٣]، كما أرسل إلى الكوفة عبد الله بن يزيد الأنصاري[٤].

وقد ذكرنا ذلك في أحداث حركة التوابين، واستمرت أوضاع العراق على هذا الحال حتى بعث عبد الله بن الزبير أخاه مصعب فحاز العراق له[٥].

وعلى الرغم من أنّ الشام مركز الحكم الأموي لفترة طويلة، وأنّ أغلب سكانه من القبائل اليمانية المؤيدة لهم، وصاحبة اليد في تأسيس هذا الحكم في عهد معاوية الأول، فقد أعلنت بيعتها لابن الزبير؛ وذلك لخلو مركز الخلافة من شخصية تستطيع الوقوف بوجه ابن الزبير، كما أنّ قبائل الشام كانت منقسمة إلى فئتين (قيسية ويمانية) وكانت القيسية حانقة على الأمويين؛ لتقريبهم أهل اليمن، لهذا أعلن زعيم القيسية في الشام الضحاك بن قيس الفهري تأييده لعبد الله بن الزبير، فبعث الأخير إليه بعهده[٦]، وأصبح الضحاك بن قيس ممثلاً له في الشام[٧].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٢٤.

(٢) المصدر السابق: ص٥٢٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٢٥.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٢٨.

(٤) المصدر السابق: ص٥٢٩.

(٥) ابن اعثم، الفتوح: ج٥، ص١٩٧ـ١٩٨.

(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج٢، ص٢٣٦. ينظر: حول أسباب بيعة أهل الشام لعبد الله بن الزبير، سناء كاظم حسن، حسان بن مالك بن بحدل الكلبي ودوره في العصر الأموي رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، ابن رشد، (بغداد، ٢٠٠٤م): ص٨٩ـ٩٠.

(٧) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، (منسوب إليه): ج٢، ص٢٣٦.

وفي حمص أعلن النعمان بن بشير الأنصاري بيعته لابن الزبير[١] لإيمان النعمان بأحقية ابن الزبير بالخلافة[٢]، أما فلسطين فقد كانت تحت ولاية حسان بن مالك بن بحدل الكلبي بالرغم من أنّ سكانها من قبيلة جذام، وعندما أعلن ابن الزبير نفسه خليفةً في مكة أرسل ناتل بن قيس الجذامي والياً على فلسطين والذي كان عنده آنذاك، وقال له: «**أكفني فلسطين بما فيها من قومك جذام**»[٣]، فلما وصل إلى فلسطين أرسل إلى حسان بن مالك الكلبي قائلاً: «**إما أن تخرج وإما أن أدخل عليك فأقتلك**»[٤]، وبهذا أصبحت فلسطين تابعة لابن الزبير، وكان سبب ميل ناتل بن قيس الجذامي إلى ابن الزبير يرجع إلى الصداقة التي بينهما[٥]، وربما هو ناتج عن إحساسه بتجاهل الأمويين له بتوليتهم فلسطين موطن قبيلة جذام إلى حسان بن مالك الكلبي[٦]، أما قنسرين فقد كانت تحت أمرة سعيد بن مالك بن بحدل الكلبي أخي حسان على الرغم من أنها مركز تجمع قبائل قيس، مما جعلها تحنق على الكلبيين وتنتظر الفرصة المواتية للتخلص من آل بحدل والأمويين وهذا ما حصل فعلاً بعد وفاة يزيد بن معاوية مما جعل زفر بن الحارث الكلابي يستغل هذه الظروف فيطرد سعيد بن مالك بن بحدل ويعلن بيعته لابن الزبير[٧]، وكانت نتيجة هذا الاختلاف بين أهل الشام حدوث وقعة مرج راهط بين الضحاك بن قيس

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٣١؛ كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٧، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٧م): ص١٣٠.

(٢) البلاذري، أنساب الاشراف: ج٥، ص١١ـ١٢.

(٣) المصدر السابق: ص١٢٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الاصفهاني، الأغاني: ج١٩، ص١٣٩.

(٦) سناء كاظم، حسان بن مالك بن بحدل ودوره السياسي في العصر الأموي، ص٩٢.

(٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٣٥.

الفهري ومروان بن الحكم[١] الذي بويع بالخلافة أثناء مؤتمر الجابية[٢] وكان النصر حليف مروان، ويذكر الطبري ذلك قائلاً: «...**وقتلت قيس بمرج راهط مقتلة لم يقتل مثلها في موطن قط**»[٣]، ولم تصل إمدادات ابن الزبير للدفاع عن ملكه، وقتل النعمان بن بشير وهرب زفر بن الحارث الكلابي، ولم تنصرهم دار الخلافة بمكة[٤]، وعادت الأحداث لتصبّ في مصلحة ابن الزبير؛ حيث خرج التوابون من الكوفة لمقاتلة أهل الشام وفي العام نفسه توفي مروان بن الحكم وخلفه ابنه عبد الملك، ثم سيطر المختار على الكوفة وأرسل جيشاً لمحاربة جيش الشام بقيادة عبيد الله بن زياد فأنتصر أهل الكوفة، وقتل ابن زياد وعدد كبير من قواده، ثم استعان أهل الكوفة بمصعب بن الزبير لمقاتلة المختار، فدارت الدائرة على المختار، وسيطر مصعب على الكوفة، وقد أوردنا ذكر ذلك في صفحات سابقة.

ورغم أنّ الأوضاع كانت تسير إلى جانب ابن الزبير إلا أنه لم يتحرّك ولو لمرة واحدة ليحمي ما حصل عليه من ملك، ولم تكن صلته طيبة حتى بأقرب الناس إليه حيث قام بعزل أخيه مصعب الذي كسب إليه قلوب العراقيين[٥]، فضلاً عن أن علاقته لم تكن طيبة مع بني هاشم أصحاب القاعدة الشعبية الكبيرة، وأظهر لهم العداوة والبغضاء[٦]، ولم يعمل على استمالة بعض الأمويين وشقّ صفوفهم بعد

---

(١) بويع مروان بن الحكم بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م.ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٣٠؛ ابن الكازروني، مختصر تاريخ: ص٨٨.

(٢) الجابية: هي قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيرون من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمال حوران. ينظر: الحموي، معجم البلدان: ج٢، ص٩١.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٥٣٤.

(٤) المصدر السابق: ص٥٣٥ـ٥٤١.

(٥) المصدر السابق: ص١١٧.

(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٨٢.

مبايعة يحيى بن سعيد بن العاص له والانضمام لمعسكره[١].

وعندما قدم أهل العراق للحج مع مصعب بن الزبير سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م[٢]، والذي خاطب أخاه قائلاً: «**يا أمير المؤمنين قد جئتك برؤساء أهل العراق وأشرافهم، كلّ مطاع في قومه وهم الذين سارعوا إلى بيعتك، وقاموا بإحياء دعوتك، ونابذوا أهل معصيتك، وسعوا في قطع عدوّك فأعطهم من هذا المال**»[٣]، فقال عبد الله: «**جئتني بعبيد أهل العراق وتأمرني أن أعطيهم مال الله، لا أفعل وأيم الله لوددت أن أصرّفهم كما تصرّف الدنانير بالدراهم، عشرة من هؤلاء برجل من أهل الشام، فقال رجل: علقناك وعلقت أهل الشام**»[٤].

ويبدو أنّ موقف أهل العراق قد تغير بعد هذه الحادثة، ولذلك كتبوا إلى عبد الملك ابن مروان بعد انصرافهم من ابن الزبير مباشرةً[٥]، وبعد أن التقى مصعب بن الزبير بجيش الشام الذي كان بقيادة عبد الملك بن مروان في منطقة مسكن[٦] خذله أهل الكوفة[٧]. وذكر الطبري روايةً مرسلة عن عروة بن المغيرة بن شعبة: «**قال عروة بن المغيرة بن شعبة: فخرج يسير متكئاً ـ يعني مصعب بن الزبير ـ على عرف دابته ثم تصفح الناس يميناً وشمالاً فوقعت عينه عليَّ، فقال: يا عروة، إلي فدنوت منه، فقال: أخبرني عن الحسين بن علي عليهما السلام كيف صنع بإبائه النزول على حُكم ابن زياد**

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٦٢ـ١٦٣.
(٢) المصدر السابق: ص١٥٠.
(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج٢، ص٢٤٥.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) مسكن: موضع على نهر الدجيل عند دير الجاثليق، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير، فقتل مصعب وقبره هناك، وقتل معه إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي. ينظر: الحموي، معجم البلدان: ج٤، ص٢٦٤ـ٢٦٥.
(٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١١.

وعزمه عن الحرب؟فقلت: قال الحسين:

إنّ الألى بالطفّ من آلِ هاشِمٍ تأسّوا فسنّوا للكرام التأسّيا

قال: فعلمت أنه لا يريم حتى يقتل»[١]. ثم جرى القتال بين الطرفين عند دير الجاثليق[٢] سنة ٧١هـ/ ٦٩٠م، وكان النصر حليف عبد الملك بن مروان، حيث قتل مصعب بن الزبير، وبايع أهل العراق لعبد الملك بن مروان[٣].

ثم وجّه عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال عبد الله بن الزبير وذلك في سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م[٤]، وقد بقي الحجاج محاصراً لابن الزبير في مكة ستة أشهر، حتى دخلت سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م، وفيها قتل ابن الزبير وبايع أهل مكة لعبد الملك بن مروان[٥].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٥٦.

(٢) دير الجاثليق: هو دير قديم البناء يقع في منطقة مسكن قريب بغداد في غربي دجلة، وهو في رأس الحد بين السواد وأرض تكريت، وعنده كانت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير... وعنده قتل مصعب بن الزبير، فقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

لقد أورث المصرين حزناً وذلةً قتيل بدير الجاثليق مقيمُ
فما قتلت في الله بكر بن وائل ولا صدقت عند اللقاء تميمُ
فلو كان في قيس تعطف حوله كتائب يعلي حميمها ويدومُ
ولكنه ضاع الزمان ولم يكن بها مضري يوم ذاك كريمُ
جزى الله كوفياً بذاك ملامة وبصريهم إن الكريم كريمُ

الحموي، معجم البلدان: ج٢، ص٥٠٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٢؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول: ص١١٢؛ القلقشندي، مآثر الأنافة: ج١، ص١٢٩.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٧٤؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٣٣٧.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٨٧ـ١٩٠؛ ابن اعثم، الفتوح: ج٦، ص٣٣٩ـ٣٤٢؛ ابن الأثير: ج٤، ص٢٣ـ٢٥؛ القلقشندي، مآثر الأنافة: ج١، ص١٣٠.

المبحث الثالث

حركات المعارضة بعد عام الجماعة الثاني

أولاً: حركة مطرف بن المغيرة (٧٧هـ/ ٦٩٦م)

حينما أصبح الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق من قبل عبد الملك بن مروان وذلك في سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م[١]، دخل الكوفة وألقى فيها خطبته الشهيرة قائلاً: «**يا أهل العراق، ويا أهل الشقاق والنفاق والمراق ومساوئ الأخلاق، إنّ أمير المؤمنين نثر كنانته فجمعها عوداً عوداً، فوجدني أمرّها عوداً وأصعبها كسراً، فرماكم بي، وإنه قلّدني عليكم سوطاً وسيفاً، فسقط السوط وبقي السيف، وتكلم بكلام كثير فيه توعد وتهديد**»[٢].

وذكر المسعودي إحدى خطب الحجاج حيث يقول: «...**إني والله لأرى أبصاراً طامحة، وأعناقاً متطاولة، ورؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإنّي أنا صاحبها، كأني أنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى**»[٣].

ويشير الدكتور علي إبراهيم حسن موضحاً خطبة الحجاج هذه بقوله: «**وهذه الخطبة تبيّن سياسة الشدّة التي اعتزم الحجاج أن ينتهجها مع أهل العراق، فقد نشر بينهم حكماً عرفياً عسكرياً، وأسرف في القتل، فكان يأخذ بالريبة والظنّة، ويقتل قوماً ليرهب آخرين، وإنه ما ترك محتجاً على فعل إلا قضى عليه، وما كان يذكر أنه أجرأ**

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٩١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٧٨.
(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٩١.
(٣) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص١٣٤.

الناس على سفك الدماء...»[١].

لقد أدّت هذه السياسة إلى ثورة رجل من أهل بيت عرف بإخلاصه للدولة الأموية هو مطرف بن المغيرة بن شعبة[٢]، فلما وليَّ مطرف المدائن صعد المنبر، ثم قال: «**أيها الناس، إنّ الأمير الحجاج ـ أصلحه الله ـ قد ولاني عليكم وأمرني بالحكم بالحق والعدل في السيرة، فإن عملت بما أمرني به فأنا أسعد الناس، وإن لم أفعل فنفسي اوبقت وحظّ نفسي ضيعت ألا إنّي جالس لكم العصرين، فارفعوا إليّ حوائجكم وأشيروا عليَّ بما يصلحكم ويصلح بلادكم؛ فإني لن الدكم خيراً ما استطعت**»[٣]، إنّ من يقرأ خطبة مطرف بن المغيرة بإمعان يجد أنه كان رجلاً حيّ الضمير، فلم يعمِ عينه السلطان الذي حباه به الحجاج عن إدراك الظلم الفادح الذي أنزله بالأمة الإسلامية، وقد أتصل به دعاة الخوارج فأرادوه أن ينضمّ إليهم، ويسلّم بإمرة المؤمنين لزعيمهم شبيب الخارجي، وأرادهم هو أن ينضمّوا إليه؛ ليعيدوا الأمر شورى في المسلمين، فأبى وأبوا[٤]. وقد استشار مطرف نصحاءه في الثورة فلم ينصحه بها أحد منهم[٥]، ولكنه ثار بمن أجابه، وكلّم رؤوس أصحابه فقال: «**أما بعد، فإنَّ الله كتب الجهاد على خلقه وأمر بالعدل والإحسان، وقال فيما أنزل علينا:**

---

(١) علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام: ص٢٩٩.

(٢) لقد كان مطرف بن المغيرة أحد أخوة ثلاثة قدموا على الحجاج بن يوسف الثقفي عندما أصبح والياً على العراق، وكانوا رجالاً صلحاء في قومهم، فأعجب بهم الحجاج واستعملهم، فكان عروة ابن المغيرة على الكوفة، ومطرف بن المغيرة على المدائن، وحمزة بن المغيرة على همدان. الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٨٤.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٨٤.

(٤) المصدر السابق: ج٦، ص٢٨٦ـ٢٨٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٧٨.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٨٨ـ٢٨٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٧٨

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[١]، **واني أشهد الله أني خلعت عبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، فمن أحبّ منكم صحبتي، وكان على مثل رأيي فليتابعني، فإنَّ له الأسوة وحسن الصحبة، ومن أبى فليذهب حيث شاء فإني لست أحبّ أن يتبعني من ليس له نية في جهاد أهل الجور، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وإلى قتال الظلمة، فإذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الأمر شورى بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبوا»**[٢].

وعندما أصبح مطرف قريباً من همدان أرسل إلى أخيه حمزة، وكان والياً عليها من قبل الحجاج أن يمدده بالمال والسلاح، فقبل[٣]، ثم إنّ مطرفاً كتب كتاباً إلى سويد بن سرحان الثقفي وإلى بكير بن هارون البجلي، وكانا في الري يحثّهما على نصرته جاء فيه: «أما بعد، فإنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وإلى جهاد من عَنَدَ عن الحق واستأثر بالفيء، وترك حكم الكتاب، فإذا ظهر الحقّ ودمغ الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا، جعلنا هذا الأمر شورى بين الأمة يرتضي المسلمون لأنفسهم الرضا، فمن قبل هذا منا كان أخانا في ديننا، وولينا في محيانا ومماتنا، ومن ردّ ذلك علينا جاهدناه، واستنصرنا الله عليه فكفى بنا عليه حجة، وكفى بتركه الجهاد في سبيل الله غبناً وبعد إهانة الظالمين في أمر الله وهناً...»[٤].

وعندما وصل كتاب مطرف إليهما قدما عليه في نحو مائة رجل من أهل الري[٥]، ثم إنّ الحجاج بعث إلى عدي بن وتاد وكان عامله على الري بالمسير إلى

---

(١) المائدة: آية٢.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٣، ص٢٩٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٧٩.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٩٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٧٩.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٩٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٨٠.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٨١.

مطرف، فسار إليه عدي، وجرى القتال بينهما وانهزم أصحاب مطرف، وقتل هو وبعث برأسه إلى الحجاج[١]، وبهذا فقد انتهت هذه الحركة بالفشل منذُ ولادتها، وقد كانت تحمل في طياتها شيئاً من منهاج ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ويقول الدكتور ضياء الدين الريس في ثورة مطرف وسياسة الحجاج قائلاً: «**لقد ثار مطرف بن المغيرة وكان آنذاك والياً على المدائن، فلم يرض عما وصفه بأنه: (سياسة جور وتسلط بالجبرية) وقام بثورة عام (٧٧هـ/ ٦٩٦م) تبعه فيها ناس كثير...**»[٢].

ثانياً: حركة عبد الرحمن بن الأشعث

ثار عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م معلناً خلع الحجاج ابن يوسف الثقفي أمير العراق، ومن ثم الخليفة عبد الملك بن مروان[٣]، إذ رأى عبد الرحمن بن الأشعث أنه ليس من مصلحة المسلمين أن يتوغلوا داخل سجستان وبلاد رتبيل حتى يعيدوا تنظيمهم، لكن الحجاج رفض ذلك، وبعث كتاباً إلى عبد الرحمن ابن الأشعث موبخاً له وعلى أنه يهادن عدواً ضعيفاً ذليلاً[٤]، ويشير فلهاوزن إلى أنّ ثورة ابن الأشعث ثورة هزمها الحكم الأموي، وقد جاءت نتيجة إدراك الشعب أن الفتوح لا تصبّ بمصلحته الخاصة[٥]، وعرض عبد الرحمن على جنوده أمر الحجاج بعد أن بين لهم رأيه الذي استقرّ عليه بعد أن استشار قواده

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٩٨.
(٢) الريس، محمد ضياء الدين، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية: ص١٩٢.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٣٤؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج٦، ص٢٢٤.
(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٩٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٣٤ـ٣٣٥؛ الريس، عبد الملك ابن مروان والدولة الأموية: ص٢١٣ـ٢١٤.
(٥) يوليوس فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها: ص١٩٠.

وأمراء جنده، ثم قال: «...**وإنما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيتم، وأبي إذا أبيتم**»[١]، فشار إليه الناس وقالوا: «**بل نأبى على عدو الله، ولا نسمع له ولا نطيع**»[٢].

وقام عامر بن واثلة الكناني فقال: «**أما بعد، فإنّ الحجاج يرى بكم ما رأى القائل الأول: احمل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك، وإن نجا فلك، إنّ الحجاج ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللهوب واللصوب، فإن ظفرتم فختتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء الخضاع الذي لا يبالي عنتهم ولا يبقي عليهم، اخلعوا عدو الله الحجاج، وبايعوا عبد الرحمن فإنّي أشهدكم أنّي أول خالع**»[٣].

فوثب الناس إلى عبد الرحمن بن الأشعث، فبايعوه على خلع الحجاج، ونفيه من أرض العراق وقفلوا راجعين حتى إذا بلغوا فارس خلعوا عبد الملك بن مروان، وبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلين[٤]، ولما بلغ عبد الرحمن البصرة بايعه جميع أهلها وقرائها وكهولها، مستبصرين في قتال الحجاج ومن معه من أهل الشام وخلع عبد الملك، وأن سبب إسراع أهل البصرة إلى مساندة الثورة هو الظلم والجوع[٥]، وقد بلغ التذمر غايته، والناس يستغيثون وينادون يا محمداه! يا محمداه! في آخر إجراء اجتماعي واقتصادي يمارسه الحجاج بأمره بترحيل الناس إلى قراهم الأصلية وأخذ الجزية منهم، فكان

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٧٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٣٥ـ٣٣٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٧٨.
(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٧٩.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٤١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٧٩؛ محمد مهدي، ثورة الحسين: ص٢٥٧.

القراء يبكون ألماً ويلتهبون غيظاً[١]، لهذا ولغيره، ولما رأوه طويلاً من تضييع لمعالم الدين، فوافقت ذروة تذمرهم هذه حركة ابن الأشعث ودخوله البصرة، فكانت فرصتهم التي لم يجدوا مسوّغاً للتفريط بها، ولقد عبرت نداءاتهم عن مبادئهم وحددت عوامل نهضتهم، كما في ندائهم الوجيز الجامع: «**قاتلوهم على جورهم في الحكم، وتجبرهم في الدين، واستذلالهم الضعفاء، وإماتتهم الصلاة**»[٢]، وفي نداء آخر: «**قاتلوهم على دينكم، فو الله لئن ظهروا عليكم ليُفسدنَّ عليكم دينكم، وليغلبن على دنياكم**»[٣]، وقد كان شعارهم «**يا ثارات الصلاة**»[٤]، وبهذا فقد قدم ابن الأشعث على مجتمع معبأ ينتظر قائداً، فاستجاب المجتمع هذه الاستجابة السريعة، واستبصر قراء البصرة في قتال الحجاج مع عبد الرحمن بن الأشعث[٥].

وقد كان دخول ابن الأشعث البصرة في أواخر سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م[٦]، وبعد أن حلّت سنة ٨٢هـ/ ٧٠٠م، خرج الحجاج من البصرة ونزل الزاوية[٧]، أما ابن الأشعث فنزل الخريبة[٨] واتخذها معسكراً له ثم جرى القتال بين الطرفين[٩]، وكان

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٧٩؛ صائب عبد الحميد، تاريخ الإسلام: ص٥٤٥.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٥٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج٦، ص١١.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٥٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج٦، ص١١.
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام: ج٦، ص١٠.
(٥) محمد مهدي، ثورة الحسين: ص٢٥٨.
(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٤١؛ ابن خلدون، تاريخ: ج٣، ص٤٨.
(٧) الزاوية: موضع بالبصرة تبعد عنها فرسخين، فيها قصر أنس بن مالك كانت للحجاج وابن الأشعث وقعة فيها، وكان النصر حليف الحجاج. ينظر: ياقوت، معجم البلدان: ج١، ص١٢٨.
(٨) الخريبة: وهو تصغير خربة، موضع بالبصرة، كان فيها قصر للفرس، ثم خرب وعندما جاء المسلمون سموه الخريبة. ينظر: ياقوت، معجم: ج٢، ص٣٦٣.
(٩) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٤٢؛ ابن تغري بردي: ج١، ص٢٠٣ـ٢٠٤.

مع الحجاج ثلاثة وعشرون ألفاً من جند الشام ومن تبعه من أهل العراق، أما ابن الأشعث فاجتمع له ستون ألفاً من الكوفة والبصرة والموالي[١]، وانتهت المعركة بهزيمة ابن الأشعث، وخلف عسكره وأتجه نحو الكوفة[٢]، وبعد أن استقرّ ابن الأشعث بالكوفة واجتمع إليه أهلها، ومن جاء من أهل البصرة وقراءها، وقد تبعهم الحجاج حيث نزل بدير قرة[٣]، ونزل عبد الرحمن بن الأشعث بدير الجماجم[٤]، وقد اجتمع إليه الناس حيث بلغوا مائة ألف، وقيل: مائة وعشرين ألفاً يأخذون العطاء[٥]، ثم جرت مفاوضات بين الخلافة وابن الأشعث، وكان من المقترحات المساواة بالعطاء بين أهل العراق وأهل الشام وأن يتولى ابن الأشعث ولاية جزء من العراق إلا أنها فشلت[٦]، ودارت معركة كبيرة عرفت بدير الجماجم انتهت بهزيمة ابن الأشعث، وكان ذلك في أوائل سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م[٧]، وقام الحجاج بعد ذلك بقتل عدد من القراء صبراً؛ منهم كميل بن زياد النخعي صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[٨]، وبعد أن هُزم ابن الأشعث في دير الجماجم اجتمع إليه الفارون من الحجاج من أهل الكوفة والبصرة وجرت المعركة الفاصلة

---

(١) ابن اعثم، الفتوح: ج٧، ص١٣٤.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٤٣.

(٣) دير قرة: دير بإزاء دير الجماجم، نزله الحجاج، وقرة: هو الرجل الذي بناه وهو من لخم أيام المنذر بن ماء السماء. ينظر: ياقوت، معجم البلدان: ج٢، ص٥٢٦.

(٤) دير الجماجم: أرض بظاهر الكوفة على شاطئ الفرات؛ وسمّي بدير الجماجم بوقعة إياد على أعاجم كسرى، وجمعوا جماجمهم كالكوم. ياقوت، معجم البلدان: ج٢، ص٥٠٣.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٤٧، ابن الجوزي، المنتظم: ج٦، ص٢٣١ـ٢٣٤.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٤٧.

(٧) المصدر السابق: ص٣٦٢ـ٣٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٨٥.

(٨) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٦٥؛ محمد جواد، الشيعة والحاكمون، ص١٥٨ـ١٥٩.

والتي عرفت بموقعة مسكن، وقد انهزم بها ابن الأشعث وفرّ إلى رتبيل[١]، ثم أرسل الحجاج إلى رتبيل أن يرسل إليه ابن الأشعث، فأراد رتبيل أن يرسله، فلما أحيط بابن الأشعث ألقى نفسه من فوق قصر فمات[٢].

ويوضّح الذهبي سبب خروج ابن الأشعث قائلاً: «**وأقبل عبد الرحمن بن الأشعث من سجستان في جمع كبير، وقام معه علماء وصلحاء الله تعالى؛ لما انتهك الحجاج من إماتته وقت الصلاة، ولجوره وجبروته، فقاتله الحجاج وجرى بينهما مصافاة عدة، ودامت الحرب أشهراً قتل فيها خلق من الفريقين، وفي آخر الأمر انهزم ابن الأشعث، وفرّ إلى الملك رتبيل ملتجئاً إليه، فقتل سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م**»[٣].

ويشير الدكتور ضياء الدين الريس إلى سبب خروج ابن الأشعث مبرّراً أنّ خروجه كان كرد فعل لسياسة الحجاج في العراق: «**وقد كان لأهل العراق شكاوى يجب الاعتراف بعضها بأنها كانت عادلة، فمن ذلك أنّ الدولة كانت تسير على قاعدة تفضيل أهل الشام ومنحهم أعطيات أكبر، وكان جند الشام يقيمون بالعراق، فيتأذى بهم الناس، فكانت هذه محاباة أو تحيزاً، وسياسة المحاباة تضر الدولة؛ لأنها تفسد القلوب، كما أن الحجاج كان صارماً في عقوبته، شديداً على أهل الخراج، مسرفاً في الدماء، والواقع أنه كان يعامل العراق كأنه إقليم محتلّ، ويعامل أهله كأنهم شعب مغلوب**»[٤]، ومهما تكن من مبررات ودوافع لثورة ابن الأشعث، فإنّها قد انطلقت من مبادئ نصرة الضعفاء، وإقامة العدل والمساواة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه هي أهم السمات التي قامت من أجلها الثورة الحسينية.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٦٩.
(٢) ابن خلدون، تاريخ: ج٣، ص٥٢؛ الراوي، العراق في العصر الأموي: ص١٨٢.
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٩٨.
(٤) الريس، محمد ضياء الدين، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية: ص٢١٧.

ثالثاً: ثورة زيد بن علي عليهما السلام

تعد حركة زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام إحدى حركات المعارضة التي كان لثورة الإمام الحسين عليه السلام أثر واضح فيها؛ إذ كان شعار الثأر للإمام الحسين عليه السلام أحد أهدافها، فضلاً عن رفع شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كتب الشيخ المفيد في إرشاده: «...**وكان زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم، وكان عابداً، ورعاً، فقيها، سخياً، شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين عليه السلام**»[١]، والثأر لدم الإمام الحسين عليه السلام كان هدفاً أساسياً من أهداف ثورة زيد بن علي عليهما السلام ولكن ليس بالأسلوب الذي مارسته الحركات السابقة، بل بطريقة تناسب مستوى قيادتها، ونوعية رجالاتها وظرفها الزماني، «**هي حركة استهدفت القضاء على النظام الأموي الحاكم، فحاولت السيطرة على الكوفة لتكون نقطة انطلاق أولية للحركة باتجاه إسقاط الشام**»[٢]، ولم تذكر كتب التاريخ سبباً مباشراً لحركة زيد بن علي عليهما السلام بل ذكرت العبارة التالية: «**أُختلف في سبب خروجه**»[٣]، وهناك من يذكر أنّ سبب خروج زيد يرجع لخلاف شخصي كان بينه وبين هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ ـ ١٢٥هـ)[٤]، مما يوحي بأنّها حركة كان وراءها الحميّة للنفس ليس إلا! وهذا قدح كبير، وإن لم يكن أصحاب التاريخ يعتقدونه، فكيف يصح لزيد وهو المعروف ديناً وعلماً وفقهاً وشرفاً، أن

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج٢، ص١٥٧ .

(٢) الساعدي، نوري حاتم، ثورة زيد بن علي عند أهل البيت عليهم السلام، تقديم: السيد جعفر مرتضى العاملي، ط٢، مطبعة الغدير، (لا م، ٢٠٠٤م): ص٩٢.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٦٠؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج٧، ص٢٠٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢٤٠.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٦٥؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ: ص١٠٠.

يخوض الدماء، لأنّ هشاماً قد أهانه وحطّ من منزلته. فيذكر ابن الطقطقي[١] قائلاً: «**كان زيد من عظماء أهل البيت عليهم السلام، علماً وزهداً وورعاً وشجاعةً ودياناً وكرماً**»، أما أنّ الخلاف الذي كان مع هشام بن عبد الملك لم يكن سوى محفّز أخير لقيام الثورة، وهناك نصّ جاء على لسان هشام بن عبد الملك قال فيه: «**لقد بلغني يا زيد أنّك تذكر الخلافة وتتمنّاها، ولست هناك وأنت ابن أمة**»[٢]، إذ إنّ كلّ شيء كان قد نضج في قلب زيد من قبل هذا اللقاء، وسوف يؤكده جواب زيد نفسه، فهو لا يعتذر ولا ينفي، بل يؤكد أهميته لذلك، فيقول: «**ليس أحد أولى بالله ولا أرفع عنده منزلةً من نبيٍّ ابتعثه، وقد كان إسماعيل عليه السلام من خير الأنبياء، وولد خيرهم محمداً صلى الله عليه وآله، وكان إسماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة مثلك، فاختاره الله عليه وأخرج منه خير البشر، وما على أحدٍ من ذلك؛ إذ كان جده رسول الله وأبوه علي بن أبي طالب ما كانت أمه**»[٣]، وقد أظهر زيد بن علي عليه السلام أهدافاً لثورته، فقد دعا إلى الكتاب والسنة وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، والعدل في قسمة الفيء ورد المظالم، وإرجاع من كان ملازماً مدةً طويلة في الثغور، ونصر أهل البيت على من نصب لهم وجهل حقهم[٤]، هذه الأهداف الكبيرة التي دعا إليها زيد بن

---

(١) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ص١٣٢.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٢٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٦٥؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٢١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢٤١. باختلاف يسير في اللفظ.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٢٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٦٥ـ١٦٦؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٢١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢٤١؛ ابن خلدون، تاريخ: ج٣، ص٩٨.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٧٢؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج٧، ص٢١٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢٤٢.

عليعليه السلام، والتي دعا الإمام جعفر بن محمد الصادقعليهما السلام إلى نصرتها[١]، وناصر تلك الحركة أيضاً من الفقهاء والعلماء: منصور بن المعتمر وسفيان الثوري، ويزيد بن أبي زياد، وهلال بن حباب، وسليمة بن كهيل، والحسن ابن سعيد الفقيه وغيرهم[٢]، ويذكر الاصفهاني قائلاً: «...**إنّ محمد بن جعفر بن محمدعليهما السلام قال: رحم الله أبا حنيفة، لقد تحقّقت مودته لنا في نصرته زيد بن عليعليه السلام**...»[٣]، وإنّ أبا حنيفة قد زوّد زيداً وأصحابه بمال وسلاح وخيل؛ ليستعين بها على جهاد عدوّه[٤].

كان خروج زيد بن عليعليه السلام سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٨م[٥]، وهو أول زعيم علوي يمارس تحركاً سياسياً منذ موقعة كربلاء[٦]، وقد أورد الطبري سبب خروج زيد ابن عليعليه السلام إلى أنّ والي الكوفة يوسف بن عمر قد زعم أنّ الوالي السابق ـ وهو خالد ابن عبد الله القسري ـ قد اعترف بإيداعه لدى زيد مبلغاً كبيراً من المال في وقت سابق[٧]، وكان هذا يرمي إلى تحقيق هدف أبعد من محاكمة والي معزول[٨].

وقد دعا يوسف بن عمر خالد بن عبد الله القسري ليشهد بتلك الأموال على زيد، فأنكر خالد أن يكون له عند زيد أية أموال أو ودائع[٩]، وبعد ذلك طلب يوسف بن عمر من زيد أن يسرع بالرحيل والخروج من الكوفة بناء على أمر هشام الذي أمره أن لا يطيل المقام في الكوفة؛ خوفاً من أن يدعو الناس إلى ما كان يحدّث

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٨١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢٤٦.
(٢) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٩٧.
(٣) المصدر السابق؛ صائب عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص٥٥٦.
(٤) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٩٧؛ صائب عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص٥٥٦.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٨٠ـ١٨١.
(٦) إبراهيم بيضون، التيارات السياسية: ص٣٤٤.
(٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٦٦.
(٨) إبراهيم بيضون، التيارات السياسية: ص٣٣٤.
(٩) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٦٢؛ الراوي، العراق في العصر الأموي، ص١٧٢.

نفسه بالوصول إلى الخلافة، وكان هشام قد شعر بذلك حينما هدّده زيد قائلاً: «**أخرج ولا تراني إلا حيث تكره**»[١]، وقد أبطأ زيد بالخروج من الكوفة لمّا وجد من أهلها ميلاً إليه وتشجيعاً منهم بالثورة، وقد لحقوا به إلى خارج الكوفة وأقنعوه بالرجوع، إذ قالوا له: «**معك أربعون ألفاً إن رجعت إلى الكوفة لم يتخلّف عنك أحد، وأعطوه المواثيق والأيمان المغلّظة**»[٢].

وذكر ابن الطقطقي أن أهل الكوفة لحقوا بزيد وقالوا له: «**أين تذهب يرحمك الله ومعك مائة ألف سيف نضرب بها دونك وليس عندنا من بني أمية إلا نفر قليل...**»؟[٣]، ولما استقرّ زيد في الكوفة وثبّت مركزه عند أهلها أخذ يرسل دعاته إلى الكور والأمصار يدعوهم إلى نصرته وتأييده، ولقت دعوته تأييداً لها في الموصل وواسط وخراسان والري والجزيرة وجرجان[٤]، وقد اتفق زيد مع من بايعه على موعد لإعلان الثورة والخروج على النظام الأموي، لكن يوسف بن عمر كان على علم بتحركات زيد، فأخذ يلحّ في طلبه ومضايقته حتى اضطر زيد إلى إعلان الثورة قبل الموعد المحدّد[٥]، وكان ذلك سبباً من أسباب فشل الثورة، أما السبب الآخر فيورده الطبري: «**فلما رأى أصحاب زيد بن علي عليهما السلام الذين بايعوه أن يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد، وأنه يدس إليه ويستبحث عن أمره، اجتمعت إليه جماعة من رؤوسهم فقالوا: رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما،**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٦٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢٤١.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٦٧ـ١٦٨؛ المدرسي، محمد تقي، التاريخ الإسلامي دروس وعبر، ط٧، دار محبين للطباعة، (لا.م، ٢٠٠٤): ص٨٧ـ٨٨.

(٣) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ص١٣٢.

(٤) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٩٨؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ص١٣٢.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٨٠؛ الاصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٩٨.

ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً، قالوا: فلم تطلب إذاً بدم أهل هذا البيت، إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم»[١]، وبهذا وبعد أن ذكر زيد الشيخين بأفضل ما يقال تركه عدد كبير ممن كان قد بايعوه من قبل، حيث لم يرَ زيد أنّ من الخلق الطعن بأصحاب رسول الله ﷺ أو الانتقاص من مكانتهم[٢]، وكان هذا السبب الثاني لفشل الثورة، أما السبب الثالث لفشل الثورة فهو أنّ العديد من أصحاب زيد قد حوصروا في المسجد ومنعوا من الخروج[٣]، وكان كلّ من جاء إلى زيد هم مائتين وثمانية عشر رجلاً ونادى بشعاره (يا منصور أمت، أمت يا منصور)[٤]، وكان هذا شعار مسلم بن عقيل من قبل، وقد أطلق تيمناً بثورة الإمام الحسين عليه السلام، وقد أدت هذه الأسباب إلى أن تخنق الثورة في مهدها بسبب الجيش الأموي الذي كان مرابطاً في العراق[٥]، وقتل قائد الثورة، زيد بن علي عليهما السلام وصلب في كناسة الكوفة وبقي مصلوباً حتى مات هشام بن عبد الملك، حيث أمر الوليد بن يزيد أن يحرق جثمان زيد ويذر في نهر الفرات، وكان مقتله في سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٩م[٦].

وعلى الرغم من فشل الثورة واستشهاد قائدها إلا أنّ أهل الكوفة قد أنضمّوا إلى يحيى بن زيد المتّجه نحو خراسان[٧]، وقد استطاع يحيى بن زيد السيطرة على بعض

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٨٠ـ١٨١.
(٢) الراوي، العراق في العصر الأموي، ص١٧٣ـ١٧٤.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٨٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢٤٦.
(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٨٢؛ الاصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٩١.
(٥) محمد مهدي شمس الدين، ثورة الإمام الحسين: ص٢٥٩ـ٢٦٠.
(٦) البسوي، المعرفة والتاريخ، ص٣٤٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٨٧ـ١٨٩؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٢١٨ـ٢١٩؛ القلقشندي، مآثر الأنافة: ج١، ص١٥٢.
(٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص١٨٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢٤٨.

المناطق في بلاد فارس، وهزم جيشاً للأمويين مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل، وقتل قائدهم[١]، واستمرّ القتال بين يحيى وأتباعه وجيوش الأمويين حتى قُتل في إحدى المعارك سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م) في قرية من قرى الجوزجان[٢]، ويشير فلهاوزن قائلاً: «**ولئن كان عصيان زيد قد انتهى انتهاءً مفجعاً فإنّه مهمّ، ذلك لأنّ ثورات الشعب التي حدثت بعده والتي أدّت إلى انهيار دولة دمشق انهياراً نهائياً كانت ذات علاقة بها، وسرعان ما ظهر أبو مسلم بعد وفاة يحيى آخذاً بثأره قاتلاً: قتلته**»[٣]، وهذا يبرز بوضوح عظيم تأثير ثورة الإمام الحسين عليه السلام في تغذية الروح الثورية ومدّها بالعطاء، فما ثورة زيد إلا قبس من ثورة جدّه في كربلاء.

رابعاً: الثورة العباسية ١٣٢هـ

ظهر العباسيون على مجرى الأحداث السياسية عندما سلّم أبو هاشم عبد الله ابن محمد بن علي بن أبي طالب (الصحيفة الصفراء) إلى محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس، وقد ذكر فيها أمراء الدعوة وأسماء الدعاة ومحلاتهم، وأسماء أحياء العرب وقبائلها التي تساند الدعوة، والوقت الذي تبدأ به[٤] وعلاماتها[٥]، وظهرت

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص٢٢٩؛ الاصفهاني، مقتل الطالبين: ص١٠٥.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص٢٣٠؛ المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٢٢٥؛ الاصفهاني، مقتل الطالبين: ص١٠٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢٦٠.

(٣) يوليوس فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها: ص٢٧١.

(٤) انطلقت الدعوة العباسية السرية سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م من الحميمية في خلافة عمر بن عبد العزيز، ويبدو ذلك من قول محمد بن علي العباسي لأنصاره (هذا وإن ما نؤمن ونرجو من ذلك لانقضاء مائة سنة من التاريخ). ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٣٤؛ ابن خلدون، تاريخ: ج٣، ص١٠٠.

(٥) مؤلف مجهول، أخبار العباس وولده، تح: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار صادر، (بيروت، ١٩٧١م): ص١٨٤ـ١٨٥.

الدعوة العباسية في مرحلة التنظيم والإعداد بواجهات مختلفة، ورفعت شعارات متعددة من أجل كسب كلّ العناصر المستاءة من الحكم الأموي، فنشر الدعاة بين كل فئة المبادئ التي ترتضيها تلك الفئة ووعدوها بتحقيقها[١]، وكان من شعارات الدعوة العباسية (الرضا من آل البيت)، والعمل بموجب (كتاب الله وسنة نبيه) وكذلك (القضاء على أهل الجور)، ثم (الثأر) لآل البيت[٢]. لقد استغلت الدعوة العباسية كلّ العناصر المستاءة من الحكم الأموي، حيث كانت خطّة العباسيين الترحيب والاستفادة بأية فكرة معارضة، وإثارة الاضطرابات ضدّ الأمويين في أي منطقة استطاعوا[٣]، وإنّ العباسيين قد استغلوا شيعة العلويين من أجل إقامة دولتهم، لأنهم قد عرفوا أنّ شيعة العلويين هم الحزب القوي المعارض الذي عمل من أجل إسقاط الحكم الأموي، ويذلوا من أجل ذلك الكثير، ولاقى رجال الشيعة ما لاقاه الأئمة الأطهار من القتل والتنكيل[٤].

وقد كان الناس يقولون بعد زوال ملك الأمويين: «**الحمد لله الذي أتانا بأهل بيت نبينا**»[٥]، وإنّ العباسيين كانوا يتذرّعون بثأر الحسين، وزيد وولده يحيى، لقد استغل بنو العباس سخط الناس على بني أمية ومعارضة الشيعة لحكمهم، وتعلق الناس بالعلويين فأظهروا أنّ غايتهم الأولى إسقاط الأمويين وإراحة الناس من

---

(١) فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية، ط١، دار الإرشاد، (بيروت، ١٩٧٠م): ص٩٩ـ١٠٠؛ الخضري، محمد، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، مطبعة الاستقامة، (القاهرة، ١٩٥٩م): ص١٤.

(٢) عمر، فاروق، طبيعة الدعوة العباسية: ص٢٢٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) محمد جواد مغنية، الشيعة والحاكمون، ص٢١٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٣٣٠.

ظلمهم ثم يختارون من تتفق عليه الكلمة من آل بيت الرسول[١]،«...**فالعباسيون لم يقدّموا في بدء الأمر أشخاصاً منهم ولا من غيرهم، وإنما قدّموا المبدأ الذي يدافعون عنه**»[٢]، ويذكر المسعودي استغلال حادثة كربلاء وما جرى على العلويين من قبل النظام الأموي: «**ولما أوتي أبو العباس برأس مروان ـ آخر خلفاء بني أمية ـ ووضعه بين يديه رفع رأسه فقال: الحمد لله الذي لم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك، والحمد لله الذي أظفرني بك وأظهرني عليك، ثم قال: ما أبالي متى طرقني الموت، قد قتلت بالحسين عليه السلام وبني أبيه من بني أمية مائتين، وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي عليهما السلام وقتلت مروان بأخي إبراهيم**»[٣].

ويشير فلهاوزن إلى ذلك قائلاً: «**كان العباسيون يعملون ما استطاعوا على أن يخفوا عن الناس أنهم كانوا يريدون تنحية بني فاطمة، بل كانوا يظهرون أنهم يعملون من أجل بني فاطمة، وظهروا في خراسان وغيرها بدعوى أنّهم يريدون أن يثأروا لشهداء أبناء فاطمة... وكان لابدّ لهم أن يتخذوا حزب الشيعة؛ عماداً لهم إزاء بني فاطمة...**»[٤].

ويوضّح بروكلمان قيام العباسيين باستغلال ما جرى على العلويين وشيعتهم من قبل الأمويين قائلاً: «**ولقد ذهبوا إلى أنّ آل النبي أي عقب علي، هم أصحاب الحقّ في أن يسيطروا على الدولة الإسلامية**»[٥]، وبعد أن استتبّ الأمر للعباسيين قاموا باحتضان فكرة المهدي المنتظر، وادّعوا أن المهدي الموعود منهم وسمّى المنصور

---

(١) محمد جواد مغنية، الشيعة والحاكمون، ص٢١٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٢٧١؛ الحميري، الروض المعطار، ص١١٨.
(٤) يوليوس فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها: ص٤٨٩.
(٥) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية: ص١٦٦.

ولده محمداً بالمهدي؛ تمويهاً على الناس! ولقد كان قبل يقول في محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي إنّه المهدي، فلما صار المُلك لهم بدّل قوله، وقال كذب عدو الله بل هو ابني[١]، وقد بشّر داود بن علي العباسي بدعوى المهدوية قبل ذلك بفترة، وفي أول خطاب للعباسيين في الكوفة فقال: «**واعلموا أن هذا الأمر فينا وليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم**عليه السلام **والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا**»[٢].

وبهذا فقد حقّقت الدعوة العباسية هدفها المنشود، وهو القضاء على الخلافة الأموية، لإقامة خلافة هاشمية يتزعّمها الفرع العباسي، وقد لاحظنا من خلال شعارات الدعوة وأهدافها أنها دعوة ظهرت للثأر لأهل البيت عليهم السلام واستغلال ثورة الإمام الحسين عليه السلام لصالحهم الخاص؛ لما كان لهذه الثورة من تأثير في نفوس المسلمين عامة والشيعة بصورة خاصة.

(١) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص١٥٨.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٧، ص٤٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٣٢٦.

الخاتمة

أرجو أن ينال بحثنا المتقدّم رضا القارئ، داعياً الباحثين إلى بذل جهود لإضافة أشياء قد غفل عنها الباحث؛ للوصول إلى تغطية الموضوع من جميع جوانبه.

لقد كان لثورة الإمام الحسين عليه السلام الأثر الواضح في تحطيم الإطار الديني الذي اتخذه الأمويون؛ لدعم سلطانهم، فثورة يقودها الإمام الحسين عليه السلام كفيلة أن تفضح الزخرف الديني الذي يتظاهر به الحكام الأمويون، وأن تكشف هذا الحكم وبعده عن مفاهيم الإسلام، وذلك لما يتمتع به الإمام الحسين عليه السلام من محبة وإجلال في قلوب المسلمين، وقد رأيت مصداق ذلك عند الحديث عن إقامته في مكة، ثم عند الحديث عن خروجه منها إلى العراق.

وقد وجدنا أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يفضح الحكام الأمويين ويكشف حقائقهم، وقد وضع موقف الأمويين من ثورة الحسين عليه السلام خطاً فاصلاً بين الدين الإسلامي والحكم الأموي، حيث إنّ قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته، والتمثيل بأجسادهم، وسبي نسائهم، كلّ ذلك قد جرّد الأمويين من الصبغة الدينية والإنسانية، وقد عمل ذلك على تقويض كل ركيزة دينية للحكم الأموي في نفوس المسلمين.

وكان لثورة الحسين عليه السلام واستشهاده في كربلاء، وما سبّبته هذه النهاية وهذا المصير أثر عظيم من ذلك إثارة الشعور بالإثم في ضمير كلّ مسلم استطاع نصره ولم ينصره، وسمع واعيته فلم يجبها، وهذا ما وجدناه واضحاً بعد استشهاد الإمام

الحسين عليه السلام فقد دفع الشعور بالإثم كثيراً من الجماعات الإسلامية إلى العمل لإسقاط النظام الأموي، وكان التعبير الطبيعي للرغبة في التكفير وللحقد هو الثورة، وهكذا فقد استهدف الأمويون الثورات التي أجّجها استشهاد الحسين عليه السلام، وبسبب الشعور بالإثم كان موقف المسلمين من الحكم الأموي موقفاً عقلياً نابعاً من إدراك بعد الأمويين عن الدين وظلمهم، كما غدا ذلك موقفاً عاطفياً أيضاً إذ إنّ هذا الشعور حدا بالكثيرين إلى الثورة كعمل انتقامي يقصد به التشفّي، وهذا يفسّر لنا كثيراً من الثورات الفاشلة، التي كان من الواضح فشلها قبل اشتعالها، فقد كان سببها هو الرغبة في الانتقام ؛ تلبية للدافع العاطفي وعندما يقع الإنسان تحت وطأة موقف عاطفي طاغ تغيب عنه احتمالات الفشل والنجاح، ومما لا ريب فيه أنّ هذا العامل النفسي جعل موقف المسلمين من الحكم الأموي أكثر إيجابية وحرارة، وأسبغ عليه صفة انتقامية، وجعله عاملاً يحسب له حساب عند الحاكمين، إنّ الموقف العقلي فقط يمكن السيطرة عليه، والتشكيك فيه بأساليب كثيرة، أما حين يكون الموقف عاطفياً فإنّ الأمر يختلف تماماً، وذلك لأنّ العاطفة الصادقة تمتاز بالاشتعال والفوران والديمومة، ورفض وجهات النظر المقابلة، ولقد كان الشعور بالإثم عند هؤلاء المسلمين عميقاً وصادقاً.

وقد قدّر لهذا الشعور أن يبقى مشتعل الأوار وحافزاً دائماً إلى الثورة، والانتقام وقدّر له أن يدفع الناس إلى الثورات على الأمويين كلما سنحت الفرصة، ثم لا يرتوي ولا يستكين وإنما يطلب من صاحبه ضريبة الدم باستمرار، وكان سبيل ذلك هو الثورة على الظالمين.

ولكي نخرج بفكرة واضحة عن مدى تأثير ثورة الحسين عليه السلام في بعث روح الثورة في المجتمع الإسلامي يحسن بنا أن نلاحظ أنّ هذا المجتمع أخلد إلى السكون عشرين عاماً كاملة قبل ثورة الحسين عليه السلام لم يقم خلالها بأي ثورة رغم توفر الدواعي

إلى الثورة خلال هذه الأعوام الطوال.

فمنذ استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وغدا أمر الحكم الأموي خالصاً إلى حين ثورة الإمام الحسين عليه السلام لم يقم في المجتمع الإسلامي أيّ احتجاج جدّي على ألوان القتل والاضطهاد واحتكار الأموال، وكان موقف الجماهير هو موقف الخضوع والتسليم، عشرون عاماً مرّت على المجتمع الإسلامي ـ من سنة إحدى وأربعين إلى سنة ستين للهجرة ـ وهذه هي حالته، وتغيرت هذه الحالة بعد سنة إحدى وستين أي بعد ثورة الحسين عليه السلام، فقد بدأ الشعب يثور، وبدأت الجماهير ترقب زعيماً يقودها، وهي مستعدّة للثورة وللتمرّد على الأمويين في كلّ حين، ولكنَّها تحتاج إلى من يقودها، وكلما وجد القائد وجدت الثورة، وبدأ الشعب يتعاطف مع كلّ تمرّد يقوم ضد النظام الأموي، وكان هذا التعاطف يصدر حتى من الأشخاص الذين لم يشاركوا في هذه الحركات.

وفضلاً عن ذلك فإنّ فكرة الثأر للإمام الحسين عليه السلام قد تطورت بسرعة وتمخّضت عنها حركات ثورية، وتلك الحركات اتخذت ثلاثة أساليب، الأول كان على أيدي التوابين، وهذا الأسلوب ظهر مباشرة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وتبناه كبار الشيعة الموالين للإمام الحسين عليه السلام، حيث اعتقدوا أنّ ذنب قتله عليه السلام لا يغتفر إلا بالقيام بحركة استشهادية ضد النظام الأموي، وقد ارتكز هذا التحرك على طلب التوبة من الذنب العظيم من خلال العمل العسكري الاستشهادي، أما الثاني فتمثل في القضاء على الأشخاص الذين شاركوا في واقعة كربلاء، وقد ظهر بعد فترة قصيرة من شهادة الإمام الحسين عليه السلام على يد المختار الثقفي، وفي الحقيقة أنّ المختار أفاد من تجربة التوابين في عين الوردة؛ لأنه أشرف عليها وشاهد نهايتها، فسعى في تطوير حركته بما يخدم هدفه.

أما الثالث، فهو أسلوب مواجهة النظام والسعي لإسقاطه من خلال الثورة في

إحدى حواضر العالم الإسلامي، ثم توسيع نطاقها للإطاحة بالحكم الأموي، وهذا الأسلوب تمّ على يد زيد بن علي عليهما السلام؛ إذ كانت حركته تستهدف الثأر للإمام الحسين عليه السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال إسقاط النظام الأموي، وقد تكلّل ذلك على أيدي العباسين الذين اتخذوا من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وزيد بن علي عليهما السلام ذريعة لإعلان ثورتهم.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أولاً: المصادر الاولية

ـ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، (ت٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م).

١ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠١م).

٢ـ الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٧٨م).

ـ الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م).

٣ـ الأغاني، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩١م).

٤ـ مقاتل الطالبين، تح: أحمد صقر، مؤسسة النبراس، (النجف، ٢٠٠٣م).

ـ ابن أعثم، أبو محمد احمد بن أعثم الكوفي، (ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م).

٥ـ الفتوح، تح: علي شيري، ط١، دار الاضواء، (بيروت، ١٩٩١م).

ـ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، (ت٢٥٦هـ/ ٨٥٩م).

٦. التاريخ الكبير، تح: مصطفى عبد القادر أحمد، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠١م).

٧ـ صحيح البخاري، تح: أحمد محمد شاكر، ط١، دار الاضواء، (بيروت، ١٩٩١م).

ـ البسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان، (ت٢٧٧هـ/ ٨٩٠م).

٨ـ المعرفة والتاريخ، تح: أكرم ضياء العمري، ط١، مطبعة الارشاد، (بغداد، ١٩٧٦م).

ـ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي، (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).

٩ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، مطبعة التأليف والنشر، (القاهرة، ١٩٥١م).

ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

١٠ـ أنساب الأشراف، تح: محمد باقر المحمودي، ط٢، مطبعة باسدار إسلام، (قم، ١٩٩٩م).

١١ـ فتوح البلدان، تح:رضوان محمد رضوان، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٧٨م).

ـ البيهقي، إبراهيم بن محمد، (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م).

١٢ـ المحاسن والمساوئ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦١م).

ـ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).

١٣ـ السنن الكبرى، دار المعرفة، (بيروت، ١٩٨٢م).

ـ الترمذي، محمد بن يحيى بن سور، (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

١٤ـ سنن الترمذي، ط١، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٨٤م).

ـ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).

١٥.النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف، (القاهرة، ١٩٦٣م).

_ الثقفي، أبو أسحاق إبراهيم بن محمد بن سعد الكوفي، (ت٢٨٣هـ/ ٨٦٨م).

١٦. الاستنفار والغارات، تح: عبد الزهراء الحسيني، دار الأضواء، (بيروت، ١٩٨٧م).

ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م).

١٧ـ البيان والتبين، تح:عبد السلام محمد هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٦٨م).

ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

١٨ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٢م).

ـ ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٨م).

١٩ـ الجرح والتعديل، ط١، دار المعارف العثمانية، (الهند، ١٩٥٢م).

ـ ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

٢٠ـ الإصابة في تمييز الصحابة، تح: طه محمد، ط١، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٩١٠م).

٢١ـ تهذيب التهذيب، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٤م).

٢٢. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، (مصر، د ت).

ـ ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني، (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

٢٣ـ شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، (بيروت، ١٩٨٨م).

ـ الحميري، محمد بن عبد المنعم، (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).

٢٤ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط٤، مكتبة لبنان، (بيروت، ١٩٨٤م).

ـ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

٢٥ـ تاريخ بغداد او مدينة السلام، دار الكتب العربية، (بيروت، د ت).

ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت٨٠٨هـ/ ١٤٥٥م).

٢٦ـ العبر وديوان المبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الاعلمي، (بيروت، ١٩٧١م).

ـ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر، (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).

٢٧. وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، تح:محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، (مصر، د ت).

ـ خليفة بن خياط، الليثي العصفري، (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م).

٢٨ـ تاريخ خليفة بن خياط، تح:أكرم ضياء العمري، ط١، مطبعة الاداب، (النجف، ١٩٦٧م).

٢٩. طبقات خليفة بن خياط، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (مصر، دت).

ـ الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي، (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م).

٣٠ـ مقتل الحسين، تح: محمد السماوي، ط٢، مطبعة انوار الهدى، (النجف، ١٩٩٨م).

_ الديار بكري، الحسين بن محمد بن الحسن، (ت٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م).

٣١. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، (القاهرة، ١٨٦٦م).

ـ الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م).

٣٢ـ الأخبار الطوال، تح:عبد المنعم عامر، ط٢، المكتبة الحيدرية، (قم، ١٩٦٩م).

ـ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م).

٣٣ـ تاريخ الاسلام و وفيات المشاهير والأعلام، تح:عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت، ٢٠٠٣م).

٣٤ـ سير أعلام النبلاء، تح:محمد عبادي عبد الحليم، ط١، مطبعة السلام، (المغرب، ٢٠٠٣م).

ـ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م).

٣٥ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، (بيروت، د.ت).

ـ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م).

٣٦ـ الطبقات الكبرى، ط٢، دار صادر، (بيروت، ١٩٦١م).

ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت٩١١هـ/ ١٥٠٢م).

٣٧ـ تاريخ الخلفاء، تح:محمد محي الدين، ط١، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٩٥٢م).

الشافعي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م).

٣٨.سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تح: عادل أحمد، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م).

ـ ابن شهرآشوب، أبو عبد الله محمد بن علي، (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م).

٣٩ـ مناقب ال أبي طالب، المطبعة الحيدرية، (النجف، ١٩٥٦م).

ـ ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحسيني، (ت٥٨٩هـ/ ١١٩٣م).

٤٠ـ اللهوف في قتلى الطفوف، ط١، مطبعة السجدة، (قم، ٢٠٠٣م).

ـ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، (ت٥٤٨هـ/ ١١٤٧م).

٤١ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، تح:علي أكبر، ط١، مؤسسة الاعلمي، (بيروت، ٢٠٠٤م).

٤٢. مجمع البيان في تفسير القران، مؤسسة الهدى، (طهران، ١٩٧٠م).

ـ الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي، (ت ق ٦هـ/ ١٢م).

٤٣ـ الاحتجاج، تح: إبراهيم البهادري، ط٤، دار الاسوة للطباعة، (قم، ٢٠٠٣م).

ـ الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

٤٤ـ تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، (مصر، ١٩٦٦م).

ـ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م).

٤٥ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٦م).

_ العامري، سليم بن قيس، (ت ٧٦هـ/ ٦٩٥م).

٤٦.أبجد الشيعة المعروف بكتاب سليم بن قيس، ط٢، دار الارشاد، (بيروت، ١٩٩٤م).

ـ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

٤٧ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب المطبوع على هامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، تح: طه محمد، ط١، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٩١٠م).

ـ ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، (ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م).

٤٨ـ العقد الفريد، تح:عبد المجيد الترحيني، ط٣، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٧م).

_ ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون، (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).

٤٩. تاريخ مختصر الدول، تح: أنطوان اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٩٥٨م).

ـ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

٥٠. تهذيب تاريخ دمشق الكبير، هذبه عبد القادر بدران، ط٢، دار الميسرة، (بيروت، ١٩٧٩م).

ـ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي، (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).

٥١ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٠م).

ـ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).

٥٢ـ الإمامة والسياسة (منسوب اليه)، تح:خيري سعيد، ط١، المكتبة التوفيقية، (بيروت، ٢٠٠٠م).

٥٣ـ عيون الأخبار، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت، د ت).

٥٤. المعارف، تح: ثروت عكاشة، ط١، مطبعة أمير(ايران، ١٩٩٤م).

ـ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٣م).

٥٥. تفسير القرطبي، تح:سالم مصطفى البدري، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٠م).

ـ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ/ ١٤١٧م).

٥٦ـ مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح:عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٠م).

ـ ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م).

٥٧ـ مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تح: مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، (بغداد، ١٩٧٠م).

_ الكاشاني، محسن، الملقّب الفيض الكاشاني، (١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م).

٥٨. تفسير الصافي، تقديم حسين الاعلمي، ط٢، مؤسسة الهادي، (قم، ١٩٩٥م).

ـ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

٥٩ـ البداية والنهاية، تح:أحمد أبو ملحم، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت).

ـ ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م).

٦٠. سنن ابن ماجة، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٤م).

ـ المجلسي، محمد باقر، (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م).

٦١. بحار الأنوار، المطبعة الاسلامية، (طهران، ١٩٩٩م).

ـ أبو مخنف، لوط بن يحيى الأزدي، (ت١٥٧هـ/ ٧٧٣م).

٦٢. الجمل وصفين والنهروان، تح: حسن حميد، ط١، مؤسسة دار السلام، (لندن، ٢٠٠٢م).

٦٣.مقتل الحسين، ط١، (لا م، ٢٠٠٥م).

ـ المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف، (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م).

٦٤ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٠م).

ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).

٦٥. إثبات الوصية، المطبعة الحيدرية، (النجف، د.ت).

٦٦.التنبيه والاشراف، تح:لجنة تحقيق التراث، ط١، دار ومكتبة الهلال، (بيروت، ١٩٩٣م).

٦٧ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العالمي، (بيروت، ١٩٨٩م).

ـ مسكوية، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م).

٦٨ـ تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح:سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣م).

ـ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد، (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م).

٦٩ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تح: مؤسسة ال البيت، دار المفيد للطباعة والنشر، (لام، د.ت).

ـ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت٨٤٥هـ/ ١٤١٤م).

٧٠. المقفى الكبير، تح:محمد اليعلاوي، ط١، مطبعة دار الحزب الاسلامي، (بيروت، ١٩٩١م).

٧١ـ النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨٨م).

ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري، (ت٧١١هـ/ ١٣١١م).

٧٢ـ لسان العرب المحيط، تح: عبد الله العلايلي، دار لسان العرب،، (بيروت، د.ت).

ـ مؤلف مجهول.

٧٣. أخبار العباس وولده، تح:عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار صادر، (بيروت، ١٩٧١م).

_ المنقري، أبو الفضل نصر بن مزاحم، (ت٢١٢، ٨٢٧م).

٧٤. وقعة صفين، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار أحياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٤٥م).

ـ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م).

٧٥ـ نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: علي محمد البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتابة، (القاهرة، ١٩٧٦م).

_ النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري، (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م).

٧٦. مستدرك الصحيحين، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٢م).

_ ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر، (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).

٧٧. تاريخ ابن الوردي، ط٢، المطبعة الحيدرية، (النجف، ١٩٦٩م).

ـ ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

٧٨ـ معجم البلدان، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٦م).

ـ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر، (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م).

٧٩ـ تاريخ اليعقوبي، تح: خليل المنصور، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٢م).

ثانياً: المراجع الثانوية

ـ أحمد زكي صفوت.

٨٠. جمهرة رسائل العرب في عصوره العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، (بيروت، د، ت).

ـ إبراهيم بيضون.

٨١ـ التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية، (بيروت، ١٩٧٩م).

_ أنطوان بارا.

٨٢. الحسين في الفكر المسيحي، ط١، مطبعة فدك، (قم، ٢٠٠٤م).

ـ جرجي زيدان.

٨٣ـ تاريخ التمدن الاسلامي، ط٢، مطبعة دار الهلال، (بغداد، ١٩٥٨م).

ـ حسن إبراهيم حسن.

٨٤ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مطبعة دار الكتاب، (بيروت، ١٩٨٠م).

ـ الحسيني، عبد الكريم.

٨٥. الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين، ط١، منشورات سعيد بن جبير، (قم، ٢٠٠٥م).

ـ الخربوطلي، علي حسني.

٨٦. الدولة العربية الاسلامية، دار أحياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٦٠م).

_ الخضري، محمد.

٨٧. محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية، مطبعة الاستقامة، (القاهرة، ١٩٥٩م).

ـ الراوي، ثابت إسماعيل.

٨٨ـ العراق في العصر الأموي، ط١، مطبعة الارشاد، (بغداد، ١٩٦٥م).

ـ الريس، محمد ضياء الدين.

٨٩.الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية، ط٣، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٩م).

٩٠. عبد الملك بن مروان والدولة الاموية، ط٢، مطابع سجل العرب، (القاهرة، ١٩٩٦م).

_ الزركلي، خير الدين.

٩١. الأعلام، ط٣، (لا م، ١٩٦٩م).

_ الزين، محمد حسين.

٩٢. الشيعة في التاريخ، ط٢، مطبعة العرفان، (صيدا، ١٩٣٨م).

_ الساعدي، حيدر جعفر.

٩٣. محمد بن الحنفية حياته وحركته السياسية والدينية، ط١، مطبعة سور، (قم، ٢٠٠٦م).

_ الساعدي، نوري حاتم.

٩٤. ثورة زيد بن علي عند أهل البيت عليهم السلام، تقديم: جعفر مرتضى العاملي، ط٢، مطبعة غدير، (لا م، ٢٠٠٤م).

_ سعيد أيوب.

٩٥. معالم الفتن، ط٢، مطبعة سعيد بن جبير، (قم، ٢٠٠٤م).

ـ سيد عبد العزيز سالم.

٩٦ـ تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية، (بيروت، ١٩٧١).

٩٧ـ دراسات في تاريخ العرب (تاريخ الدولة الأموية)، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية، د.ت).

_ صائب عبد الحميد.

٩٨. تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، ط٢، الغدير للطباعة، (بيروت، ٢٠٠٢م).

_ الصدر، محمد محمد صادق.

٩٩. أضواء على ثورة الحسين، تح: كاظم العبادي، ط١، (النجف، ١٩٩٧م).

_ الصغير، محمد حسين.

١٠٠. الإمام الحسين عملاق الفكر الثوري، ط١، مؤسسة المعارف للمطبوعات، (بيروت، ٢٠٠٢م).

_ الطباطبائي، محمد حسين.

١٠١. الميزان في تفسير القران، ط١، مؤسسة الاعلمي، (بيروت، ١٩٩٧م).

_ الطبسي، محمد رضا.

١٠٢. مقتل الإمام الحسين، تح: محمد امين الاميني، ط١، مؤسسة محبين للطباعة، (قم، ٢٠٠٣م).

ـ طه حسين.

١٠٣ـ الفتنة الكبرى، ط٦، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٦م).

_ العاملي، حسن الأمين.

١٠٤. دائرة المعارف الشيعية، ط٥، دار التعارف، (بيروت، ١٩٩٢م).

ـ العاملي، محسن الامين.

١٠٥ـ أعيان الشيعة، تح: حسن الأمين، ط٥، دار التعارف، (بيروت، ١٩٩٨م).

_ العش، يوسف.

١٠٦.الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها، مطبعة جامعة دمشق، (دمشق، ١٩٦٥م).

_ عمر أبو النصر.

١٠٧. معاوية بن أبي سفيان وعصره، ط١، منشورات المكتبة الاهلية، (بيروت، ١٩٦٢م).

_ فاروق، عمر فوزي.

١٠٨. طبيعة الدعوة العباسية، ط١، دار الارشاد، (بيروت، ١٩٧٠م).

_ فان فولتن.

١٠٩.الدولة الأموية والمعارضة، ترجمة: إبراهيم بيضون، ط١، دار الحداثة، (بيروت، ١٩٨٠م).

_ القرشي، باقر شريف.

١١٠. حياة الإمام الحسين، ط٤، مطبعة باقري، (قم، ١٩٩٢م).

ـ القزويني، محمد كاظم.

١١١. زينب الكبرى من المهد الى اللحد، ط٢، دار القارئ للطباعة، (بيروت، ٢٠٠٤م).

_ القندوزي، سليمان بن ابراهيم.

١١٢. ينابيع المودة لذوى القربى، تح: علي جمال الحسيني، ط١، مطبعة اسوة، (قم، ٢٠٠٢م).

_ كارل بروكلمان.

١١٣.تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة أمين فارس، ط٧، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٧م).

ـ محمد جواد مغنية.

١١٤.الشيعة والحاكمون، تح: سامي الغريري، ط٢، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، (لام، ٢٠٠٦).

_ محمد رشيد رضا.

١١٥.تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، تح:ابراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٩م).

_ محمد ماهر حمادة.

١١٦.الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ط١، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٧٤م).

ـ محمد مهدي شمس الدين.

١١٧ـ ثورة الإمام الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، تح:سامي الغريري، ط١، دار الكتاب الاسلامي، (بيروت، ٢٠٠٦م).

_ محمود شاكر.

١١٨. الدولة الأموية في الشام، مطبعة شبرا، (مصر، ١٩٣٨م).

_ المدرسي، محمد تقي.

١١٩. التاريخ الإسلامي دروس وعبر، ط٧، دار المحبين للطباعة، (لا.م، ٢٠٠٤م).

_ المقرّم، عبد الرزاق.

١٢٠. مقتل الحسين، مؤسسة الخرسان، (بيروت، ٢٠٠٥م).

_ النقدي، جعفر.

١٢١. زينب الكبرى، منشورات المكتبة الحيدرية، (قم، ١٩٩٦م).

_ الوردي، علي.

١٢٢.مهزلة العقل البشري، مطبعة ثامن الحجج، (قم، ٢٠٠٦م).

ـ يوليوس فلهاوزن.

١٢٣ـ الدولة العربية وسقوطها، ترجمة: يوسف العشّ، مطبعة الجامعة السورية، (دمشق، ١٩٥٦م).

ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية

ـ سناء كاظم حسن.

١٢٤. حسان بن مالك بن بحدل الكلبي ودوره في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية بن رشد، (بغداد، ٢٠٠٤م).

فهرس المحتويات

الإهداء.. ..... ٩

شكر وامتنان ١١

المصطلحات ١٢

مقدّمة المؤسّسة ١٣

مقدّمة قسم الرسائل الجامعية ٢٧

المقدّمة ٢٩

التمهيد..... ٤١

لمحة من حياة الإمام الحسين عليه السلام ومكانته..... ٤١

أولاً: نسبه ومولده وكنيته وألقابه..... ٤١

١ ـ نسبه..... ٤١

٢ ـ مولده..... ٤١

٣ ـ كُنيته وألقابه..... ٤٣

ثانياً: رضاعته..... ٤٤

ثالثاً: مكانة الإمام الحسين عليه السلام في آيات الذكر الحكيم..... ٤٤

رابعاً: مكانة الإمام الحسين عليه السلام عند الرسول صلى الله عليه وآله..... ٤٧

خامساً: مكانة الإمام الحسين عليه السلام لدى معاصريه..... ٤٨

سادساً: الإمام الحسين عليه السلام عبر القرون والأجيال..... ٥١

الفصل الأول

أسباب ودوافع ثورة الإمام الحسين عليه السلام وخلافة يزيد

المبحث الأول: دوافع الثورة ٥٧

أولاً: سياسة القتل والترحيل..... ٥٧

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية..... ٦٣

ثالثاً: ولاية العهد..... ٦٨

المبحث الثاني: طلب البيعة من الأمصار وأثرها في قيام الثورة..... ٧٣

أولاً: رأي أهل الحجاز في البيعة ليزيد..... ٧٥

ثانياً: إرسال الوفود إلى دمشق..... ٧٦

ثالثاً: رأي أهل العراق في البيعة ليزيد..... ٨٠

رابعاً: طلب البيعة من أهل الحجاز..... ٨٤

المبحث الثالث: خلافة يزيد بن معاوية وقيام الثورة..... ٨٩

أولاً: وفاة معاوية والبيعة ليزيد..... ٨٩

ثانياً: خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة..... ٩٧

ثالثاً: رُسِل أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام..... ٩٩

رابعاً: الحسين عليه السلام يستطلع رأي الكوفة والبصرة..... ١٠٢

الفصل الثاني

أحداث الثورة وردود الأفعال حتى حركة التوابين

المبحث الأوَّل: خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق واستشهاده..... ١١١

أولاً: سيطرة عبيد الله بن زياد على الكوفة واستشهاد مسلم بن عقيل..... ١١١

ثانياً: خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق..... ١١٥

ثالثاً: فاجعة كربلاء..... ١٢٦

خُطب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء..... ١٢٩

المبحث الثاني: ردود الفعل بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ووقعة الحرة ١٣٣

أولاً: تحميل يزيد مسؤولية قتل الحسين عليه السلام وردود الفعل على ذلك..... ١٣٣

ثانياً: أثر استشهاد الحسين عليه السلام على أهل المدينة..... ١٤٠

المبحث الثالث: حركة التوابين..... ١٥٢

الفصل الثالث

حركات المعارضة منذ حركة المختار الثقفي حتى عام (١٣٢هـ)

المبحث الأوَّل: حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي ١٦٨

أولاً: خروج المختار وسيطرته على الكوفة..... ١٦٨

ثانياً: الموقعة الأولى (بين أصحاب المختار وعبيد الله بن زياد)..... ١٧٥

ثالثاً: موقعة جبّانة السبيع..... ١٨٠
رابعاً: تتبع المختار لقتلة الإمام الحسين عليه السلام..... ١٨٦
خامساً: موقعة الخازر ومقتل عبيد الله بن زياد..... ١٩٥
سادساً: نهاية المختار الثقفي..... ١٩٩
المبحث الثاني: حركة عبد الله بن الزبير ٢٠٧
أولاً: رفض ابن الزبير لخلافة يزيد..... ٢٠٧
ثانياً: حصار مكة..... ٢١١
ثالثاً: البيعة لابن الزبير..... ٢١٤
المبحث الثالث: حركات المعارضة بعد عام الجماعة الثاني..... ٢٢٤
أولاً: حركة مطرف بن المغيرة (٧٧هـ/ ٦٩٦م)..... ٢٢٤
ثانياً: حركة عبد الرحمن بن الأشعث..... ٢٢٧
ثالثاً: ثورة زيد بن علي عليهما السلام..... ٢٣٢
رابعاً: الثورة العباسية ١٣٢هـ..... ٢٣٧
الخاتمة ٢٤٢
قائمة المصادر والمراجع ٢٤٦
أولاً: المصادر الاولية..... ٢٤٦
ثانياً: المراجع الثانوية..... ٢٥٥
ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية..... ٢٦٠
فهرس المحتويات..... ٢٦٢